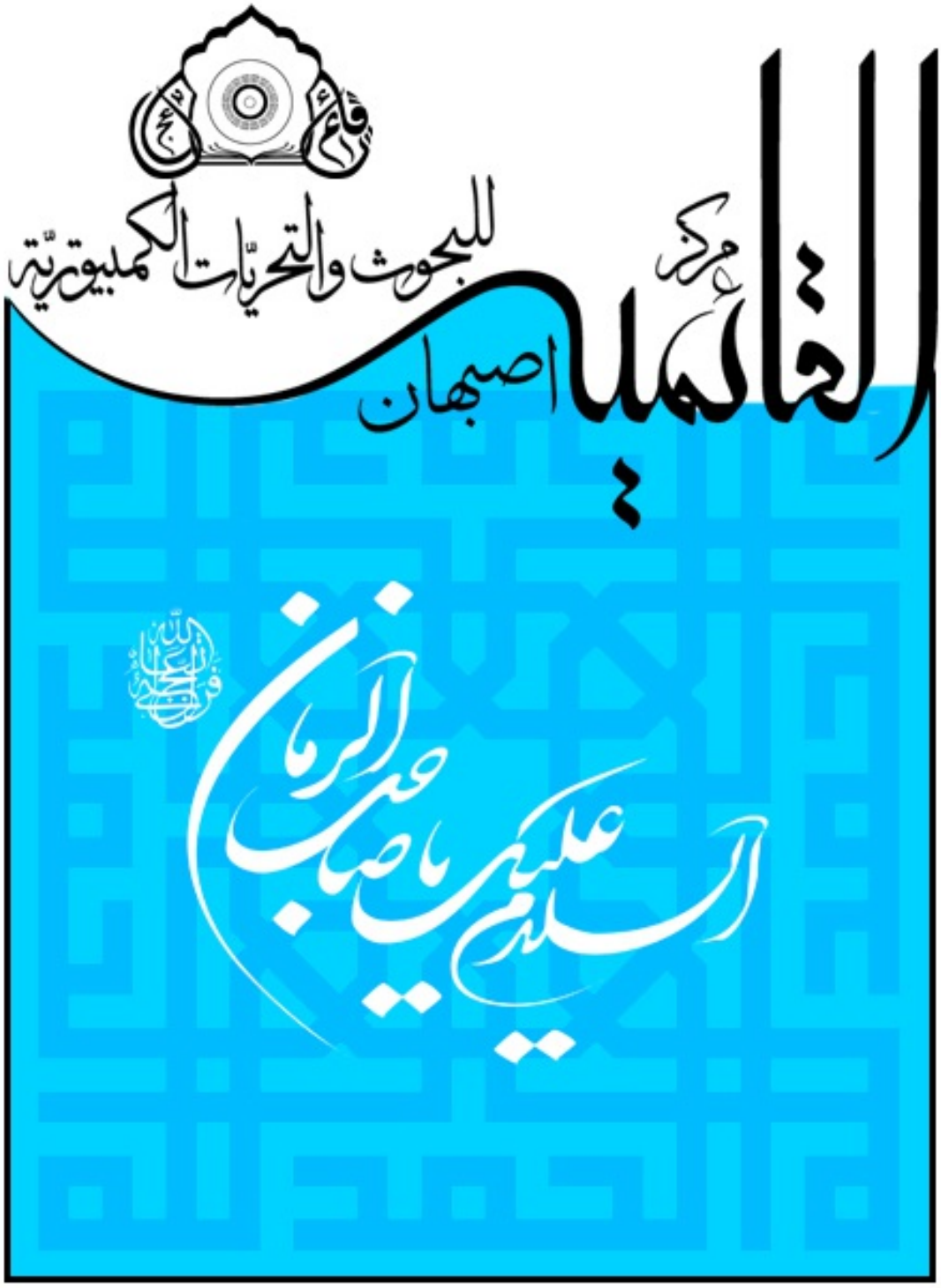

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ثقافة الارهاب
في كتب الوهابية
صالح الورداني

بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه

کاتب:

صالح وردانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه ----- ۹
اشارة ----- ۹
اشاره ----- ۹
تقدیم ----- ۱۳
تاریخ الإرهاب الوهّابی دماء وغنائم الدم الدم والهدم الهدم ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
دماء وغنائم ----- ۱۸
شهادات ----- ۲۲
الإرهاب المعاصر ----- ۲۶
رموز الإرهاب الوهّابی ----- ۳۱
ابن حنبل التأسیس للإرهاب ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
من الاعتدال إلی التطرّف ----- ۳۳
نصوص ابن حنبل ----- ۳۵
الردّ علی الجهمیة والزنادقة ----- ۳۶
رسالة السنّة ----- ۴۱
البربهاری ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
رسالة البربهاری ----- ۵۶
نص الرسالة ----- ۵۸
ابن بطّة إلغاء العقل والتعبّد بالنقل ----- ۶۵
اللالکائی المُخالِفون لا حُرْمةَ لهم ----- ۷۵

اشارة ----- ۷۵
نصوص الکتاب ----- ۷۷
فتاوی إرهابیّة ----- ۸۵
ابن تیمیة إمام المتطرّفین. . . ----- ۸۹
اشارة ----- ۸۹
الفقهاء وابن تیمیة ----- ۹۰
ضدّ الفقهاء ----- ۹۲
مقالته فی الشیعة ----- ۱۰۴
ابن القیّم تلمیذ ابن تیمیة وحامل مدافعه ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
صواعق وسهام ----- ۱۱۴
أهل الذِّمَّة ----- ۱۱۷
محمّد بن عبدالوهاب باعث الإرهاب ----- ۱۲۳
اشارة ----- ۱۲۳
قرن الشیطان ----- ۱۲۳
عقیدة ابن عبدالوهاب ----- ۱۲۶
الرسول ومحمّد بن عبدالوهاب ----- ۱۲۷
رسائل وقذائف ----- ۱۲۹
مسائل الجاهلیة ----- ۱۳۶
مفید المستفید فی کفر تارک التوحید ----- ۱۳۹
ابن باز فقیه الفِرَق الوهّابیّة و ممثّل السَّلف ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
من هو ابن باز؟ ----- ۱۴۳
مؤلّفاته ----- ۱۴۵

فتاوى ابن باز ----- ۱۴۶
عقيدة ابن باز ----- ۱۴۸
بركات النفط ----- ۱۴۹
فقاعات النفط ----- ۱۵۰
ابن عثيمين خليفة ابن باز ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
قذائف متعدِّدة ----- ۱۵۳
لمعة الاعتقاد ----- ۱۵۵
المدخلي فقاعة نفطيّة ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
قذائف أخرى ----- ۱۶۵
نداءات ----- ۱۶۷
كتب ونصوص ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
خلق أفعال العباد ----- ۱۷۰
لمعة الاعتقاد لمولفه ابن قدامة الحنبلي ----- ۱۷۳
الأحكام السلطانية ----- ۱۷۵
الفرقان بين الحق والباطل ----- ۱۷۸
حقيقة دعوة محمّد بن عبد الوهاب ----- ۱۷۹
كتاب التوحيد ----- ۱۸۲
تعليم الصبيان التوحيد ----- ۱۸۵
الحجاب ----- ۱۸۵
عبادة الاوثان ----- ۱۸۶
تطهير الاعتقاد ----- ۱۸۹

عقيدة أهل السنّة والجماعة ----- ۱۹۰
حقيقة الدعوة ----- ۱۹۷
منهج التلقى ----- ۲۰۰
الاستهزاء بالدين وأهله ----- ۲۰۵
براءة أهل السنّة من الوقيعة فى علماء الأُمّة ----- ۲۰۷
تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين ----- ۲۰۸
العواصم من القواصم ----- ۲۱۱
كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من الناس ----- ۲۱۴
فتاوى مهمّة لعموم الأُمّة ----- ۲۱۸
الحكم الجديره ----- ۲۲۰
فتاوى أزْهَرِيّة ----- ۲۲۱
أحكام العصاة ----- ۲۲۲
فهرس المصادر ----- ۲۲۵
تعريف مركز ----- ۲۲۹

ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه

اشارة

سرشناسه : وردانی، صالح

عنوان و نام پدیدآور : ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه/ صالح الوردانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۲۲۴ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۴۹-۰

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

موضوع : تروریسم -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام

موضوع : وهابیه -- کتاب‌های نقدشده

موضوع : حنبلیه-- کتاب‌های نقدشده

موضوع : وهابیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

موضوع : حنبلیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

رده بندی کنگره : BP۱۹۸/۶ /ت۴و۴ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۷۹

شماره کتابشناسی ملی : ۲۵۹۸۰۰۳

ص:۱

اشاره

ص:۲

ص:۳

ص:۴

ص:۵

تقديم

تُعدّ المنشورات الوهّابيّة من أخطر المنشورات المتداولة بين أيدى المسلمين اليوم، فهى منبع العنف والأفكار المتطرِّفة وهى فى الوقت نفسه الأساس الذى قامت عليه الجماعات والفِرَق الإرهابية التى شوّهت الإسلام وفرّقت المسلمين بالإضافة إلى كونها أسهمت بطُرُقٍ مختلفة فى تشكيل العقل المسلم المعاصر.

وتقف خلف رواج هذه المنشورات جهات عديدة على مستوى الداخل والخارج تسعى جاهدة لحصار العقل المسلم وتطويقه وعزله عن المصادر الأخرى التى تعينه على فهم حقيقة الإسلام.

وفى دائرة هذا البحث سوف نعرض للعديد من هذه المنشورات التى تكشف لنا حجم المؤامرة الوهّابيّة على الإسلام والمسلمين اليوم. وتكشف لنا أيضاً مدى سطحيّة هذه المنشورات وقشريّتها.

وقبل الخوض فى هذه المنشورات، يجب أن نضع بعض الملاحظات؛ حتّى تتكوّن لدى القارئ صورة عنها تعينه على فهم أبعادها.

الملاحظة الأُولى: إنّ غالب هذه المنشورات من صناعة رموز الوهّابيّة فى السعودية والبقيّة الأُخرى منها تعود لرموز حنبلية قديمة على رأسها: ابن حنبل، وابن تيمية، وتلاميذه: ابن القيّم، والذهبى، وابن كثير.

ص:۶

الثانيـة: إنّ العديـد من هـذه المنشورات بـدون ناشـر وبـدون حقوق للطبع وتُهـدى ولا تُباع، والهـدف من ذلك هو تيسـير رواجها بين المسلمين.

الثالثة: إنّ هذه المنشورات تركِزّ على فتاوى رموز الوهّابيّة المعاصـرين، مثل: عبدالعزيز بن باز، وابن عثيمين، وابن بابطين، وابن فوزان، وغيرهم.

الرابعـة: إنّ هـذه المنشورات منهـا مـا يختص بالبنـاء العقائـدى وغسـيل المـخ ومنهـا ما يتعلّق بخصوم الوهّابيّـة من المـذاهب والتيّارات الأُخرى.

الخامسة: إنّ هذه المنشورات تتحدّث بلسان أهل السُنّة وتدّعى تمثيلهم. .

ولمّا كانت الوهابية ذات جذور ضـعيفة، وفى حاجة إلى الدعم الشـرعى، فقد عملت على التلحّف بالسـلف، وادعاء السـير على نهجهم والالتزام بعقائدهم.

وحتّى تنطلى هـذه الحيلـة على المسـلمين ولاـ يكتشـفوا لعبـة الوهّابيّـة وتسـتّرهم بالسـلف، وتصـادم عقائـدهم وأفكارهم معهم خاصّـةً الأحناف والمالكية والشافعية منهم اتّجه الوهّابيّون إلى تزوير التاريخ وتضخيم الحنابلة والتلحّف بفكرة الإجماع.

ومن خلال هذا البحث سوف يتبيّن لنا أنّ منشورات الوهّابيّين إنّما هى تنطق بلسان بعض الحنابلة القدامى، ولا صلة لها بالسلف.

وسوف يرى القارئ أنّ فكرة تحريم التوسّل وزيارة القبور وشـدّ الرّحال إليها، التى رفع شـعارها الوهّابيّون واعتبروها من صور الشـرك والضلال، لم يقل بها أحد من السلف.

والعقل الوهّابى إنّما هو عقل جامد متحجّر أوغل فى الروايات الضعيفة محل التنازع وتعصّب لها، وشغل المسلمين بتوافه الأمور وقشور الـدين، وأهمل القضايا الكبرى التى يرتبط بها مصـير الإسـلام والمسـلمين، وهذا وحده دليل كافٍ على مدى ما يشـكّله هذا العقل من خطرٍ على الإسلام والمسلمين.

ومـا ينبغى الإشـارة له هنـا هو أنّ ثقافـة الإرهـاب التى سوف نستعرضـها هنـا من خلال منشورات الوهّابيّين لا تنـح-صـر فقط فى كتب الحنابلة القدامى والوهّابيّين

ص:۷

المعاصرين وإنّما تمتد إلى كتب التراث المتطرّفة الأُخرى التى عمل الوهّابيّون على استثمارها لدعم أفكارهم الإرهابية.

وسوف يلحظ القارئ من خلال استعراضنا لمنشورات الوهّابيّين مدى تلاعبهم بالنصوص، ومحاولتهم استغفال المسلمين واللعب بعقولهم، ومحاولة تصوير أنفسهم كمخلّصين للأُمّة من الشرك والضلال.

ولا ندّعى أنّنا قد أحطنا فى دائرة هذا الكتاب بجميع منشورات الوهّابيّين ونصوصهم و فتاواهم التى أسهمت فى توطين ثقافة الإرهاب بين المسلمين اليوم، وما استعرضناه هنا هو مجرّد نماذج من منشوراتهم تكشف حقيقة مذهبهم و مدى ما يشكّلونه من خطرٍ على الإسلام والمسلمين.

ومن الله التوفيق والسداد.

صالح الوردانى

salehalwerdani@yahoo.com

www.weghah.com

ص:۸

ص:۹

تاريخ الإرهاب الوهّابى دماء وغنائم الدم الدم والهدم الهدم

اشارة

كانت تلك الجملة على لسان محمّد بن عبد الوهاب حين وضع يده فى يد ابن سعود هى بداية الإرهاب الوهّابى فى جزيرة العرب، ذلك الإرهاب الذى شمل قطاعات كثيرة، ولم يستثن أحداً من الفقهاء المخالفين أو الأشراف من ذرّيّة الرسول (ص) ، أو القوى الأُخرى المعارضة لابن سعود، التى وقفت فى طريق طموحاته وبسط نفوذه حتّى شمل هذا الإرهاب العامّة فى النهاية.

اتّخذ ابن سعود دعوة محمّد بن عبدالوهاب ستاراً لتحقيق نفوذه وأطماعه والسيطرة على جزيرة العرب.

واتّخذ ابن عبد الوهاب ابن سعود دعامةً ونصيراً لفرض أفكاره ومذهبه المعوج على المسلمين فى جزيرة العرب بقوّة السيف.

ولمّا كانت الوهّابيّة محل رفض واستهجان الفقهاء والمسلمين فى جزيرة العرب؛ كان السيف هو الحدّ الفاصل ووسيلة الحسم.

من هنا جرت الدماء كالأنهار فى كلّ مكان بسيوف آل سعود وبمباركة ابن عبدالوهاب.

ص:۱۰

والدماء هنا هی دماء المسلمین التی عصمها الله فی کتابه، وأکّد الرسول (ص) عصمتها بصریح أقواله.

وکون الوهّابیّة اعتمدت علی سیوف آل سعود هو دلیل قاطع علی بطلانها وزیفها.

ولولا آل سعود ما کان للوهّابیّة أن تبقی وأن تستمر.

والدعوة الحقّة إنّما تستمد قوّتها واستمرارها من ذاتها لا من الحکّام.

الدعوة الحقّة تستمر وتبقی دون عون من أحد.

الحکّام لهم مصالحهم ومآربهم التی یجب أن تخضع لها الدعوة.

والدعوة التی تسیر فی رکاب الحکّام إنّما تخضع لمصالحهم وتدعم نفوذهم وتضفی المشروعیّة علی أهدافهم وممارساتهم وسیاساتهم.

وهو ما انطبق علی محمّد بن عبد الوهاب وعلی دعوته التی لفظها الجمیع، حتّی والده الفقیه الحنبلی وأشقّائه؛ ممّا دفع به إلی الفرار من جزیرة العرب خوفاً علی نفسه، ثمّ العودة إلیها مرّةً أُخری لیلقی بنفسه فی أحضان آل سعود الذین وجدوا فی دعوته ضالتهم المنشودة.

دماء وغنائم

ومن أجل السیطرة علی جزیرة العرب استخدم السعودیّون الوهّابیّین للانتقام من خصومهم ومَن یعترضون سبیلهم، فوقعت الکثیر من المجازر الوحشیّة، ودُمّرت العدید من القری، وأُحرقت العدید من المکتبات، وهُدّمت الأضرحة والمقامات التی کانوا یجدونها فی طریقهم.

وفی عام ۱۲۱۷ه- هاجم الوهّابیون مدینة الطائف، بعد حصارٍ طویل، وقتلوا الکثیر من أهلها، ثمّ نهبوها بعد أن هدموا الکثیر من بیوتاتها ومحلّاتها ومقابر الصحابة التی کانت فیها بالإضافة إلی إحراق الکتب التی وجدوها فی طریقهم ولم یبقوا منها إلّا القرآن وکتب الحدیث.

ص:۱۱

یقول المؤرِّخ الوهّابی عثمان بن بشر: وانهزم الشریف غالب – شریف مکّة – إلی مکّة وترک الطائف فدخله عثمان وهو أحد الفارّین من جیش غالب ومَن معه من الجموع، وفتحه الله لهم بغیر قتال، وقُتل من أهله فی الأسواق والبیوت نحو مائتین، وأخذوا من الأموال من البلد أثماناً وأمتاعاً وسلاحاً وقماشاً وشیئاً من الجواهر والسلع المثمّنة ما لا یحیط به الحصر ولا یدرکه العد، وضبط عثمان البلد وسلّمت له جمیع نواحیه وبوادیه، وجمعوا الأخماس وبعثوها لعبد العزیز فقرّر ولایة عثمان للطائف واستعمله علیه وعلی الحجاز.(۱)

وفی عام ۱۲۱۸ه– غزا الوهّابیون مکّة المکرّمة وقتلوا الکثیر من الفقهاء المخالفین لهم والأشراف والعامّة بعد حصارٍ طویل اضطرّ فیه أهلها إلی أکل القطط والکلاب، وفرّ مَن بقی علی قید الحیاة منهم.

وفی عام ۱۲۲۰ه– اقتحم الوهّابیون مدینة الرسول (ص) بعد حصارٍ استمرّ أکثرمن عام ونصف واستولوا علی محتویات المسجد النبوی من نفائس وفرش وخلافه، وتمّ منع المسلمین من زیارة قبر الرسول (ص) .

وفی عام ۱۲۴۴ه– قام الوهّابیون بهدم مقابر أهل البیت: فی البقیع والمدینة.

ولم تنحصر جرائم الوهّابیین وإرهابهم فی محیط جزیرة العرب، بل تجاوزت تلک الجرائم حدود هذه الجزیرة لتمتد إلی بلاد العراق والشام.

وفی عام ۱۲۱۶ه– قامت مجموعات من البدو الوهّابیین بغزو مدینة کربلاء وخرّبوا مرقد الحسین (ع) ، وأشعلوا النیران بالمدینة، وقتلوا المئات من النساء والشیوخ والأطفال، ونهبوا المساجد والبیوت.

یقول المؤرِّخ الوهّابی مفتخراً بحادثة کربلاء: ثمّ دخلت السنة السادسة عشرة بعد المائتین والألف، وفیها سار سعود بن عبد العزیز بالجیوش المنصورة والخیل العتاق المشهورة من جمیع حاضر نجد وبادیها والجنوب والحجاز وتهامة وغیر ذلک وقصد

۱– انظر عنوان المجد فی أخبار نجد.

ص:۱۲

أرض کربلاء ونازل أهل بلـد الحسـین، وذلک فی ذی القعـدة، فحشد علیها المسـلمون وتسوّروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها فی الأسواق والبیوت، وهدموا القبّة الموضوعة - بزعم مَن اعتقد فیها - علی قبر الحسـین، وأخذوا ما فی القبّة وما حولها، وأخذوا النصـیبة التی وضـعوها علی القبر، وکـانت مرصوفـة بـالزمرّد والیـاقوت والجواهر، وأخـذوا جمیع ما وجـدوا فی البلـد من أنواع الأموال والسـلاح واللباس والفرش والـذهب والفضّـة والمصاحف الثّمینة، وغیر ذلک ما یعجز عنه الحصـر، ولم یلبثوا فیها إلّا ضـحوة وخرجوا منهـا قبل الظهر بجمیع تلک الأموال، وقُتل من أهلها قریب من ألف، ثمّ إنّ ابن سـعود ارتحل منها علی الماء المعروف بالأبیض فجمع الغنائم وعزل أخماسها وقسّم باقیها فی المسلمین غنیمة للراجل سهم وللفارس سهمان، ثمّ ارتحل قافلاً إلی وطنه. (۱)

ویلاحظ من خلال کلام هذا المؤرِّخ أنّه أطلق علی الوهّابیین لفظ المسلمین وهو ما یعنی الحکم بکفر مَن دونهم، الأمر الذی برّر هذه الغزوة المبارکة بالجیوش المنصورة حسب تعبیره.

وما یؤکّد هذا التصوّر أنّ ابن سعود وعناصره استباحوا المدینة فقتلوا وأحرقوا وسلبوا دون أن یردعهم وازع من الدین أو الخلق، معتبراً أنّ ذلک حقّ شرعی له ولأتباعه الموحّدین فی مواجهة المشرکین من المسلمین المخالفین.

وکون کلّ ذلک عمل یوم واحـد فقط أمر یـدلّ علی همجیّـة الوهّابیین وبشاعتهم ووحشـیّتهم ممّا یـدل علی أنّهم لا یحملون شـیئاً من خُلُق الإسلام وآدابه.

وقیـام ابن سـعود بتقسـیم الغنـائم علی أتباعه یعنی أنّ حربه کانت جهاداً فی سبیل الله، وغزوته تُعـدّ امتـداداً للغزوات الأُولی التی أطلق علیها المؤرِّخون اسم الفتوحات.

والغزوات الأُولی لم تکن سوی غزوات سیاسیة لا- مبرِّر لهـا شـرعاً، ولا- یوجـد مـا یـدعمها من نصوص القرآن سوی بعض الروایـات المنسوبة للرسول (ص) والتی تفوح

۱- انظر عنوان المجد فی أخبار نجد.

ص:۱۳

منها رائحة السياسة.

وكذلك غزوات ابن عبد الوهاب لم تقم على أىّ أساسٍ شرعى، وإنّما قامت على أساس مذهبى معوج وبسيوف آل سعود الطامعين فى السيطرة على جزيرة العرب.

وفى عام ۱۲۲۵ه- زحف الوهّابيون على حوران وقتلوا الكثير من المسلمين، ثمّ سبوا النساء والأطفال، وأحرقوا المحاصيل والبيوت.

وجرائم الوهّابيين هذه تضعهم فى صفٍّ واحدٍ مع الخوارج والقرامطة، وما فعلوه بالحرم المكّى حين دخلوه لا يختلف كثيراً عمّا فعله القرامطة حين دخلوه.

والحق أنّ الوهّابيين تنطبق عليهم صفات الخوارج انطباقاً كاملاً من حيث طبيعتهم وتركيبتهم الشخصية.

فهم من البدو والأعراب الذين يتميّزون بغلظة القلوب وقسوتها، ومن حيث قدراتهم العقلية والفكرية الضعيفة، ومن حيث مواقفهم وأفعالهم.

والنبؤات الواردة عن الرسول (ص) المتعلّقة بالخوارج وصفتهم وصفاً دقيقاً، ومن أهمّ هذه الصفات أنّهم: غلاظ القلوب، ضعاف العقول، يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، محلقوا الرؤوس يتعصّبون للقشور وينتص-رون لتوافه الأمور.(۱)

وقد نبّأ الرسول أيضاً بأنّ نجد موطن ابن عبد الوهاب وآل سعود يخرج منها قرن الشيطان، وهو إشارة إلى سوء حالها وفساد أهلها وانعدام الخير فيها.(۲)

ونقل الشيخ أحمد زينى دحلان عن مفتى زبيد عبد الرحمن الأهدل قوله: لا حاجة

۱- انظر البخارى كتاب الأنبياء، ومسلم كتاب الزكاة، وأحاديث الخوارج مشهورة فى كتب السنن، وسوف تأتى الإشارة لبعضها.

۲- رواه البخارى، وقد قام الوهّابيون مؤخّراً بنشر كُتيّب صغير يشرح هذا الحديث ويحاول صرفه عن معناه الظاهر.

ص:۱۴

إلى التأليف فى الردّ على الوهّابيّة، بل يكفى للردّ عليهم قوله (ص) : سيماهم التحليق، فإنّه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.(۱)

ومثل هـذه الجرائم بالإضافة إلى غاراتهم الدائمة على قوافل الحجّاج والمسافرين والتجّار والاستيلاء عليها؛ هو ما دفع بالخليفة العثمانى إلى الاسـتنجاد بالقوّات المصـرية التى قامت بغزو جزيرة العرب لتأديب البدو الوهّابيين وطردتهم من مكّة والمدينة ودخلت عاصـمتهم الدرعية وشـرّدتهم فى الصـحراء، وقُبض على عبدالعزيز بن سعود وأُرسل إلى الآستانة حيث تمّ تنفيذ حكم الإعدام فيه هناك، كما تمّ إعدام اثنين من أبناء محمّد بن عبد الوهاب والعديد من البدو الوهّابيين فى أماكن مختلفة علناً، وأُسقطت دولة آل سعود الأُولى.

إلاّ أنّ الوهّابيين عادوا إلى الظهور من جديـد تحت مظلّة آل سـعود أيضاً، وبـدعم من الإنجليز الـذين برزوا فى بلاد المسـلمين حين ضعفت الدولة العثمانية وبدأت فى الانهيار.

شهادات

وسوف نسـتعرض هنـا بعض الشـهادات لفقهـاء عاصـروا ابن عبـد الوهـاب وشـهدوا جرائمه، وكشـفوا جهله وأقرّوا بمنكراته، وآخرين عاصروا أتباعه المجرمين.

يقول صديق القنوجى فى ترجمته لمحمّد بن إسـماعيل الأمير الصـنعانى اليمنى المحدِّث الأُصولى الشـهير صاحب المصـنّفات العديدة التى تجـاوزت المائـة مؤلَّف والمتوفى عام ۱۱۸۲ه-: خرج فى زمانه ابن عبـد الوهاب النجـدى الـذى تُنسب إليه طائفـة الوهّابيّـة، فنظم قصيدة فى ذلك وأرسلها إليه وأثنى على طريقته، ثمّ لمّا سمع أنّه يكفّر أهل الأرض ويسفك الدماء رجع عمّا كان قد قاله عنه.

۱- انظر فتنة الوهّابيّة.

ص:۱۵

ونقل أيضاً عن الشيخ محمّد بن ناصر الحازمى قوله عن ابن عبد الوهاب: أشهر ما ينكر عليه خصلتان:

الأُولى: تكفير أهل الأرض بمجرّد تلفيقات لا دليل لها.

الثانية: التجارى على سفك الدم المعصوم بلا حجّة ولا إقامة برهان.

ونقل أيضاً وصف الشيخ عبد الرحمن النجدى، وإنكاره ما عليه من سفك الدماء ونهبه الأموال، وتجاريه على قتل النفس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأُمّة المحمّدية فى جميع الأقطار.

قال القنوجى: فبقى معنا تردّد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتّى وصل الشيخ مربد ابن أحمد التميمى، وكان من تلاميذ ابن عبد الوهاب، ووصل بعض رسائله التى جمعها فى وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقّق لنا أحواله وأفعاله وأقواله فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطراً، ولم يمعن النظر ولا قرأ على مَن يهديه نهج الهداية، ويدلّه على العلوم النافعة ويفقّهه فيها، بل طالع بعضاً من مؤلّفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم وقلّدهما من غير إتقان مع أنّهما يحرّمان التقليد.(۱)

وقال محمّد بن عمر: كما وقع فى زماننا فى أتباع محمّد بن عبد الوهاب، الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنّ اعتقادهم أنّهم هم المسلمون، وأنّ مَن خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة وقتل علمائهم، حتّى كسر الله شوكتهم، وخرّب ديارهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ۱۲۳۳ه.(۲)

وقال زينى دحلان: وكان ابن عبد الوهاب يقول: إنّى أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق، ومَن قتل مش-ركاً فله الجنّة.(۳)

۱- انظر أبجد العلوم فى أحوال العلوم، ط بيروت، والقنوجى توفّى فى عام ۱۳۰۷ ه-.

۲- انظر رسائل ابن عابدين.

۳- انظر الدرر السّنيّة فى الردّ على الوهّابيّة، ونقل عن ابن عبد الوهاب قوله: إنّى أتيتكم بدين جديد.

ص:۱۶

وكما هو واضح فإنّ المشرك الذى يقصده ابن عبد الوهاب ويطلب قتله هو المسلم المخالِف له المعارِض لأفكاره، وليس المشرك المعادى للإسلام من أصحاب الملل الأُخرى.

وقال: إنّ الوهّابيّة لمّا دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامّاً، واستوعبوا الكبير والصغير، والمأمور والأمير، والشريف والوضيع، وصاروا يذبحون على صدر الأُمّ الطفل الرضيع، ويقتلون الناس فى البيوت والحوانيت، ووجدوا جماعةً يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم، ثمّ خرجوا إلى المساجد يقتلون الرجل فى المسجد وهو راكع أو ساجد، ونهبوا النقود والأموال، وصاروا يدوسون بأقدامهم المصاحف ونسخ البخارى ومسلم، وبقيّة كتب الحديث والفقه والنحو بعد أن نشروها فى الأزقّة والبطائح، وأخذوا أموال المسلمين واقتسموها كما تقسم غنائم الكفّار.(۱)

ونقل عن الشيخ علوى الحدّاد قوله عن ابن عبد الوهاب: والحاصل أنّ المحقّق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية باستحلاله أموراً مجمعاً على تحريمها، معلومة من الدين بالض-رورة، مع تنقيصه الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وتنقيصهم كفر بإجماع الأئمّة الأربعة(۲)

وقال مفتى الحنابلة محمّد بن حميد النجدى المتوفّى عام ۱۲۹۵ه عن ابن عبدالوهاب: فإنّه كان إذا باينه أحد وردّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يُرسل له مَن يغتاله فى فراشه، أو فى السوق ليلاً؛ لقوله بتكفير مَن خالفه واستحلاله.(۳)

وقال الشيخ زينى دحلان: وكانت ولادة محمّد بن عبد الوهاب سنة ۱۱۱۱هوعاش عمراً طويلاً حتّى بلغ عمره اثنين وتسعين سنة، ولمّا أراد إظهار ما زيّنه له الشيطان من البدعة والضلالة انتقل من المدينة ورحل إلى المشرق، وصار يدعو الناس

۱- انظر خلاصة الكلام فى تاريخ أُمراء البلد الحرام.

۲- نقل هذا الكلام فى الدرر السّنيّة من كتاب جلاء الظلام فى الرد على النجدى الذى أضلّ العوام.

۳- انظر السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة.

ص:۱۷

إلی التوحید وترک الشرک، ویزخرف لهم القول ویفهمهم أنّ ما علیه الناس کلّه شرک وضلال، ویُظهر لهم عقیدته شیئاً فشیئاً، فتبعه کثیر من غوغاء الناس وعوام البوادی، وکان ابتداء ظهور أمره فی المشرق سنة ۱۱۴۳ه-، واشتهر أمره بعد الخمسین وألف ومائة بنجد وقراها، فتبعه وقام بنصرته أمیر الدرعیة محمّد بن سعود، وجعل ذلک وسیلة إلی اتّساع ملکه ونفاذ أمره، فحمل أهل الدرعیة علی متابعة محمّد بن عبدالوهاب فیما یقول، فتبعه أهل الدرعیة وما حولها، وما زال یطیعه علی ذلک کثیر من أحیاء العرب حی بعد حی، وقبیلة بعد قبیلة حتّی قوی أمره فخافته البادیة، فکان یقول لهم: إنّما أدعوکم إلی التوحید وترک الشرک بالله، ویزیّن لهم القول وهم بوادی فی غایة الجهل، لا یعرفون شیئاً من أمور الدین، فاستحسنوا ما جاءهم به.

وکان یقول لهم: إنّی أدعوکم إلی الدین، وجمیع ما هو تحت السبع الطباق مش-رک علی الإطلاق، ومَن قتل مشرکاً فله الجنّة، فتابعوه، وصارت نفوسهم بهذا القول مطمئنّة، فکان محمّد بن عبد الوهاب بینهم کالنبیّ فی أُمّته، لا یترکون شیئاً ممّا یقول، ولا یفعلون شیئاً إلّا بأمره، ویعظّمونه غایة التعظیم، وإذا قتلوا إنساناً أخذوا ماله وأعطوا الأمیر محمّد بن سعود الخمس واقتسموا الباقی.

وکان أهل الحرمین قد سمعوا بظهورهم فی نجد، وإفسادهم عقائد البوادی، ولم یعرفوا حقیقة ذلک، فلمّا وصل علماؤهم مکّة؛ أمر الش-ریف مسعود أن یناظر علماء الحرمین العلماء الذین بعثوهم، فناظروهم فوجدوهم ضحکة ومسخرة کحمرٍ مستنفرة فرّت من قسورة، ونظروا إلی عقائدهم فإذا هی مشتملة علی کثیرٍ من المنکرات، فبعد أن أقاموا علیهم الحجّة والبرهان، أمر الشریف مسعود قاضی الش-رع أن یکتب حجّة بکفرهم الظاهر لیعلم به الأوّل والآخر، وأمر بسجن أُولئک الملاحدة الأنذال، ووضعهم فی السلاسل والأغلال، فقبض منهم جماعة وسجنهم وفرّ الباقون.

وأشار دحلان إلی المذابح التی کان یرتکبها الوهّابیون فی البلاد التی یستولون

ص:۱۸

عليها حتّى أنّهم كانوا يذبحون الصغير على صدر أمّه، ويسبون النساء، وفعلوا أشياء يطول الكلام بذكرها.

وهـذه بليّة ابتلى الله بها عباده، وهى فتنة من أعظم الفتن التى ظهرت فى الإسـلام، طاشت من بلاياها العقول، وحار فيها أرباب العقول، ولبسوا فيها على الأغبياء ببعض الأشياء التى توهمهم أنّهم قائمون بأمر الدين.

وكـانوا إذا أراد أحـد أن يتبعهم على دينهم، طوعـاً أو كرهـاً، يأمرونه بالإتيان بالشـهادتين أوّلاً، ثمّ يقولون له اشـهد على نفسك أنّك كنت كـافراً، واشـهد على والـديك أنّهمـا ماتا كافرين، واشـهد على فلان وفلان أنّه كان كافراً، ويسـمّون له جماعـةً من أكابر العلماء الماضين، فإن شهد بذلك قبلوه وإلاّ أمروا بقتله.

وكانوا يصرِّحون بتكفير الأُمّة منذ ستمائة سنة، وأوّل مَن صرّح بذلك محمّد بن عبد الوهاب فتبعوه على ذلك.(۱)

الإرهاب المعاصر

ومن الطبيعى لحركـة تكفّر المسـلمين، وتحتكر الإسـلام، ألاّ تتوقّف عن إرهـابهم وسـفك دمـائهم فى كـلِّ زمـانٍ ومكـان، وهو واقع الوهّابيّة التى لم يرتبط إرهابها وتنتهى جرائمها بزمان ومكان ظهورها، إنّما اسـتمرّت فى جرائمها وإرهابها حتّى اليوم؛ لتطال المسـلمين وغير المسلمين فى ربوع العالم، وتتسبّب فى تشويه الإسلام وفتح الأبواب على مصارعها لخصومه لينالوا منه.

وقـد بـدأ الإرهاب الوهّابى المعاصـر بحادثة الحرم المكّى عام ۱۴۰۰ه- والتى اسـتعانت فيها قوّات الوهّابيّين بالمشـركين من الفرنسيين الصليبيين، وغيرهم، ودنّست بهم أرض الحرم من أجل إخراج عناصر جماعة جهيمان المنشقّة - عن الوهّابيّين - المعتصمين داخله.

۱- انظر الدرر السنية فى الردّ على الوهّابيّة.

ص:۱۹

واستخدم الوهّابيّون وأعوانهم من المشركين الصليبيين المدافع والقنابل والبنادق، ثمّ أطلقوا المياه فى الحرم بعد إطلاق التيّار الكهربائى فيها؛ ممّا أدّى إلى مصرع العديد من عناصر جهيمان ومعهم الكثير من الحجّاج الآمنين، وهم بفعلتهم هذه قد كرّروا فعل الحَجّاج بن يوسف الثقفى حين حاصر الحرم المكّى لإخراج ابن الزبير وقام بضرب الكعبة بالمنجنيق.

وارتكب الوهّابيّون مجزرةً أُخرى أكثر بشاعةً حين فتحوا نيرانهم على الحُجّاج فى موسم حج عام ۱۴۰۸ه.

وركّزوا نيرانهم على الإيرانيين الذين كانوا يهتفون ضدّ أمريكا والصهيونية؛ ممّا أدّى لمصرع أكثر من ثلاثمائة حاج من الإيرانيين وغيرهم.

والوهّابيّون منذ أن استولوا على الحرمين وهم يسعون بشتّى السبل والوسائل لإفراغ الحج من مضمونه، وإرهاب الحجيج ليؤدّوا الشعائر على طريقتهم الجافّة الفارغة من المحتوى الروحى، وقد حاولوا مراراً منع الحجاج من زيارة قبر الرسول (ص) ، والتضييق عليهم؛ كى يعودوا إلى ديارهم دون أن يقوموا بزيارة الأماكن والمواقع التى ارتبطت بسيرته.

وقد حاولوا من قبل هدم القُبّة التى تعلوا قبر الرسول، وتوقّفوا بعد أن سقط العديد منهم من فوق القُبّة ولقوا حتفهم.

ومن جرائمهم المعاصرة: محاولاتهم الدائمة لإبادة الأقلّيّة الشيعية فى جزيرة العرب؛ حيث قتلوا العديد من علمائهم وشبّانهم، وهدموا العديد من مساجدهم.

واستمرّ فقهاؤهم على هذا التحريض بإصدار العديد من الفتاوى التى تنادى بإخراجهم من جزيرة العرب، وعدم جواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم.(۱)

۱- انظر فتاوى ابن جبرين، وانظر خطبة سلمان فهد العودة التى كان موضوعها قدر الله فى هذه الجزيرة التى حثّ فيها على طرد الشيعة الرافضة من جزيرة العرب، وانظر فتاوى ابن باز وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث.

ص:۲۰

وللوهّابيين دور كبير وملموس فى دعم الفِرَق الإرهابيهٔ فى أفغانستان، ذلك الدعم الذى أدّى إلى انتشار الإرهاب فى ربوع العالم باسم الإسلام، فطالبان، والقاعدهٔ، وجند الصحابهٔ، وعسكر محمّد، وجند الله، وغيرها من الفرق التى تنشر الإرهاب فى أفغانستان وباكستان والعراق وإيران وأوربا، وغيرها من البقاع، باسم الجهاد فى سبيل الله هى من تفريخ الوهّابيّهٔ وصناعتها.

وقد طالت نيران هذه الفِرَق الوهّابيّهٔ، وانقلب السحرُ على الساحر؛ حيث برزت فى جزيرهٔ العرب نماذج من الفِرَق الإرهابيهٔ التى جعلت من الوهّابيين أعداء لها بسبب مواقفهم المخزيهٔ، وتحالفاتهم المفضوحهٔ مع أعداء الإسلام، وألقت عليهم بأحكام التكفير التى كانوا يلقونها على خصومهم.(۱)

والإرهاب الوهّابى على مستوى الماضى والحاضر، إنّما هو موجّه ضدّ المسلمين، ولا صلهٔ له بأعداء الإسلام، وليس فى تاريخ الوهّابيّين ما يُشير - من قريب أو بعيد - إلى أىّ دور لهم فى مواجهتهم.

ولم نسمع يوماً عن وهّابىٍّ حمل السلاح ليجاهد الصهاينهٔ فى فلسطين، وإنّما سمعنا ورأينا المؤسّسات الوهّابيّهٔ ورموز الوهّابيين يعلنون حرباً شعواء على مجاهدى حزب‌الله فى لبنان وعلى زعيمهم مشكّكين فى جهادهم ومعتقداتهم.

ويعلنون الحرب أيضاً على إيران القلعهٔ الصامدهٔ فى وجه الغرب والصهيونيهٔ، بينما يصمتون تماماً عن آل سعود وجرائمهم وممارساتهم وعمالتهم لأعداء الإسلام الواضحهٔ وضوح الشمس. .

بل هم الذين أجازوا - صراحهً - الاستعانهٔ بقوّات المشركين من أجل الحفاظ على نظام آل سعود حين هدّدته حركهٔ جهيمان، وحين هدّده نظام صدّام حسين بعد غزوه الكويت.

۱- انظر المنشورات التى ترد على التكفير والمكفّرين التى تصدر عن الوهّابيين ما بين الحين والآخر، وانظر لنا كتاب الحق والحقيقهٔ فصل: المتطرّفون.

ص:۲۱

وهذه الفرق الوهّابيّة التى تنشر الإرهاب فى كلّ مكانٍ اليوم إلى مَن توجّه أسلحتها وقنابلها؟

هل توجّهها لأعداء الإسلام والصهاينة فى فلسطين، أم توجّهها للمسلمين والآمنين والمسالمين من الناس بعيداً عن فلسطين وبعيداً عن آل سعود أيضاً؟

ص:۲۲

ص:۲۳

رموز الإرهاب الوهّابی

اعتمد الوهّابیّون العدید من الرموز علی مستوی الماضی والحاضر، وکفروا بالکثیر من رموز المسلمین وعلی رأسهم رموز أهل السنّة؛ لکونهم یتبنّون أُطروحات وأفکار تتناقض مع أفکارهم ومذهبهم، وشأنهم فی ذلک شأن الحنابلة الذین تعصّبوا للروایة وأقوال الرجال، ونبذوا المخالفین لهم، بل اتّهموهم فی دینهم وعملوا علی تشویههم. .

علی مستوی الماضی اعتمد الوهّابیّون: ابن حنبل، وابن بطّة، واللالکائی، وابن تیمیة، وابن القیّم، والذهبی، وابن کثیر؛ وکفروا بمالک، وأبی حنیفة، والشافعی، واللیث، والأشعری، والماتریدی، والأوزاعی، وغیرهم من أصحاب المذاهب والتیارات الأُخری المخالفة لهم، أو التی لا تخدم أفکارهم وتدعم مذهبهم.

وهم قد یضطرّوا فی بعض الأحیان إلی الاستعانة برموز المذاهب الأُخری إذا وجدوا لدیهم بعض الآراء التی تخدمهم فی مواجهة خصومهم.

وعلی مستوی الحاضر اعتمدوا فقهاء السعودیة، وعلی رأسهم: ابن باز وتلمیذه ابن عثیمین، وابن بابطین، وابن جبرین، وابن فوزان، والمدخلی، وغیرهم.

وفی الوقت الذی یعلن فیه الوهّابیّون کفرهم بالمذاهب، ودعوتهم إلی التلقّی من الکتاب والسنّة مباشرةً، یعلنون تعصّبهم وانحیازهم الکامل لابن حنبل وتلامیذه،

ص:۲۴

وابن تیمیة وتلامیذه، وابن عبد الوهاب وأولاده؛ لیقدّموا لنا الدلیل القاطع والبرهان الساطع علی مذهبیّتهم.

وسوف نستعرض من خلال هذا الباب نماذج من الرموز الإرهابیة، علی مستوی الماضی والحاضر، التی استعان بها الوهّابیّون وتحصّنوا بها من أجل إضفاء المش-روعیّة علی أفکارهم، ونشر التطرّف والإرهاب وسط المسلمین بواسطتهم.

ص:۲۵

ابن حنبل التأسيس للإرهاب

اشارة

تتلمذ أحمد بن حنبل على يد كثير من الفقهاء فى عص-ره، ودرس الفقه والش-ريعة واللغة والحديث، ثمّ طلّق كلّ هذه العلوم وتفرّغ للحديث والأثر، وجعله موضع اهتمامه، وبنى على أساسه عقيدته وتصوّره ومواقفه؛ طارحاً العقل والاجتهاد جانباً.

من هنا فإنّ الطبرى المؤرِّخ والمفسِّر والفقيه لم يعدّه فى زمرة الفقهاء، بل عدّه فى زمرة المحدِّثين من أهل الرواية حين صنّف كتابه (اختلاف الفقهاء) وأغفل ذكره ممّا أدّى إلى ثورة الحنابلة عليه وقذفوه بالمحابر، وأهاجوا عليه العامّة واتّهموه بالرفض والتشيّع، وجعلوا يرمون بيته بالأحجار؛ ممّا دفع بالعسس (الشرطة) إلى التدخّل لحسم الأمر.(۱)

من الاعتدال إلى التطرّف

استمرّ ابن حنبل يدرس الرواية ويحفظها وينقلها ويبثّها بين الناس دون أن يعترض سبيله أحد، ولم يكن يصطدم بأحد.

۱- توفّى الطبرى عام ۳۱۰ه-، وحاصر الحنابلة بيته، ورفضوا إخراج نعشه منه ليدفن فى مقابر المسلمين فدُفن بجوار بيته؛ انظر سيرته فى كتب التاريخ والتراجم.

ص:۲۶

كانت الروايـة هى حياته وشـغله الشاغل، وحيثما توجّهه الروايـة كان يتوجّه؛ حتّى أنّه اعتبر تبنّى الروايـة الضـعيفة والأخـذ بها خيراً من استخدام العقل واللجوء للرأى.

وتشكّلت شخصيّته وعقيدته على أساس هذه الروايات التى كانت سلاحه الأوّل والأخير فى مواجهة المخالفين.

وعنـدما تبنّى المأمون نهـج المعتزلة فى نهاية حكمه خرج ابن حنبل رافعاً لواء المعارضة لفكر المعتزلة الذى يرجّح العقل على الرواية، معتبراً أنّ هذا الاتّجاه يشكّل خطورةً على عقيدة السلف وعلى الرواية.

وابن حنبل كان يشـعر على الدوام بخطورة المعتزلة والاتّجاهات الأُخرى على طرحه وعلى الروايات، إلّا أنّه لم يظهر العداء فى مواجهة هذه الاتّجاهات لضعفها أمام تيّار الرواية الذى كان سائداً آنذاك، بالإضافة إلى تيّار الفقهاء المدعوم من قِبَل الحكّام.

ولقد شكّل حدث تبنّى المأمون نهج المعتزلة انقلاباً دينياً فى نظر ابن حنبل، نقل المعتزلة من طور الاستضعاف إلى طور التمكّن، وفتح الأبواب أمامهم ليسودوا على حساب أهل السنّة، ويهدموا صرح الرواية الذى أسهم فقهاء السلطة فى تأسيسه منذ عشرات السنين.

وهكـذا أعلن ابن حنبل رفضه لفكرة خلق القرآن، التى يتبنّاها الشـيعة والمعتزلـة، وشـكّل هـذا الرفض تحدّياً لسـلطة المأمون الذى أمر بالقبض عليه، فأُحض-ر مكبلًا بالأغلال إليه فى طرسوس، لكنّ القدر أنقذه من يد المأمون؛ إذ جاءه الخبر بوفاته وهو فى الطريق إليه، فأُعيد إلى بغداد ووُضع فى السجن، ثمّ مَثُلَ أمام المعتصم الخليفة الجديد وجرت له محاكمة.

وأصرّ ابن حنبل على موقفه برفض القول بخلق القرآن فضُ-رب بشدّة وأُعيد إلى

ص:۲۷

السجن وأُخلی سبیله بعد حوالی العامین فالتزم العزلة والانقطاع طوال عصر المعتصم وعصر الواثق من بعده. . . . (۱)

وعاش ابن حنبل فی مطاردات ومضایقات طوال عصر المعتصم والواثق حتّی جاء المتوکّل الذی أعلن تبنّیه لنهج أهل السنّة ورفضه لنهج المعتزلة، وجمع المحدِّثین عام (۲۳۴ ه-) للردّ علی الجهمیة والمعتزلة ونصرة الروایة. (۲)

فی ظلّ هذا العصر استأنف ابن حنبل نشاطه، واتّخذ المتوکّل من یحیی بن أکثم وزیراً له بدلاً من أحمد بن داود المعتزلی الذی کان وزیر المعتصم.

وتقرّب أحمد بن حنبل من المتوکّل الذی دعاه إلی سامراء سنة (۲۳۷ه) لأجل إعطاء ولده المعتز دروساً فی الحدیث.(۳)

نصوص ابن حنبل

عرض الوهّابیّون عقیدة ابن حنبل من خلال منشورین:

الأوّل: الردّ علی الجهمیة والزنادقة.(۴)

الثانی: کتاب السنّة.(۵)

وقد طُبع کلاهما فی کُتیّب واحد من توزیع رئاسة إدارات البحوث العلمیة والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودیة تحت عنوان: الردّ علی الجهمیة والزنادقة، وهو یُهدی ولا یباع.

۱- أصدر الوهّابیّون العدید من المنشورات التی تصوّر ابن حنبل کمجاهد کبیر وإمام ممتحَن سقط ضحیّة الظلم والطغیان، انظر سیرة المأمون فی کتب التاریخ والتراجم، وسوف نعرض لفکرة خلق القرآن من خلال کلام ابن حنبل فیما سیأتی.

۲- انظر سیرة المعتصم والواثق والمتوکّل فی کتب التاریخ والتراجم.

۳- اعتبر الحنابلة المتوکّل ناصر السنّة، ودعوا له علی المنابر، وتغاضوا عن جرائمه ومنکراته، وممّا یذکر هنا أنّ المتوکّل قتل علی ید ولده، انظر تاریخ الخلفاء للسیوطی وکتب التاریخ الأُخری.

۴- کتب ابن حنبل رسالته هذه وهو فی السجن.

۵- یُنسب کتاب السنّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل أیضاً.

ص:۲۸

وقامت دور النشر الوهّابيّة بطبع كتاب السنّة مستقلاً تحت عنوان: (عقيدة أهل السنّة) .

والوهّابيّون أهل شعارات ومسمّيات يبهرون بها المسلمين، بينما الحقيقة أنّه لا يوجد تحت هذه الشعارات والمسمّيات شيء؛ فهم قد جعلوا هيئةً كبيرةً أسموها: إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لإيهام المسلمين أنّهم يعبّرون عن الإسلام وينطقون بلسانه.

وهم قد أطلقوا على عقيدة ابن حنبل عقيدة أهل السنّة لإيهام المسلمين أنّهم ينطقون بلسان السلف ويمثّلون إجماع المسلمين.

والحقيقة أنّهم لا يمثّلون سوى قطّاع من الحنابلة وابن تيمية وابن عبد الوهاب، فمن ثمّ هم ينطقون بلسان مذهب من المذاهب لا يمثّل الأُمّة، وليس عليه إجماع المسلمين.

الردّ على الجهمية والزنادقة

اعتمد ابن تيمية، وابن القيّم فى كثير من كتبهما على هذا المنشور خاصّةً كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية لابن القيّم.

ويحتوى هذا المنشور على الفصول التالية:

- باب فى بيان ما ضلّت فيه الزنادقة من متشابه القرآن.
- باب بيان ما فصّل الله بين قوله وخلقه وأمره.
- باب بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلّا وحياً وليس بمخلوق.
- باب بيان ما جحدت الجهمية من قول الله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ . (القيامة:۲۳)

باب بيان ما أنكر الجهمى من أن يكون الله قد كلّم موسى.

- باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش.
- باب بيان ما تأوّلت الجهمية من قول الله تعالى: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ . (المجادلة:۷)

ص:۲۹

- باب بيان ما ذكر الله فى القرآن: وَ هُوَ مَعَكُمْ. (الحديد: ۴)

- باب ما تأوّلت الجهمية من قول الله تعالى: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ. (الحديد: ۳)

والجهمية تُنسب للجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم، وهى محل تركيز الحنابلة وابن تيمية والوهّابيّين من بعدهم.

قال ابن حنبل فى شرح السنّة: وقد مضى سلف هذه الأُمّة وعلماء السنّة على أنّ القرآن كلام الله ووحيه ليس بخالق ولا مخلوق، والقول بخلق القرآن ضلالة وبدعة لم يتكلّم بها أحدٌ فى عهد الصحابة والتابعين، وخالف الجماعة الجعد بن درهم فقتله خالد بن سعيد القسرى بذلك، فخطب بواسط يوم أضحى، وقال: ارجعوا أيّها الناس فضحّوا تقبّل الله منكم، فإنّى مضحٍّ بالجعد بن درهم فإنّه زعم أنّ الله لم يتّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلّم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عمّا يقول الجعد، ثمّ نزل فذبحه، وكان الجهم بن صفوان صاحب الجهمية أخذ هذا الكلام من الجعد بن درهم.

وقال عنه الأشعرى فى مقالات الإسلاميين: زعم الجهم أنّ الجنّة والنار تفنيان، وأنكر الرؤيا، وأنكر أن يكون الله على العرش.

وقال ابنُ حزم فى الفصل بين الملل والنحل: اختلف الناس فى ماهيّة الإيمان؛ فذهب قومٌ إلى أنّ الإيمان إنّما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإن أظهر اليهودية والنصرانية وسائر الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة، وهذا قول: أبى محرز الجهم بن صفوان، وأبى الحسن الأشعرى البص-رى، وأصحابهما.

واعتبره ابن تيمية إمام الجهمية الجبرية، ومن نفاة الصفات؛ حيث قال عنه فى منهاج السنّة: إنّه فى أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أوّل مَن أظهر ذلك الجعد بن درهم، ثمّ ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة.

ص:۳۰

وقال: ولكن على قول الجمهور مَن قال إنّ الفعل هو المفعول كما يقول الجهم ومَن وافقه كالأشعرى، وطائفة من أصحاب مالك والشافعى؟ !(۱)

وقال الذهبى فى إثبات صفة العلو: وأوّل مَن خالف فى ذلك - فيما علمنا - الجهم ابن صفوان؛ فعاب ذلك عليه وعلى أصحابه الأئمة من العلماء، والسادة من الفقهاء، واستعظموا قولهم وبدعتهم.

وقال صاحب الأنساب: وجهم كان من أهل بلخ، وظهرت بدعته بترمذ، وقُتل بمرو فى آخر ملك بنى أُميّة، والمنكر فى عقيدته كثير وأفظعها كان يزعم أنّ الله عزّ وجل لا يوصف بأنّه شىء، ولا بأنّه حىٌّ عالم، وتسميته حيّاً وعالماً وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: إنّ الجهمية أرادوا أن ينفوا أنّ الله كلّم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلاّ ضُربت أعناقهم.(۲)

والآراء التى تُنسب للجهمية - كما اتّضح مما سبق ذكره - ليست خاصّة بهم، وإنّما يقول بها السلف والخلف من أهل السنّة، ويقول بها - أيضاً - المعتزلة وغيرهم من التيّارات المخالفة للوهابيّة. .

والتعلّق بفكرة الجهمية إنّما هو صورة من صور التمويه والتضليل التى مارسها الحنابلة فى الماضى، ويمارسها الوهّابيّون فى الحاضر، واتّخذوها ذريعةً لإرهاب المخالفين والبطش بهم، كما حدث مع الجعد وتلميذه الجهم.

وحالها أشبه بحال كلمة رافضى، التى كان يطلقها الحنابلة والفقهاء المتعصّبين فى الماضى على كلّ مَن كان يرى غير رؤيتهم فى مسألة الإمامة وعدالة الصحابة، ولازال يطلقها الوهّابيّون اليوم فى مواجهة الشيعة وغيرهم، كما سوف نبيّن.

۱- منهاج السنة، ج ۱، ص ۳۰۹ و ج۲، ص ۲۹۶.

۲- انظر التحفة المدنية فى العقائد السلفية.

ص:۳۱

والآراء التی نسبها ابن حنبل للجهمیة لا تخرج عن کونها آراء کلامیة لا تمس أصل الدین فی شیء، لکنّ ابن حنبل ضخّمها واستخدمها کوسیلة تخویف وإرهاب.

تخویف للمسلمین کی لا یخوضوا فیها ویبتعدوا عنها.

وإرهاب للمخالفین الذین یقولوا بمثل هذه المقالة.

وورث ابن تیمیة هذا العقل الإرهابی عن ابن حنبل، وورث ابن عبد الوهاب هذا العقل عن ابن تیمیة، وورثت الفِرَق والجماعات الوهّابیّة المعاصرة هذا العقل عن ابن عبد الوهّاب.

وأصل الخلاف بین ابن حنبل والآخرین حول هذه المسائل یعود إلی أمرین:

الأوّل: عدم استخدام العقل.

الثانی: الإسراف فی استخدام الروایة.

وفیما یتعلّق بالعقل، فقد نبذه ابن حنبل والحنابلة وجرّموا الرأی وأصحابه، علی ما سوف نبیّن.

وفیما یتعلّق بالروایة، فقد غالی فیها ابن حنبل والحنابلة من بعده واعتبروها مصدراً من مصادر الاعتقاد والتشریع، وهو ما ولّد فیما بعد فکرة ربط القرآن بالروایة، أو ما أُطلق علیه: السنّة.

وأزمة ابن حنبل مع المخالفین تکمن فی التأویل الذی رفضه، ورفضه الحنابلة من بعده؛ سیراً مع سُنّتهم فی تجریم العقل والرأی.

وتجریم العقل والرأی سوف یقود إلی التطرّف حتماً، وسوف یفتح الأبواب علی مصارعها لإرهاب المخالفین والبطش بهم، وهو ما ترجمه لنا سلوک الحنابلة فی مواجهة خصومهم، الذی رصدته لنا کتب التاریخ.(۱)

۱- سوف نعرض لصور من فتن الحنابلة فیما سیأتی.

ص:۳۲

وهو ما يترجم لنا السلوك الإرهابى للوهّابيّين بفِرَقهم المختلفة فى مواجهة خصومهم على مستوى الحاضر. (۱)

والجهمية والتيّارات الأُخرى تبنّت نهج التأويل فى مواجهة النصوص الواردة فى القرآن والخاصّة بصفات الله تعالى، كذلك الروايات المنسوبة للرسول (ص) ، ورفضوا أن تُؤخذ على ظاهرها أو على وجه الحقيقة.

قال ابن حنبل: إنّ القرآن ليس بمخلوق، وإنّ الله سوف يُرى يوم القيامة، وإنّه فوق العرش فى السماء، وإنّ له عيناً ويداً ويضحك ويغار وينزل إلى السماء الدنيا، إلى غير ذلك من الأُمور التى أشارت لها الروايات التى تبنّاها ابن حنبل، وتعصّب لها الحنابلة من بعده، وأخضعوا لها نصوص القرآن، وأرهبوا بها المخالفين.

ورفض الآخرون هذه الروايات، وقالوا بأنّ القرآن مخلوق، وأنّ الله من المستحيل رؤيته، وأنّ جميع الصفات الواردة لله فى القرآن والروايات يجب تأويلها وأخذها على وجه المجاز لا الحقيقة، فاليد تعنى القدرة، والعين تعنى الإحاطة، وكلام الله مع الرُسُل يكون بواسطة، ونزول الله يعنى نزول رحمته، وأنّ مشيئة الله منفصلة عن مشيئة العبد، وهو ما ينفى فكرة الجبرية.

واعتبر ابن حنبل والحنابلة من بعده هؤلاء من المبتدعة الضلّال المنكرين لسنّة رسول الله (ص) ، وحرّضوا المسلمين عليهم، وأفتوا بعدم جواز مناكحتهم والتعامل معهم، بل بوجوب إحراق كتبهم والتنكيل بهم.

قال ابن حنبل: ومَن ادّعى أنّ وجهه - أى: وجه الله تعالى - نفسه فقد ألحد، ومَن غيّر معناه فقد كفر، ويفسد أن تكون يده القوّة والنعمة والتفضّل، ومَن خالف ذلك وجعل العلم لقباً لله عزّ وجلّ ليس تحته معنى محقّق فهذا خروج عن الملّة.(۲)

۱- انظر لنا كتاب الحق والحقيقة بين الشيعة والسنّة فصل المتطرّفون، وتأمّل الصدامات بين الفِرَق الوهّابيّة فى جزيرة العرب وصداماتهم المستمرّة مع المخالفين من أهل السنّة، وتأمّل فِرَق الإرهاب الوهّابى التى ترفع شعار الجهاد، وترتكب الكثير من الحوادث والجرائم البشعة فى العراق وأفغانستان وباكستان وإيران، وغيرها من البلدان.

۲- انظراعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل.

ص:۳۳

ورسالـة الردّ على الجهميـة والزنادقـة – كما يبـدو من عنوانها – رسالـة متطرّفة شديدة اللهجة فى مواجهة الخصوم أسّست حالة العداء الدائمة للآخر فى نفوس الحنابلة، وبرّرت العدوان عليه واستحلاله.

وتلك الحالة توطّنت فى نفوس الوهّابيّين أيضاً، الذين ورثوا هذا الفكر المتطرّف عن ابن حنبل، وتبنّوا لغته الإرهابية.

رسالة السنّة

يقول ابن حنبل فى مقدّمـة هـذه الرسالـة: هـذه مـذاهب أهل العلم وأصـحاب الأثر (أقوال التابعين) ، وأهل السـنّة المتمسّكين بعروقها المعروفين بهـا، المقتـدى بهم فيهـا من لـدن أصـحاب النبى (ص) إلى يومنا هـذا، وأدركت مَن أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمَن خالف شـيئاً من هـذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السـنّة وسبيل الحق.

وكلام ابن حنبل هذا أصـبح سُـنّةً ثابتة للحنابلة من بعده، التزم بها: ابن تيمية، وابن القيّم، وابن كثير، ومحمّد بن عبد الوهاب، ثمّ الفِرَق التى تولّدت من هذا النهج.

وإضافـة مثـل هـذا الطرح للرسول (ص) ، والصـحابة، وأهـل العلم فيه نظر، وهو أشـبه بـالوهم؛ وذلـك يعود إلى انغماسـهم فى الرواية ومغالاتهم فيها، فظنّوا أنّهم يتمسّكون بها كما يتمسّكون بنهج الرسول (ص) .

ومسألة الروايات أو السنّة – كما يسمّونها – كانت ولا زالت محلّ خلافٍ بين المسلمين، فهناك تيّارات نبذتها كليّاً.

وهناك تيّارات تتعامل معها بحذر.

وهناك تيّارات تنادى بإخضاعها للقرآن والعقل.

وليس الحنابلة من بين هؤلاء.

ومن هنا نشأ تطرّفهم وتعصّبهم، والذى يبدو بوضوح من خلال استعراض النصوص التالية من عقيدة ابن حنبل:

ص:۳۴

يقول: والقدر خيره وشرّه، وحلوه ومرّه، وحسنه وسيّئه من الله قضاءً قضاه، وقدراً قدّره عليهم، لا يعدو واحداً منهم مشيئة الله عزّ وجلّ، ولا يجاوز قضاؤه، بل هم كلّهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدّر عليهم لأفعاله، وهو عدل منه عزّ وجلّ.

والزنا والس-رقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والش-رك بالله والمعاصى كلّها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجّة، بل لله الحجّة البالغة على خلقه، لا يسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وهذا الكلام يصطدم بعدل الله سبحانه فى خلقه ولطفه بهم، ويناقض فكرة العدل الإلهى التى تبنّتها الاتّجاهات الأُخرى وفى مقدّمتها: الشيعة والمعتزلة، ورفضه لا يعنى الاصطدام بالدين وأُصوله، بل الاصطدام بنهج الحنابلة وأفكارهم.

إلاّ أنّ الحنابلة اعتبروا الاصطدام بأفكارهم يعنى الاصطدام بالدين، وبرّر لهم هذا الاعتقاد الحكم على مخالفيهم بالزيغ والضلال والزندقة، بل تعدّوا هذا الموقف النظرى إلى الموقف الحركى، فقاموا بالاعتداء على خصومهم والتنكيل بهم ما بين الحين والآخر، وقد كثرت حوادثهم فى بغداد وغيرها كما سوف نبيّن.

يقول ابنُ حنبل: مَن زعم أنّ السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام وقتل النفس ليس بقضاء وقدر فقد زعم أنّ هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية، وأىّ كفر أوضح من هذا.

والغريب أنّ ابن حنبل ناقض نفسه بقوله: ولا نشهد على أحد من أهل القِبلة أنّه فى النار لذنبٍ عمله، ولا لكبيرةٍ أتاها إلاّ أن يكون فى ذلك حديث.

وهو بهذا القول قد أدان نفسه، وأصبح لا يجوز له أن يطعن فى الآخرين، ويتّهمهم بالمروق من الدين، ما داموا من أهل القِبلة، وما يخالفونه فيه لا يُعدّ من الذنوب أو من الكبائر، وإذا كان من الممكن أن يكون مخالفيه فى دائرة الخطأ، فمن الممكن أن يكون

ص:۳۵

هو أيضاً فی دائرة هذا الخطأ، إلّا إذا اعتبر کلامه هو الدین بعینه، وهو مالا یصح قوله، وإن کان یؤکّد ذلک من خلال طرحه.

ویمکن للقارئ أن یتأمّل تقیید ابن حنبل کلامه بقوله: إلّا أن یکون فی ذلک حدیث.

ومعنی هذا الکلام أنّه لو وجد روایة صحّت فی نظره تقول بکفر أصحاب الذنوب والکبائر لدان بها، وهو بهذا یعلّق أفکاره وعقائده بالروایات، ویمیل معها حیث مالت، فلا مجال عنده للاجتهاد، أو استخدام العقل، أو حتّی اللجوء لکتاب الله مادامت هناک روایة.

وتلک هی أزمة الحنابلة.

وأزمة الوهّابیّین وفِرَقهم من بعدهم.

لقد أقاموا دیناً علی أساس الروایات، وان خالف هذه الروایات مع القرآن والعقل، لا مجال فیه للحوار والعقل والرحمة والاعتدال والحریة.

أقاموا دیناً معالمه: الانغلاق، والغلظة، والتطرّف، واستحلال الآخر، وتبنّی عقل الماضی.

ثمّ یقول ابن حنبل: والخلافة فی قریش ما بقی من الناس اثنان، لیس لأحد من الناس أن ینازعهم فیها ولا یخرج علیهم، ولا نُقرّ لغیرهم بها إلی قیام الساعة. والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمّة - الحکّام - برّوا أو فجروا، لا یبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة والعیدان والحج مع السلطان، وإن لم یکونوا بررة عدولاً أتقیاء، ودفع العشور والصدقات والخراج والفیء والغنائم إلی الأُمراء، عدلوا فیها أم جاروا، والانقیاد إلی مَن ولاه الله أمرکم، لا تنزع یداً من طاعته، ولا تخرج علیه بسیفک حتّی یجعل الله لک فَرَجاً ومخرجاً، ولا تخرج علی السلطان وتسمع وتطیع ولا تنکث بیعة، فمَن فعل ذلک فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

ص:۳۶

ومعتمـد ابن حنبل فی هـذا الكلام الذی تفوح منه رائحة السـیاسة، ولا أثر فیه لرائحة الدین، هو الروایات التی أقلّ ما یُقال فیها إنّها من صُنع السیاسة.

ومخالفة هذا الكلام أمر محمود، فلا یجوز أن یكون الدین وسـیلةً لتبریر الظلم والفساد والإرهاب وإضفاء المشروعیة علی الحكّام وإن فجروا وفسقوا وأصبحوا بلاءً علی البلاد والعباد.

ولاـ یجوز لاـبن حنبـل أن ینسب مثـل هـذا الكلام للـدین ویجعله من المعتقـدات الملزِمـة للمسـلمین، ویـدّعی أنّه محلّ إجماع الأُمّـة، والسلف قد باركوه.

من هنا فإنّ الحكم علی الرافضین لهذا الكلام بأنّهم مبتدعة مفارقین للجماعة إنّما هو حكم سیاسی لا دینی.

وابن حنبل ینطق هنا بلسان الحكّام لا بلسان الدین.

ومرّةً أُخری یعود ابن حنبل إلی القول: والكف عن أهل القِبلة، ولا نكفّر أحداً منهم بذنب، ولا نخرجه عن الإسـلام بعمل إلّا أن یكون فی ذلك حدیث.

إلّا أنّه یضیف هذه المرّة: أو یبتدع بدعة ینسب إلی صاحبها الكفر والخروج من الإسلام، فاتّبع الأثر فی ذلك ولا تتجاوزه.

وهـذا الكلاـم إنّما اختُرع لمواجهـة حالات التمرّد والرفض والغلیان الـذی ساد أوساط المسـلمین فی زمن ابن حنبل تجاه فساد الحكّام ومظالمهم ومنكراتهم.

وابن حنبل استسـلم للفساد والانحراف السائـد فی عص-ره وبرّره ودافع عنه، واحتجّ علی موقفه السـلبی هذا بالروایات غیر المسـلَّم بها عند التیارات الأُخری، ومن جانبٍ آخر احتجّ بأنّه لا توجد آثار توجب مواجهة مثل هذه الحالات.

وعلی هـذا الأساس یُعـدّ جمیع المخالفین لهـذه الرؤیة من أهل البِدَع التی یقدّرها ابن حنبل بقدرها، فأقوال الجهمیة والشـیعة والمعتزلة بدعة ینسب إلی صاحبها الكفر والخروج عن الإسلام.

ص:۳۷

أمّا الـذين يرفضون طاعـة الحكّام الجائرين فيـدخلهم ابن حنبل فى دائرة المبتـدعين على اسـتحياء، فهم أصـحاب بدعة مخفّفة، وهو ما يتّضح من قوله: فمَن فعل ذلك -أى: خرج على الحكّام - فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

وقال ابن حنبل عن الجنّة والنار: لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضلّ سواء السبيل.

ولا تعليق لنا على هذا الكلام سوى القول بأنّ ابن تيمية قد خالف هذا القول وقال بفناء النار.

ويقول ابن حنبل عن مكان الله سبحانه: وهو على العرش فوق السماء السابعة.

وهذا القول هو الذى تأسّست عليه فكرة الفوقيّة التى تبنّاها الحنابلة، ودعموها بالروايات، وحكموا على رافضيها بالزيغ والضلال.

وتبنّاها من بعدهم الوهّابيّون واعتبروها من عقائد الفرقة الناجية من النار مَن خالفها فهو من الضآلين المبتدعين.

ويتـابع ابن حنبـل: والقرآن كلام الله تكلّم به، ليس بمخلوق، ومَن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمى كافر، ومَن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأوّل، ومن زعم أنّ ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقـة والقرآن كلام الله فهو جهمى، ومَن لم يكفِّر هؤلاء القوم كلّهم فهو مثلهم. وكلّم الله موسى تكليماً من فيه - فمه - وناوله التوراة من يده إلى يده.

وابن حنبل - بهـذه الأقوال المتطرّفـة - يكون قـد كفّر الشـيعة والمعتزلـة وغيرهم من أهل القِبلَة، ممّن قالوا بخلق القرآن، تلك المسألة الكلاميـة التى ضـخّمها ابن حنبل وجعلها من أُصول الـدين التى يكفر مخالفها، وما له حجّة فى هذا سوى أنّه لم يجد من بين الروايات والآثار ما يدعم فكرة خلق القرآن.

وموقف ابن حنبل هذا إنّما يعود إلى كونه امتُحن وفُتن وحُبس بسـبب مسألة خلق القرآن فى عصر المأمون العبّاسى والمعتصم والواثق من بعده، كما أشرنا سابقاً.

ص:۳۸

من هنا كان ردّ فعل ابن حنبل شديداً متطرّفاً فى مواجهة خصومه القائلين بخلق القرآن، وردّ الفعل لا يجوز أن تُبنى عليه المواقف والأحكام الشرعيّة خاصّة ما يتعلّق منها بالكفر والإيمان.

وحالة ابن حنبل هذه تتطابق معها حالة سيّد قطب الذى فُتن وحُبس على يد عبدالناصر فى فترة الخمسينيات مع عناصر جماعة الإخوان المسلمين.(۱)

ويصر ابن حنبل على أنّ الله سبحانه كلّم موسى مباشرةً دون واسطة، كالشجرة التى ذُكرت فى بعض الروايات، كما يُصرّ على أنّ الله ناوله التوراة بيده.

وينتقل ابن حنبل بعد ذلك إلى قضيّةٍ جديدةٍ لا ـ صلة لها بأُصول الدين وثوابته، وهى قضيّة من قضايا الرأى، إلّا أنّه تحت وطأة الروايات وأقوال الرجال تمّ تضخيمها ألا وهى قضيّة الصحابة.

يقول ابن حنبل: ومن الحجّة الواضحة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول‌الله (ص) كلّهم أجمعين، والكفّ عن ذكر مساويهم والخلاف الذى شجر بينهم، فمَن سبّ أصحاب رسول الله أو أحداً منهم، أو تنقّصه، أو طعن عليهم، أو عرض بعيبهم، أو عاب أحداً منهم، فهو مبتدع رافضى خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وخير الأُمّة بعد رسول الله: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ على، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديّون، ثمّ أصحاب رسول الله بعد هؤلاء الأربعة خير الناس؛ لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحدٍ منهم بعيبٍ ولا

۱- انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر، والفرق كبير بين ابن حنبل وسيّد قطب؛ فابن حنبل لم يخرج من خلال محنته بأُطروحة فكريّة جديدة أو يتنازل عن فكرة التعبّد بالروايات وأقوال الرجال، بل خرج من محنته أشدّ تطرّفاً لأفكاره ومعتقداته البعيدة كلّ البعد عن السياسة أو التغيير، عكس سيّد قطب الذى طرح أفكاراً جديدة للتغيير والمواجهة مع الواقع والحاكم على حساب أفكار وأُطروحة البنّا مؤسّس الإخوان المسالمة للواقع والحاكم.

ص:۳۹

بنقص، فمَن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلّده بالحبس حتّى يموت أو يرجع.

وهذا الكلام هو محلّ إجماع مذاهب وفقهاء أهل السنّة وليس الحنابلة وحدهم، لكنّه غير مسلَّم به عند المذاهب والتيارات الأُخرى.

وأسانيد ابن حنبل فى هذا الاعتقاد هى الروايات التى أضفت القداسة على الصحابة، وألبستهم ثوب المثالية، مخالفةً بذلك نصوص القرآن.

وقام الحنابلة وفقهاء أهل السنّة بشرح هذه الروايات واستنباط القواعد التى تحول دون الخوض فى الصحابة أو المساس بهم.

وحتّى تُصان هذه القواعد وتكون بعيدةً عن الشك والشبهات، ويسلّم بها الجميع تمّ وضعها فى كتب العقائد لتتحوّل مع مرور الزمن إلى عقائد ثابتة لا يجوز إعمال العقل فيها ويقاس على أساسها إسلام المسلم وسلامة دينه.

من هنا اشتُقّت فكرة عدالة جميع الصحابة دون استثناء، وهى فكرة تصطدم بنصوص القرآن الواردة فيهم، خاصّةً نصوص سورة التوبة.(۱)

وفكرة عدالة الصحابة تعود لأُصول مذهبيّة وسياسيّة نابعة من الصراع الذى دار بين الاتّجاه القَبَلى الذى ساد واقع المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) والدول التى قامت على أساسه، واتّجاه أهل البيت: (۲)

اعتمد الاتّجاه القبلى على الصحابة كسند شرعى فى مواجهة أهل البيت، ولمّا كان الصحابة لا يحملون صفات ومؤهّلات أهل البيت، وقد دبّت بينهم الخلافات،

۱- يطلق الفقهاء على سورة التوبة بالفاضحة لكونها تفضح المنافقين حول الرسول والبعض الآخر يسمّيها سورة العذاب لما تحوى من صنوف الوعد والوعيد التى تتعلّق بمَن حول الرسول ص .

۲- انظر لنا كتاب السيف والسياسة.

ص:۴۰

ووقعت بينهم الصراعات، وظهرت بينهم الانحرافات، استخدم سلاح الإرهاب لتخويف المسلمين، والحيلولة بينهم وبين الخوض فى حقيقة وواقع الصحابة.

من هنا برزت فكرة تحصين الصحابة، وعدم جواز المساس بهم، والخوض فى خلافاتهم ومساويهم حتّى لا تتضح الرؤية أمام المسلمين وتتكشّف حقيقة الاتّجاه القبلى والحكّام.

واعتُبر مَن يخوض فى أمر الصحابة ويتكلّم فيهم بمثابة ساب لهم يجب ردعه ومعاقبته.

وتبحّر الفقهاء فى هذا الأمر وظهرت العديد من الكتب التى تركّز على الصحابة والأحكام الخاصّة بهم.

وتمّ قتل العديد من المسلمين بدعوى سبّ الصحابة. ۱

ويظهر لنا من كلام ابن حنبل عن الصحابة أنّه قد جعلهم من أُصول الدين؛ وذلك حين أوجب على مَن أسماهم بالرافضة الاستتابة، وهو بهذا الحكم يساويهم بالمرتدّين، ويفتح الباب على مصارعه للحكّام كى ينالوا من الذين يخوضون فى أمر الصحابة، ويبطشوا بهم بدعوى الحفاظ على الدين.

وقد أكّد لنا ابن حنبل مدى ارتباطه بالحكّام وربط عقيدته بهم حين أحال أمر الذين يخوضون فى الصحابة إلى الحكّام ليعاقبوهم بالحبس حتّى الموت.

يقول ابن حنبل: والدين إنّما هو كتاب الله عزّ وجلّ وآثار وسنن وروايات، وأصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعة ضلّال، إلّا أن يكون فى ذلك أثر عمّن سَلَف من الأئمّة الثقات.

ويختتم عقيدته بقوله: وأصحاب الرأى أعداء للسنّة والأثر يبطلون الحديث

۱) انظر لنا دماء وأغلال: صور من اضطهاد الشيعة عبر التاريخ، وانظر تاريخ ابن كثير ج ۱۴، ص۳۵۳، قصّة مص-رع قتل الرافضى الخبيث؛ وانظر الصواعق المحرقة على أهل البِدَع والزندقة لابن حجر الهيتمى قصّة إعدام مسلم اتّهم بسبّ الشيخين.

ص:۴۱

ويردّون على الرسول (ص) ، ويتّخذون أبا حنيفة ومَن قال بقوله إماماً، ويدينون بدينهم، وأىّ ضلالٍ أبين ممّن قال بهذا وترك قول الرسول وأصحابه؟ فكفى بهذا غيّاً مُردياً وطغياناً.

ونقل الوهّابيّون عن ابن حنبل قوله: مَن قال إنّ الإيمان مخلوق فقد كفر، ومَن قال إنّه غير مخلوق فقد ابتدع. .

ومَن خالف الإجماع والتواتر فهو ضالٌّ مضل، ويفسق مَن خالف خبر الواحد. .

وأنّ الدار إذا ظهر فيها القول بخلق القرآن والقدر وما يجرى مجرى ذلك فهى دار كفر.

وأنّ الداعية إلى البدعة لا توبة له. .

وأنّ مَن ترك الصلاة فقد كفر وحلّ قتله.(۱)

وهكذا أفرغ ابن حنبل ما فى جُبّته بعد أن أطلق سهامه على جميع المخالفين له من أهل الرأى فى دائرة أهل السنّة وخارج دائرتهم، ليسنّ سنّة الإرهاب والتطرّف فى واقع المسلمين، تلك السنّة التى لا تزال آثارها ممتدّة حتّى اليوم ومتمثّلة فى النهج الوهّابىّ.

وقد حمل تراث ابن حنبل جيل من الحنابلة، يساندهم قطّاع من عوام بغداد، انطلق يرهب الناس والمخالفين ويرفع راية التكفير والزندقة فى مواجهتهم.

وإذا كان الأُستاذ الإمام بهذا القدر من التطرّف فكيف يكون حال تلاميذه؟

لا شكّ أنّ حجم مدافعهم سوف تكون أكبر وطلقاتهم سوف تكون أشدّ.

وهذا ما تشهد به وقائع التاريخ، فيما أطلق عليه المؤرِّخون فتن الحنابلة وهى

حوادث وقعت فى فترات متفرِّقة ضمن حدود بغداد موطن الحنابلة، كان ضحيّتها المخالفين على الدوام فقهاء وعوام من السنّة والشيعة.

وكان الحنابلة قد قويت شوكتهم بدعم من المتوكّل العبّاسى، ومن بعده من خلفاء بنى

۱- انظراعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل.

ص:۴۲

العبّاس الذين عملوا على استثمارهم فى تقوية نظام حكمهم وتصفية المعارضين لهم.

ومنذ ذلك الحين كثرت اعتداءاتهم على العامّة والنساء فى الطرقات والتفريق بينهما فى الأسواق، ومهاجمة الأسواق لمنع الاختلاط ومقاومة البدع.

ودخلوا فى صدامات دَمَويّة مع الشيعة والأشاعرة والشافعية والأحناف والمعتزلة.

ففى حوادث عام ۳۲۰ ه-: وقعت فتنة بين الحنابلة والأشاعرة.

وفى حوادث عام ۳۴۰ ه-: وفى رمضان منها وقعت فتنة عظيمة بسبب المذاهب.

ويروى الذهبى فى تاريخه عن أحداث عام (۳۹۸ ه-) أنّ فى هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنّة فى بغداد وكاد أن يقتل الشيخ أبو حامد الاسفراينى، فأنفذ الخليفة القادر الفرسان لمعاونة أهل السنّة وقمع الشيعة.

وغير هذه الحوادث كثير ممّا رصدته كتب التاريخ.(۱)

ومثل هذه المدافع التى حملها الحنابلة فى مواجهة الناس والمخالفين، والتى هى من صناعة إمامهم ابن حنبل، لم توجّه فى يوم من الأيام إلى الحكّام، وهذا الأمر إنْ دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ عقيدة الحنابلة فى مضمونها عقيدة حكومية فى صالح الحاكم لا فى صالح الجماهير.

وهو يدلّ من جانبٍ آخر على أنّ هذه العقيدة قد فُرضت على المسلمين بضغط الحكّام ولو قُدّر لها أن تسلك السبيل المعتاد فى الدعوة الذى سلكته الشيعة من بعد الإمام على (ع) ، والمعتزلة والمذاهب الأُخرى لما قُدّر لها البقاء والانتشار، والبرهان على ذلك أنّ مذهب الحنابلة سقط وتوارى بعد سقوط الدولة العبّاسية، واتّجهت الدول التى ظهرت بعدها نحو الأشاعرة والماتريدية والمذاهب الأُخرى.

ويبدو أنّ الاتّجاهات الأُخرى لم تستسلم لمدافع ابن حنبل، بل استدارت عليه

۱- انظر فتن الحنابلة فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وانظر حوادث عام ۳۲۰ و۳۴۶ و۳۴۸ و۳۴۹ ه-، وانظر سيرة البربهارى الحنبلى المتطرّف فى الفصل القادم.

ص:۴۳

وهاجمته وطعنت فی عقیدته وتصوّره، ممّا دفع به إلی أن یسلّط علیهم مدافعه فی نهایة رسالته بقوله: وقد رأیت لأهل الأهواء والبِدَع والخلاف أسماء شنیعة قبیحة یسمّون بها أهل السنّة یریدون بذلک عیبهم والطعن علیهم والوقیعة فیهم والإزراء بهم عند السفهاء والجهّال.

فأمّا المرجئة فإنّهم یسمون أهل السنّة شکاکاً وکذبت المرجئة.

وأمّا القدریة فیسمّونهم المجبّرة وکذبت القدریة.

وأمّا الجهمیة فیسمّونهم المشبّهة وکذبت الجهمیة أعداء الله.

وأمّا الرافضة فیسمّونهم الناصبة وکذبت الرافضة.

وأمّا الخوارج فیسمّونهم مرجئة وکذبت الخوارج.

وأمّا أصحاب الرأی فیسمّونهم حشویة، وکذب أصحاب الرأی أعداء الله، بل هم الحشویة ترکوا آثار الرسول وحدیثه وقالوا بالرأی وقاسوا الدین بالاستحسان، وحکموا بخلاف الکتاب والسنّة، وهم أصحاب بِدْعة جهلة ضلّال وطلّاب دنیا بالکذب والبهتان.

وختم ابن حنبل رسالته بهذا الدعاء: اللّهمّ ادحض باطل المرجئة، وأوهن کید القدریة، وأذلّ دولة الرافضة، وامحق شبه أصحاب الرأی، واکفنا مؤنة الخارجیة - الخوارج - وعجّل الانتقام من الجهمیة.

ونخرج من هذا العرض لرسالة السنّة أنّ قذائفها أشدّ فتکاً من سابقتها، وأنّ ابن حنبل قد أعلن عن وجهته صراحةً من خلالها.

فهو قد أعلن أنّ هذه الرسالة تمثّل عقیدة السلف من الصحابة والتابعین.

وأعلن أنّ الخارج عن حدودها والمخالف لها مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبیل الحق.

ونسب الظلم إلی الله سبحانه حین ربط الزنا والسرقة والخمر والقتل بمشیئة الله

ص:۴۴

وإرادته، وربط الحكم بصلاح المسلم ونجاته من النار بالرواية وليس بالقرآن.

وأعلن أنّ الخارج عن السلطان مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

وأعلن أنّ الله فی السماء فوق العرش يتحرّک ويتكلّم ويضحک ويفرح وينزل إلى الدنيا، وخلق آدم على صورته، ويضع قدمه فی النار. . . ، هذه الصفات التی جاءت بها الروايات ولم يأت بها القرآن، والتی تضع ابن حنبل ومَن سار فی ركاب هذه الروايات فی دائرة التجسيم.

وأعلن تكفير الجهمية لقولهم بخلق القرآن، وأدخل معهم فی دائرة التكفير الشيعة والمعتزلة الذين يتبنّون نفس الفكرة.

وتطرّف ابن حنبل فی موقفه أكثر فكفّر الذين يقولون بأنّ القرآن كلام الله وكفى، والذين يقولون بأنّ الألفاظ والتلاوة مخلوقة، وإنّ مَن لم يكفِّر هؤلاء فهو مثلهم.

وأخرج من دائرة الإسلام الذين يتبنّون مواقف من الصحابة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم، الذين لا يعترفون بمعاوية ويهاجمونه، ويتبنّون نفس الموقف من عمروبن‌العاص، أو المغيرة بن شعبة، أو عثمان، أو أبی‌هريرة، وغيرهم من الصحابة الذين ارتبطوا بالفتن والخلافات التی وقعت بعد وفاة الرسول (ص) .

وتجاوز هذا الحدّ بأن حرّض الحاكم عليهم، وأفتاه بجواز تأديبهم وحبسهم وقتلهم.

وحدّد الدين فی دائرة الكتاب والسنّة والسلف، أی: ربط الرواية والرجال بالقرآن، فكأنّ مَن نبذ الرواية والرجال نبذ القرآن وخرج من الإسلام؛ وهو بهذا قد أضفى القداسة على الرواية والرجال وأرهب المسلمين من المساس بهما.

وفی رسالة أُخرى لابن حنبل تحت عنوان (كتاب الصلاة) أعلن ابن حنبل تكفير تارک الصلاة وعدم جواز الصلاة عليه ودفنه فی مقابر المسلمين.

ويظهر لنا - من خلال أفكار ابن حنبل - أنّها استمدّت جميعها من الروايات وأقوال الرجال، أی: السنّة والأثر، فمن ثمّ فهو رجل تقليدی يتعبّد بنصوص التراث كما هی

ص:۴۵

ولا يعطى لأتباعه فرصة إعمال العقل فيها، كما لا يعطى لخصومه فرصة نقدها.

ولعلّ تمسّك ابن حنبل بالروايات وأقوال السلف هو الذى جعل له شعبية وسط العامّة الذين تجذبهم الروايات بدافع عشقهم للرسول (ص) وجيله، فقول الرسول أو الصحابى يجذب الناس ويستقطبهم، أمّا الرأى فله خواصه من الناس.

وهذا ما جذب إليه البدو الوهّابيّين وفِرَقهم المعاصرة التى يتزعّمها السوقة والعوام وضعاف العقول.

ص:۴۶

ص:۴۷

البربهاری

اشارة

کـانت سـنّة الوهّـابیّین دائماً هی البحث والتنقیب عن التراث الحنبلی الشاذ الـذی ضُـرب فی زمانه وانـدثر وانتهی أمره، مثل: تراث ابن تیمیة وتلمیذیه ابن القیّم وابن کثیر، وغیرهم من الحنابلة المتطرّفین.

ومن بین کتب الحنابلة التی اکتشفها الوهّابیّون مؤخّراً رسالة صغیرة لواحد من أئمّة الحنابلة المتطرّفین فی زمانه، وهو الحسن البربهاری (ت۳۲۹ه) کانت من بین المخطوطات المصوّرة بمکتبـة جامعـة اُمّ القری، وهی بروایـة غلام خلیل المشـهور بالکـذب ووضع الحدیث عند الفقهاء (ت۲۷۵ه) .

وقد یثیر هذا الأمر الشک فی صـلة غلام بالبربهاری لوفاته قبله بأکثر من نصف قرن، لکنّ هذا الشک سرعان ما یزول إذا ما تبیّن لنا أنّ البربهاری عاش أکثر من تسعین سنة.

إلّا أنّ محقّق الرسالة الوهّابی وهو مدرّس فی قسم العقیدة بجامعة اُمّ القری ینفی صـلة غلام بالبربهاری، ویقول: فإذا کان هذا هو حال الرجـل فی الکـذب علی رسول‌الله (ص) فلمـاذا لاـ یکون من باب أولی أن یکـذب علی الناس وأن یسـرق جهود العلماء وینسـبها إلی نفسه خاصّة وأنّه کان من المعاصرین للبربهاری؟

وتجدر الإشارة هنا إلی أنّ رسالة البربهاری، التی سوف نعرض لها هنا، مطبوعة

ص:۴۸

ضمن الجزء الثانى من كتاب طبقات الحنابلة.

أمّا البربهارى فقد ارتبط بالعديد من الفتن والحوادث التى وقعت فى زمانه، وكان دوره فيها هو تحريض الحنابلة على البطش بالآخرين من خصومهم، والتى كانت تصل إلى حدّ إحراق البيوت وتحطيم الحوانيت وتعطيل الأسواق، بالإضافة إلى إراقة الدماء.

وهو ما أدّى بالخليفة القادر العبّاسى إلى التدخّل والقبض على البربهارى وجماعته، إلّا أنّه فرّ من بغداد بعد القبض على العديد من أتباعه.

وبعد الإطاحة بالقاهر جاء الراضى فطارد الحنابلة ونودى فى الطرقات ببغداد: أن لا يجتمع من أصحاب البربهارى نفسان فاستتروا عن الأنظار، واختفى البربهارى حتّى توفّى.

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: لماذا يقوم الوهّابيون بنش-ر رسالة البربهارى هذا وتاريخه يشهد بالتطرّف والإرهاب؟

والجواب هو أنّ البربهارى على شاكلتهم ومن طينتهم، وكلّ إناءٍ ينضح بما فيه.

ولو كان الوهّابيّون أصحاب عقل وفكر مستقيم لما التفتوا إلى مثل هذه الرسالة المتطرّفة الفارغة، لكنّ الاعوجاج طبيعتهم، والتطرّف سبيلهم، والسطحية نِحلتهم.

رسالة البربهارى

ويصر الوهّابيّون على ادّعاء أنّهم يمثّلون أهل السنّة، وأنّهم الفرقة الناجية من النار التى تجمع القلوب على معتقد رسول الله (ص) ؛ من هنا اعتبر الوهّابيّون أنّ المخالف لهم يُعدّ من أهل الأهواء والبِدَع والملل والنحل الضالّة.

يقول محقّق الرسالة فى مقدّمته: وكان من أوّل علامة الخذلان والضياع للفرق

ص:۴۹

الأُخرى اسمها الذى تتسمّى به كالخوارج والجهمية والمعتزلة والرافضة (الشيعة) والأشاعرة والماتريدية والكلابية وغيرها؛ لأنّ الاسم دليل على مسمّاه.

وهذا الكلام الساذج مردود على صاحبه؛ إذ إنّ من المعروف تاريخياً أنّ هذه التسميات ليست من صنع أصحابها، وإنّما هى من صنع خصومهم من الكتّاب والمؤرِّخين.

وهذه الاتّجاهات والفِرَق - كما يسمّونها - تتبنّى الروايات ولكن بطُرُقٍ مختلفةٍ عن طُرُق أهل السنّة، كما أنّ من هذه الاتّجاهات مَن يتبنّى نفس روايات أهل السنّة ومعتقداتهم كالأشاعرة والماتريدية، إلاّ أنّهما يختلفان مع الحنابلة.(۱)

ولا يزال الأزهر يدرّس عقيدة الأشعرى والماتريدى على تلاميذه، فى الوقت الذى أُهملت فيه عقيدة الحنابلة التى يتسلّح بها الوهّابيون اليوم.

ومثلما أطلق الحنابلة هذه التسميات التى اعتبرها المحقّق علامة الخذلان والضياع على خصومهم، أطلق الخصوم أيضاً تسميات متعدّدة عليهم حدّدها ابن حنبل فى عقيدته وقد سبق ذكرها.

وما يمكن قوله حول تسميات الخصوم للحنابلة، وعلى رأسها تسمية الحشوية والمشبّهة، إنّها تسميات صحيحة ودقيقة وهى بمجملها تنطبق على الوهّابيين الحنابلة اليوم.

والخصوم لم يطلقوا هذه التسميات عليهم من فراغ، وإنّما أطلقوها بسبب إغراقهم فى الروايات، وتعصّبهم لها.

والأزمة هنا تكمن فى أنّ الوهّابيّين الحنابلة اعتبروا أنفسهم الممثِّل الشرعى الوحيد

۱- تبنّت العديد من الدول عقيدة الأشعرى لتسود العديد من بلاد المسلمين وعلى رأسها الدولة الأيّوبية، وتبنّت العديد من الدول الأُخرى عقيدة الماتريدى وعلى رأسها الدولة العثمانية، بينما لم تتبن دولة واحدة عقيدة ابن حنبل إلاّ دولة آل سعود فى العصر الحديث.

ص:۵۰

للإسلام، واعتبروا سواهم خارج دائرته، وهو ما برّر لهم مخاصمة المخالفين والعدوان عليهم.

والحق أنّ الحنابلة فی الماضی أو الوهّابیّین فی الحاضر لا یتمیّزون بشیءٍ علی مَن سواهم من أهل السنّة أو الاتّجاهات الأُخری، بل العکس هو الصحیح أنّ الآخرین هم الذین یتمیّزون علیهم بتقدیمهم کتاب الله علی الروایات واحترامهم للعقل.

وفکرة القیمومة علی الآخرین والوصایة علی الدین التی تبنّوها هی أساس تطرّفهم فی مواجهة الآخر، وهی نابعة من السیاسة لا من الدین، فقد أعطاهم الحکّام الفرصة للتمکّن والانتشار والسیادة علی الآخر فی بعض الفترات الزمنیة، والتی أدّت إلی تقوقع التیّارات الأُخری وانعزالها، ممّا جعلهم یتصوّرون أنّهم أصحاب الحق المطلق والوحید للدین.

ولولا دعم آل سعود للوهّابیّین ما کان یمکن أن یکون لهم صوت أو وجود بین المسلمین.

نص الرسالة

یقول المحقّق: هذا الکتاب یظهر للقارئ من خلال قراءته أهمّیّته وجودته، فقد قرّب مفاهیم العقیدة السلفیة للناس بأُسلوب سهل ومیسّر، وأظهر نصرة السنّة ومحاربة البِدعة، وشدّد الإنکار علی أهل الأهواء المضلّة، وخلّصه من دنس علم الکلام، غیر أنّ کلّ عمل بشری لا یخلو من نقص.

وکتاب البربهاری یسوق القضایا العقدیة مجرّدة من الدلیل فی الغالب، ثمّ یثنی علی کتابه هذا إلی حدّ الإلزام به، وهذا أمر غیر مقبول منه، فهدی السلف عدم إطراء أنفسهم.

ونحن نتقدّم بالشکر للمحقّق علی هذه الرؤیة النقدیة المتحفّظة التی کشفت لنا عورة هذه الرسالة قبل الخوض فیها والاطّلاع علی نصوصها.

یبدأ البربهاری بقوله: اعلم أنّ الإسلام هو السنّة، والسنّة هی الإسلام، ولا یقوم

ص:۵۱

أحـدهما إلّا بالآخر، فمن السـنّة لزوم الجماعة ومَن رغب فی غیر الجماعة وفارقها فقد خلع رِبْقَة الإسـلام من عنقه، وکان ضالاً مضـلاً، والأساس الذی بیّنا علیه الجماعة هم أصـحاب محمّد (ص) وهم أهل السنّة والجماعة، فمن لم یأخذ عنهم فقد ضلّ عنهم وابتدع وکلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها فی النار.

فمَن خالف أصحاب رسول الله فی شیء من أمر الدین فقد کفر.

وکـان الأجـدر بالبربهـاری أن یقول: إنّ الإسـلام هو القرآن، والقرآن هو الإسـلام، لاـ أن یربط الإسـلام بمصـدر هو محلّ خلافٍ بین المسلمین.

إلّا أنّ المقصود بهذا الکلام هو ربط الإسلام بالحنابلة وربط الحنابلة بالإسلام.

المقصود هو إسلام الحنابلة الذی یقوم علی الروایات والآثار لا علی نصوص القرآن.

کذلک الجماعة المقصود بها هنا جماعة الحنابلة التی یرید البربهاری أن یوحی للقارئ أنّها امتداد للصحابة والرسول (ص) .

وربط الدین بالصـحابة فکرة سیاسـیة موجّهة إلی قطّاع معیّن من الصـحابة من أصـحاب التوجّه القبلی الذی استمدّ منهم الحکّام مش- روعیّتهم، ولیس إلی الصحابة أصحاب التوجّه النبوی الذین ساروا وفق خطّ الرسول (ص) وناصروا أهل البیت: .

المقصود بهم: أبوبکر، وعمر، وعثمان، ومعاویة، ومَن سار فی رکابهم، ولیس المقصود بهم: علی، وعمار، وأبو ذر، وسلمان، ومَن سار فی رکابهم.

والحنابلـة الـذین قـدّسوا الروایـة إنّما یسـتمدّون روایاتهم من الجانب القبلی الـذی رسم لهم سـنّة رسول الله (ص) بما یخدم توجّهاتهم ومصالحهم، فمن ثمّ تُعـدّ أیّـة محاولـة للمساس بهـذا الجانب ردّة عن الدین فی منظور الحنابلة؛ لکونها سوف تؤدّی إلی هدم مذهبهم الذی یقوم علی هذه الروایات والذی یتصوّرون أنّه الدین.

وهو ما یبدو لنا بوضوح من خلال قول البربهاری: فمَن خالف أصحاب رسول‌الله فی شیء من أمر الدین فقد کفر.

ولکن ما هو الدلیل الشرعی علی هذه الفتوی البربهاریة الإرهابیة؟

ص:۵۲

والجواب بالطبع هو ليس هناك دليل شرعى على هذا الكلام، وهو ما تنبّه له المحقّق؛ فسارع إلى نجدة البربهارى بقوله: كلامه محمول على مَن أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومتابعة الصحابة واجبة، وساق بعض الروايات، منها:

عليكم بسنّتى وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدى عضّوا عليها بالنواجذ.

اقتدوا بالذَين من بعدى: أبى‌بكر، وعمر.

والرواية الأُولى طُبّقت على الخلفاء الأربعة، أو بمعنى أصحّ اخترعت لهم لتضفى المشروعية على النهج القبلى، فهى من جانبٍ لم تحدّد لنا مَن هم الخلفاء الراشدين، ومن جانبٍ آخر إذا سلّمنا بأنّ المقصود بها الخلفاء الأربعة فإنّ كلّ خليفة من هؤلاء له سنّته الخاصّة التى تتناقض مع الآخر.

والحقيقة أنّ سنّة الخلفاء يقصد بها النهج القبلى، الذى فرّخ أمثال: معاوية والملك العضوض الذى شوّه الإسلام ووطّن للإرهاب فى واقع المسلمين.

إلّا أنّ ربط كلام البربهارى الذى يقضى بتكفير مَن خالف أصحاب رسول الله بما هو معلوم من الدين بالضرورة - كما ذكر المحقّق - زاد الطين بِلّة، فكلام البربهارى واضح ويقصد به مَن خالف الرواية التى يأتى بها الصحابى، أو رفضها فهو كافر، وهو كلام موجّه للشيعة خاصّةً والاتّجاهات الأُخرى المخالفة عامّةً، الذين لا يعترفون بروايات الحنابلة.

والمعلوم من الدين بالضرورة يقصد به فى لغة الفقهاء: الأُصول التى لا يجوز إنكارها فى الدين، مثل: الإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر والقرآن والبعث والجنّة والنار، ونكران الأوامر الإلهيّة الصريحة فى القرآن وما شابه ذلك.

لكنّ الحنابلة أدخلوا معتقداتهم ومفاهيمهم فى دائرة المعلوم من الدين بالض-رورة، ومنها قضيّة الصحابة والروايات وصفات الله سبحانه، واستخدموا هذا السلاح فى إرهاب الخصوم.

لقد أراد المحقّق أن ينقذ البربهارى فأغرقه وأغرق نفسه معه بربطه الصحابة بما هو

ص:۵۳

معلوم من الدين بالضرورة، واعتبار اتّباعهم واجب شرعى ممّا يعنى مساواتهم بالرسول (ص) .

والبربهارى ومعه المحقّق كلاهما يهدفان إلى إرهاب المسلمين كى لا يحيدوا عن الروايات ويعملوا عقولهم فيما يسمعون ويتلقّون.

يقول البربهارى محذِّراً: انظر كلّ مَن سمعت كلامه من أهل زمانك فلا تعجلن وتدخلن فى شىء منه حتّى تسأل وتنظر: هل تكلّم فيه أحد من أصحاب النبى (ص) ، أو أحد من العلماء، فإن أصبت فيه أثراً منهم فتمسّك به ولا تتجاوزه لشىء ولا تختر عليه شيئاً فتسقط فى النار.

وهذا الكلام إنّما هو امتداد للكلام السابق المتعلّق بلزوم اتّباع الصحابة والترهيب من الانحراف عنهم، وزاد عليه هنا اتّباع العلماء الذين هم الحنابلة بالطبع.

وهى دعوة صريحة للتمسّك بالأثر وإلغاء العقل والعيش بعقل الماضى، وهى الدعوة التى يتبنّاها الوهّابيّون والجماعات المعاصرة.

ويتحدّث البربهارى بعد ذلك عن وجوب الالتزام بصفات الله سبحانه، كما وردت فى القرآن والروايات، وهو تناقض؛ إذ إنّ الروايات التى يتبنّاها الحنابلة حول صفات الله تدور فى محيط الحقيقة وهى تصطدم بنصوص القرآن.

والحنابلة يحاولون دائماً إضفاء القداسة على رواياتهم المتعلّقة بالصحابة وصفات الله عن طريق ربطها بالقرآن.

والتيّارات والمذاهب الإسلامية الأُخرى ترفض روايات الحنابلة المتعلّقة بصفات الله؛ خوفاً من الوقوع فى التجسيم والتشبيه ونسبة صفة لله سبحانه لا تليق به.

والذين قبلوا هذه الروايات منهم أخذوها على وجه المجاز وقاموا بتأويلها.

وكلا الموقفين لم يعجب الحنابلة على مستوى الماضى، أو الوهّابيّين على مستوى الحاضر، فأنزلوا لعناتهم على المخالفين.

من هنا أصرّ الحنابلة على أنّ القرآن ليس بمخلوق والمراء فيه كفر، كما ذكر

ص:۵۴

البربهارى الذى استمدّ حكمه بتكفير القائلين بخلق القرآن من ابن حنبل، الذى يُعدُّ أوّل مَن أسّس لنهج التكفير فى تاريخ المسلمين بعد الخوارج.

ويعرض البربهارى من خلال رسالته لعقيدة ابن حنبل التى تنصّ على رؤية الله سبحانه يوم القيامة بالعين أو بأعين رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حاجبٍ ولا ترجمان، وأنّ الميزان يوم القيامة له كفّتان وله لسان، وأنّ الله خلق آدم على صورته وينزل إلى الدنيا.

و أنّ خير هذه الأُمّة بعد وفاة نبيّها (ص) : أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ أفضل الناس بعد هؤلاء: على، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وكلّهم يصلح للخلافة، ثمّ أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله.

والسمع والطاعة للأئمّة ومَن ولى الخلافة بإجماع المسلمين عليه ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين، ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أنّ عليه إماماً بَرّاً كان أو فاجراً، والحجّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

والخلافة فى قريش إلى أن ينزل عيسى (ع) ، ومَن خرج على إمام من أئمّة المسلمين فهو خارجى قد شقّ عصا المسلمين، وخالف الآثار وميتته ميتة جاهلية.

ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار.

والرجم حقّ، والمسح على الخفّين سنّة.

ومثل هذه العقائد التى تعصّب لها الحنابلة على مستوى الماضى، وأعلنوا الحرب على رافضيها لا تخرج عن كونها مجموعة من الأفكار الوضعية التى تفوح منها رائحة السياسة، وهى تقوم على أساس روايات ليست محلّ تسليم الآخرين.

ولا يحقّ للحنابلة ومَن تبنّى هذه العقائد أن يهدّد الآخرين بها ويرهبهم، ويحاول فرضها عليهم باسم الإسلام؛ فهذه العقائد شىء والإسلام شىء آخر.

ويواصل البربهارى ناسباً الظلم لله تعالى فيقول: ولو عذّب - الله - أهل السموات

ص:۵۵

والأرض برّهم وفاجرهم فهو غير ظالم لهم لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ . (الانبياء:۲۳)

وتتوالى قذائف البربهارى على المسلمين، كلّ قذيفة أشدّ من سابقتها.

يقول ناصحاً: إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله (ص) فاتّهمه على الإسلام، فإنّه رجل ردىء المذهب والقول.

ويقول: والإيمان بأنّ الله هو الذى كلّم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع فى مسامعه منه لا من غيره، فمَن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم.

ويقول: واعلم أنّها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة فى الدين، إلاّ من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة.

ولم يفت البربهارى أن يُنزل لعناته على الجهمية، ويحرّض المسلمين عليهم، وهو يردّد أقوال ابن حنبل فيهم: الجهمى كافر ليس من أهل القِبلة، حلال الدم لا يرث ولا يورث.

ولم يفته تحذير المسلمين من أصحاب العقل وأهل الرأى بقوله: وإيّاك والنظر فى الكلام، والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإيّاهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

والهدف من هذه القذائف المتنوّعة هو الحفاظ على آثار الحنابلة بعيداً عن أقوال وآراء الآخرين التى تهدّدهم وتشكّك المسلمين فيهم.

وضرب الآخر وإرهابه وكذلك إرهاب الأتباع يُعدّ مسألةً مصيرية بالنسبة للحنابلة أعداء العقل والاعتدال، وأنصار الجمود والتطرّف الذين بنوا لأنفسهم حصناً وهميّاً بالروايات وأقوال الرجال يخشون أن تذهبه رياح العقل والبصيرة.

ومن طرائف البربهارى أنّه دعا فى رسالته إلى تقليل النظر فى النجوم؛ لأنّ إطالة النظر فيها يؤدّى إلى الزندقة - حسب قوله -.

ودعا إلى الكفّ عن الخوض فى أمر معاوية وأصحاب الجمل.

ص:۵۶

وقال: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان – الحاكم – فاعلم أنّه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنّه صاحب سنّة، وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض فى جماعة مع السلطان وغيره فاعلم أنّه صاحب سنّة.

ولم يكتف البربهارى بما طرح فى رسالته من نصوص لا تخرج عن كونها مجرّد آراء متطرّفة تفتقر إلى الدليل، بل بالغ فى تطرّفه حين أوجب على المسلمين فى ختام رسالته أن يقرّوا بمحتوياتها، ويؤمنوا بنصوصها ويتّخذوها إماماً لهم، وإلاّ سقطوا فى براثن الهوى والضلال.

يقول البربهارى: فمَن أقرّ بما فى هذا الكتاب وآمن به واتّخذه إماماً، ولم يشك فى حرف منه، ولم يجحد حرفاً منه، فهو سنّة وجماعة، ومَن جحد حرفاً ممّا فى هذا الكتاب، أو شكّ فى حرفٍ منه، أو شكّ فيه أو وقف – أى: لم يشك ولم يُقِر – فهو صاحب هوى، ومَن جحد، أو شكّ فى حرفٍ من القرآن، أو فى شيءٍ جاء عن الرسول (ص) لقى الله مكذّباً.

وقد قدّم لنا البربهارى بكلامه هذا الدليل على غلو الحنابلة وتطرّفهم، وأنّ سنّتهم الدائمة هى الإرهاب.

ص:۵۷

ابن بطّة إلغاء العقل والتعبّد بالنقل

سيراً مع سنّة الوهّابيّين الدائمة فى البحث والتنقيب عن التراث الحنبلى، الذى يخدم أفكارهم المتطرّفة، قام واحد من الوهّابيّين بإبراز مخطوطة مغمورة ومهملة بعنوان: (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطّة العكبرى الحنبلى، المتوفّى عام ۳۸۷ه.

قال المحقّق الوهّابى فى مقدّمته: بعد مُضى عصر الصحابة وجد فى أيام التابعين بعض رؤوس أهل الضلالة الذين عنوا ببثّ الأهواء والبِدَع، وكان لهؤلاء فتن كثيرة على الناس، وزاد خطر هؤلاء الزائفين فى القرن الثالث عندما تمكّن المعتزلة من إقناع الخليفة المأمون بآرائهم فى العقيدة، وطلبوا منه أن يحمل الناس جميعاً على آرائهم بقوّة السلطان؛ فكانت فتنة كبيرة انتشر شررها على المسلمين، وعمّت لوثتها الفكر الإسلامى العظيم.

وكان بعض هؤلاء قد دخلوا فى الإسلام لتحقيق غايات سيّئة ومآرب دنيئة، فكان دخولهم يخدم مخطّطاً يهدف إلى زعزعة عقائد الإسلام فى نفوس أتباعه، وإثارة الفُرقة والبغضاء فيما بينهم حتّى وقع بعض المسلمين تحت تأثير هؤلاء، واقتنعوا بكثير من آرائهم نتيجة التلبيس والخداع فبزغ نجم الزندقة، وأطلّت الفرقة برؤوسها.

ص:۵۸

ويحدّد المحقّق الأسباب التى دعته إلى نشر هذا الكتاب بقوله: هذا الكتاب يمثّل مذهب إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل؛ لأنّ ابن بطّة قريب العهد به، وهو على مذهبه فى الأُصول والفروع.

وابن بطّة يعتبر من علماء الحديث الكبار فى عص-ره، ومن كبار علماء الحنابلة فى زمنه، وكتابه الإبانة قد حوى آلاف الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين.

والنسيان الذى طوى هذا الإمام الجليل قد دفعنى إلى التأريخ له ونش-ر تراثه والتعريف بجهوده.

ويؤكّد المحقّق فى مقدّمته رفضه الشديد للجدل والتأويل سيراً مع مذهب ابن بطّة وسنّة الحنابلة من قديم، فالتأويل فى نظره لا يعتمد على نصٍّ دينىٍّ صحيح، ولم يقل به أحد من علماء السلف، وعلم الكلام قد اتّخذ الجدل الكريه مطيّةً فى إثبات العقائد، والجدل مذموم فى الإسلام.

وأكّد رفضه للعقل والسماح له بالتدخّل فى مجالات الغيب، وعدّه خطأً فادحاً وحماقةً كبرى، وأنّ المعتزلة هم الذين ابتدأوا هذه المهزلة حسب تعبيره.

ويبدى المحقّق على المؤلّف ملاحظةً بقوله: ونلحظ فى هذا المقام أنّ المؤلّف عندما ردّ على المرجئة فى قضايا الإيمان، وعندما تعرّض للجهمية فى مسائل الصفات الإلهيّة، أو القدرية فى أُمور القضاء والقدر، أو الشيعة وغيرهم، لم يحفل بذكر نصوص أقوالهم واقتباس بعضها من كتبهم تجنّباً لما قد يثيره ذكر أقوالهم وشبهاتهم فى نفوس الناس من آثار سيّئة، ولأنّ آراء هذه الفِرَق كانت قد شاعت بين الناس حتّى أصبحت معروفة عنهم بين الجميع؛ ولهذا نراه يكتفى بذكر تلك الآراء الشائعة عنهم دون اهتمام بنقل نصوص أقوالهم فى ذلك، وهذا مسلك معروف عند كثير من المؤلّفين فى العقيدة السلفية.

وكان السبب الداعى لابن بطّة لتأليف كتابه هذا هو ما آل إليه الحال فى عصره من ظهور الزندقة والبعد عن كتاب الله وسنّة رسوله باندثار السنن وقيام البِدَع،

ص:۵۹

ومن جور الحكّام وافتراق الناس شِيَعاً وأحزاباً، إلى غير ذلك من ألوان الفساد على حدّ تعبيره.

وأوّل ما نستعرض من هذا الكتاب باب تحت عنوان: ذكر ما جاءت به السنن من طاعة رسول الله (ص) والتحذير من طوائف يعارضون سنّة النبى بالقرآن.

وقد أفاض المؤلّف فى هذا الباب فى الحديث عن الذين يعارضون السنّة بالقرآن فى عصره، وكال لهم من نعوت الزيغ والضلال، وحضّ إخوانه وأتباعه على ألاّ يسلكوا مسلكهم وأن يتمسّكوا بالسنّة بقوّة.

والذين يعارضون السنّة بالقرآن يقصد بهم الذين يعرضون الروايات على القرآن، ويحاولون ضبطها بنصوصه، ونبذ ما يعارض هذه النصوص ويصطدم بها، أو يضيف عليها أحكاماً جديدة، وهو الأمر الذى يرفضه الحنابلة بشدّة.

قال صارخاً مكفِّراً لهؤلاء: إنّ قائل هذه المقالة يتحلّى بحلية المسلمين، ويضمر على طوية الملحدين، يظهر الإسلام بدعواه، ويجحده بسرّه وهواه.

ولاشكّ أنّ هذا الكلام يعنى تكفير هؤلاء، ولا يخفى ما فى هذا الكلام من تحريض.

وروى عن مكحول قوله: السنّة سنّتان:

سنّة الأخذ بها فريضة وتركها كفر.

وسنّة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير حرج.

والأُولى يقصد بها الروايات والآثار التى ورثها الحنابلة واعتبروها ديناً.

وهذا الأثر ومثله كثير ممّا يكتظّ به كتاب ابن بطّة هو عماد الحنابلة فى مواجهة خصومهم.

والباب الثانى من هذا الكتاب جاء تحت عنوان: ما أمر به من التمسّك بالسنّة والجماعة، والأخذ بها وفضل مَن لزمها.

وقد حشّد فى هذا الباب عشرات الروايات والآثار الإرهابية التى تحذّر من ترك السنّة والالتزام بالأثر وعدم الابتداع.

ص:۶۰

وهو إشارة إلى لزوم خط الحنابلة ومن على شاكلتهم، وعدم الحيدة عنهم إلى أصحاب العقل المبتدعين المنحرفين عن الجماعة.

إلّا أنّ ابن بطّة لم يحدّد لنا ما هو مقصوده بالجماعة؟

والبِدعة فى مفهوم الحنابلة والوهّابيّين هى كلّ ما خالف رواياتهم وعقائدهم.

والجماعة هى جماعتهم التى يطلقون عليها دائماً أهل الحديث ويعدّونها الفرقة الناجية من النار.

وقد استخدم ابن بطّة شعار الحنابلة الدائم: شرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدثة بِدعة، وكلّ بِدعة ضلالة، وكلّ ضلالة فى النار.

وهو شعارٌ مشتقٌّ من روايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) .

وفى باب حمل عنوان: ترك السؤال عمّا لا يعنى، والبحث والتنقير عمّا لا يضر جهله، والتحذير من قومٍ يتعمّقون فى المسائل ويتعمّدون إدخال الشكوك على المسلمين، قال:

اعلموا أنّى فكّرت فى السبب الذى أخرج أقواماً من السنّة والجماعة، واضطرّهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلبلة على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عمّا لا يعنى، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة مَن لاتؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته.

ونقل روايةٍ عن عمر تقول: إنّ رجلاً سأله عن سورة الذاريات والنازعات والمرسلات فهدّده وأمر الناس بعدم مجالسته.

وفى روايةٍ أُخرى: أنّه سأله عن تأويل وَ الذَّارِياتِ ذَرْواً * فَالْحامِلاتِ وِقْراً. (الذاريات: ۱ و۲)

فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته.

ص:۶۱

يقول الراوى عن السائل: فلم يزل وضيعاً فى قومه حتّى هلك وكان سيّدهم.

ويبدو من عنوان هذا الباب أنّه يمثّل دعوة صارخة لرفض البحث والحوار والنظر فى المسائل، والتعمّق فى أُمور الدين، وجملةً هو دعوة صريحة لرفض العقل وإعماله فيما يسمع ويكتب.

ووضع ابن بطّة باباً تحت عنوان: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب، ويفسدون الإيمان حشد فيه أيضاً عشرات الروايات والنصوص الإرهابية التى تحذّر من التيّارات والمذاهب الأُخرى، وترهب المسلم من الاقتراب منها.

وهو كما واضح تحذير من المخالفين الذين اعتبرهم ابن بطّة يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، وهو ما يعنى شقّ الأُمّة وإشاعة الفرقة بين صفوفها.

وإتماماً للأمر زاد من جرعة الإرهاب والتخويف للمسلمين بحشد العديد من الآثار:

ماأُبالى سألت صاحب بِدعةٍ عن دينى أو زنيت.

مَن جلس إلى صاحب بدعةٍ أورثه الله العمى.

علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة.

مَن أحبّ صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه.

لا تجلس مع صاحب بِدعة فإنّى أخاف أن تنزل عليك اللعنة.

لا تخالط صاحب بدعة.

لئن أُجاور يهودياً ونصرانياً وقردة وخنازير أحبّ إلىّ من أن يجاورنى صاحب هوى يمرض قلبى.

أُحبُّ أن يكون بينى وبين المبتدع حصنٌ من حديد.

مَن يجالس أصحاب البِدَع أشدّ علينا من أهل البِدَع.

وفى بابٍ تحت عنوان: ذمّ المراء والخصومات فى الدين والتحذير من أهل الجدل والكلام حشد العديد من الآثار الإرهابية، منها:

أسرع الناس ردّة أهل الأهواء.

ص:۶۲

لاتجالسوا أصحاب الخصومات فإنّهم الذين يخوضون فى آيات الله.

الخصومات فى الدين تحبط الأعمال.

كان سفيان إذا رأى إنساناً يجادل ويمارى يقول: أبو حنيفة وربِّ الكعبة.

ما حدّثوك عن أصحاب محمّد فأقبل عليه، وما حدّثوك عن رأيهم فألقه فى الحش.

إنّما يخاصم الشاك فى دينه.

لا تجادلوا أصحاب الأهواء فإنّهم يمرضون القلوب.

كان محمّد بن سيرين ينهى عن الكلام ومجالسة أهل الأهواء.

قال ابن بطّة: أهل الأهواء فى تكفير بعضهم لبعض مصيبون؛ لأنّ اختلافهم فى شرائع شرّعتها أهواؤهم، وديانات استحسنتها آراؤهم فتفرّقت بها الأهواء، وشتّت بهم الآراء، وحلّ بهم البلاء، وحرموا البصيرة والتوفيق فزلّت أقدامهم عن محجّة الطريق فالمخطئ منهم زنديق، والمصيب على غير أصلٍ وتحقيق.

ومثل هذا الكلام ينطبق على الحنابلة أيضاً، وينطبق أيضاً على الوهّابيّين حنابلة العصر، فقد اختلفت بهم الأهواء وكفّر بعضهم بعضاً، وحرموا البصيرة والتوفيق بشهادة فقهائهم الذين وقعوا فيهم واعتبروهم من الخوارج.

وليس أدلّ على ذلك ممّا ينشر من منشورات فى أوساطهم تدعو للتكفير والغلو، وأُخرى تردّ عليها.

وممّا يبرز فى وسطهم من فرق متطرّفة مابين الحين والآخر.

وممّا يحدث فى أوساطهم من حوادث إرهابية.

وكلّ ذلك هو من صنع أيديهم، ومن نتاج هذا الفكر الإرهابى الذى ورثوه عن أسلافهم الحنابلة.

ووضع ابن بطّة باباً تحت عنوان: التحذير من استماع كلام قومٍ يريدون نقض الإسلام ومحو شرائعه فيكنّون عن ذلك بالطعن على فقهاء المسلمين وعيبهم بالاختلاف.

ص:۶۳

وكلامه فى هذا الباب يؤسّس للإرهاب فى مواجهة الآخر، ويقنّن للعداء بين المسلمين، والرفض المطلق للآخر، وهو ما يترجمه لنا الوهّابيّون المعاصرون من خلال ممارساتهم ومواقفهم.

والحنابلة يعتبرون على الدوام أنّهم الممثّل الشرعى للإسلام ولسنّة الرسول (ص) ، وعلى هذا الأساس اعتبروا المخالفين لهم أعداء للإسلام يريدون نقضه ومحو شرائعه.

والمساس بفقهاء الحنابلة أو عيبهم والطعن فيهم يُعدّ طعناً فى الإسلام فى مفهوم ابن بطّة.

وإجابة على تساؤل حول اختلاف أهل الفرقة الناجية (الحنابلة أهل الحديث) وتباين مذاهبها واختلاف فقهائها، وأنّ المعتزلة والرافضة وأهل الأهواء يعيبونهم بهذا الاختلاف، ويقولون الحق واحد، فكيف يكون فى وجهين مختلفين؟

قال ابن بطّة: أمّا ما تحكيه عن أهل البدع ممّا يعيبون به أهل التوحيد والإثبات (الحنابلة) من الاختلاف فإنّى قد تدبّرت كلامهم فى هذا المعنى، فإذا هم ليس الاختلاف يعيبون ولا له يقصدون، وإنّما هم قوم علموا أنّ أهل الملّة وأهل الذمّة والملوك والسوقة والخاصّة والعامّة، وأهل الدنيا كافّة إلى الفقهاء يرجعون، ولأمرهم يطيعون، وبحكمهم يقضون، فى كلّ ما أشكل عليهم، وفى كلّ ما يتنازعون فيه. وكلّ ذلك فيه غيظ لأهل الأهواء واضمحلال للبدع، فهم يوهون أمر الفقهاء، ويضعفون أُصولهم، ويطعنون عليهم بالاختلاف لتخرج الرعية عن طاعتهم والانقياد لأحكامهم فيفسد الدين.

أمّا أهل البدع فإنّهم يقولون على الله ما لا يعلمون. ويتّهمون أهل العدالة والأمانة فى النقل. وهم أكثر الناس اختلافاً، وأشدّهم تنافياً وتبايناً. . فاختلافهم كاختلاف اليهود والنصارى.

وأمّا الرافضة فأشدّ الناس اختلافاً وتبايناً وتطاعناً، وكلّ طائفة تنتحل مذهباً وإماماً وتلعن مَن خالفها عليه وتكفّره.

ص:۶۴

ولولاـ ما نؤثر من صيانة العلم الذى أعلى الله أمره، وشرّف قدره ونزّهه أن يخلط به نجاسات أهل الزيغ وقبيح أقوالهم ومذاهبهم. لذكرت من ذلك ما فيه عبرة للمعتبرين.

وروى عن طلحة بن مص-رف قال: لولا أنّى على طهارة لأخبرتكم بما تقوله الرافضة.

وهذه اللغة المتطرِّفة ورثها ابن تيمية عن ابن بطّة فيما بعد، واستخدمها فى مواجهة خصومه من الشيعة وغيرهم، وتلقّفها منه الوهّابيّون ليشكّلوا بها أزمة فى واقع المسلمين اليوم.

وفى الختام نستعرض لبابين تحت عنوان: كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة، وإباحة قتالهم وقتلهم، وذكر الذنوب التى تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج عن الملّة.

وقد حشد ابن بطّة كعادته العديد من الروايات التى تقول بكفر تارك الصلاة والزكاة، والتى تكفّر على أساس ذنوب هى من صنع الروايات ولا أساس لها فى القرآن.

وفيما يتعلّق بالصلاة والزكاة جاء برواية تقول:

ما بين العبد والشرك أو الكفر ترك الصلاة.

وأُخرى تقول: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّى دماءهم.

وفيما يتعلّق بالذنوب المكفّرة جاء بالروايات التالية:

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

مَن أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فقد كفر بما أُنزل على محمّد.

ثلاثٌ هنّ من الكفر بالله: النياحة، وشقّ الجيوب، والطعن فى النسب.

المراء فى القرآن كفر.

مَن قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما.

ص:۶۵

لا ترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.

مَن أتى امرأةً فى دبرها فقد كفر.

كفر بالله عزّ وجلّ ادّعاء نسب لا يعرف، وكفر بالله تعالى تبرؤ من نسب وإن دق.

مَن رغب عن أبيه فقد كفر.

وهذه الروايات جميعها منسوبة للرسول، والروايتين الأخيرتين نُسبتا إلى أبى بكر وعمر مع نسبتهما للرسول (ص) .

وجاء ابن بطّة بروايةٍ منسوبةٍ لأبى هريرة، تقول: إتيان أدبار النساء والرجال كفر.

إلّا أنّ ما يمكن قوله حول الروايات التى تتعلّق بالـذنوب المكفّرة أنّها تنطبق بدقّةٍ شديدةٍ على: الحنابلة القدامى، وابن تيمية، وابن عبد الوهاب وأتباعه من حنابلة العصر.

ص:۶۶

ص:۶۷

اللالكائى المُخالِفون لا حُرْمةَ لهم

اشارة

ومن بين المنشورات الوهّابيّة التى قام الوهّابيّون بنش-رها: منشور تحت عنوان: (شرح اعتقاد أهل السنّة والجماعة) من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم.

قال المحقّق الوهّابى فى مقدّمته: نشر هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التى تعتبر مرجعاً لعقيدة أهل السنّة والجماعة ممّا ينبغى أن يهتم به طلبة العلم، فإنّ العالم الإسلامى قد ابتُلى بكتب علم الكلام التى قامت على مناهج الأُمم الوثنية قبل الإسلام، والتى لا تتفق مع مناهج الإسلام، وللأسف نجد أنّ علماء الكلام تركوا ما جاء من عند الله عزّ وجلّ وولّوا وجوههم جهة العلوم البشرية الجاهلية التى كانت قبل الإسلام.

وكما هو نهج الحنابلة والوهّابيّين، هاجم المحقّق الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وركّز على الأشاعرة والماتريدية؛ لكون معتقداتهم لا- تزال باقية ومنتش-رة بين المسلمين وتدرّس فى أكثر البلدان الإسلامية، ممّا يدعو إلى نش-ر الكتب السليمة التى تصحّح الانحراف وتقوّمه، وتُعيد الأُمّة إلى كتاب ربّها وسنّة نبيّها، ونبذ تلك

ص:۶۸

المناهج الجاهلية التى لا تجتمع مع مناهج النبوّة والتى تشتمل على مفاسد عظيمة تخلخل الدين وتفقد الثقة به حسبما ذكر.

وحدّد المحقّق منهج أهل السنّة فيما يلى:

- اتّباع كتاب الله وسنّة رسوله (ص) فى كلّ قضيّةٍ من قضايا العقيدة، وعدم ردّ شيءٍ منها أو تأويله.

- الالتزام بما كان عليه أصحاب رسول الله.

- عدم مجادلة أهل البِدَع، أو مجالستهم، أو سماع كلامهم، أو عرض شبههم.

- عدم الخوض فى الأُمور الاعتقادية ممّا لا مجال فيه للعقل البش-رى من الأُمور الغيبيّة.

- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم.

وقال معلِّقاً: ولم يحدث الانحراف فى الأُمّة إلّا عندما انحرفت عن هذا المنهج، وأعرضت عن وحى الله إلى مناهج بشرية بعضها من مخلّفات الفلسفة اليونانية الوثنية، وبعضها من نتاج العقول المنحرفة الجاهلة بدين الله، فتفرّقت الأُمّة إلى طوائف ومذاهب لكلٍّ منها منهجه وطريقته وإمامه وأتباعه.

وقال: يتضمّن هذا الكتاب الذى أقوم بتحقيقه بيان عقيدة أهل السنّة والجماعة، والردّ على المخالفين لها الذين أحدثوا فى دين الله عقائد مبتدعة تخالف العقيدة التى جاء بها رسول الله (ص) ، وعاش عليها الصدر الأوّل من هذه الأُمّة.

وعدّ المحقّق الأسباب التى أدّت إلى ظهور البِدَع بين المسلمين فيما يلى:

- الغلو ويمثّله فى تصوّره الخوارج والشيعة.

- الردّ على البِدعة بمثلها أو أشدّ منها.

- المؤثّرات الأجنبية، وعدّها فيما يلى:

- ابن سبأ بالنسبة للشيعة.

- النصارى بالنسبة للقدرية.

ص:۶۹

– الفلاسفة، والصابئة، واليهود بالنسبة للجهمية.

– تحكيم العقل فى القضايا الشرعية، أى: فى أُمور العقيدة والروايات.

– تعريب كتب الفلسفة.

ويقول عن اللالكائى: لم تف كتب التاريخ والتراجم بتاريخ الحافظ اللالكائى، فلم تذكر شيئاً عن نشأته ولا أُسرته، ولا بداية طلبه للعلم، ولا رحلاته العلمية، ولا بداية تدريسه.

نصوص الكتاب

يقول اللالكائى فى مقدّمته: هذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطريق الحقّ المسلوكة، والدلائل اللايحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة، التى عملت عليها الصحابة والتابعون ومن بعدهم، من خاصّة الناس وعامّتهم من المسلمين، واعتقدوها حجّةً فيما بينهم وبين الله ربّ العالمين، ثمّ اقتدى بهم من الأئمّة المهديين، واقتفى آثارهم من المتبعين، واجتهد فى سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، فمَن أخذ فى مثل هذه الحجّة، وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أمن فى دينه وتمسّك بالعروة الوثقى، واتّقى بالجنّة التى يتّقى بمثلها ليتحصّن بجملتها ويستعجل بركتها ويحمد عاقبتها.

ومَن أعرض عنها وابتغى الحق فى غيرها ممّا يهواه أو يروم سواها ممّا تعدّاه، أخطأ فى اختيار بغيته وأغواه وسلكه سبيل الضلالة، وأرداه فى مهاوى الهلكة فيما يعترض على كتاب الله وسنّة رسوله (ص) بضرب الأمثال ودفعهما بأنواع المحال، والحيدة عنهما بالقيل والقال ممّا لم يُنزل الله به من سلطان، ولا عرفه أهل التأويل واللسان، ولاخطر على قلب عاقلٍ بما يقتضيه من برهان، ولا انشرح له صدر موحِّدٍ عن فكرٍ أو عيان، فقد استحوذ عليه الشيطان، وأحاط به الخذلان، وأغواه بعصيان الرحمن، حتّى كابر نفسه بالزور والبهتان.

ص:۷۰

ويبدو من خلال هذا الكلام اللغة المتطرّفة التى يستخدمها الحنابلة على الدوام فى مواجهة خصومهم، تلك اللغة التى تحوى صوراً من التهديدات والإنذارات التى صيغت بصورة سجعيّة لتحريك مشاعر العامّة وضعاف العقول، وتحريضهم على المخالفين.

ويبدو - أيضاً - الغرور والتعصّب لما هو عليه وكأنّه ملك ناصية الحق واحتكر الدين عن بقيّة الخلق.

ولاشك أنّ النتيجة الطبيعية لهذه اللغة هى تأسيس التطرّف والإرهاب والعدوانية بين الأتباع، وهو ما تطبّع به الحنابلة من قبل، وما تطبّع به الوهّابيّون اليوم.

ومثل هذه اللغة لا صلة لها بالفقه، وهى تدلّ دلالةً واضحةً على افتقاد أدوات العلم والخُلُق لدى هؤلاء الحنابلة المتعصّبين، فمن شيم الفقهاء: التواضع، والاعتدال، والقناعة أنّ ما بين أيديهم ليس هو نهاية المقال، وإنّما هو خاضع للاحتمال والقيل والقال.

وليس هذا هو منطق الحنابلة الذين جرموا العقل وركنوا إلى الروايات والآثار.

وهذا يبدو بوضوح من خلال كلام اللالكائى عن نتائج تحكيم العقل فى أُمور الدين والشريعة حيث يقول عن الخصم: فهو دائب الفكر فى تدبير مملكة الله بعقله المغلوب وفهمه المقلوب: بتقبيح القبيح من حيث وهمه، أو بتحسين الحسن بظنّه، أو بانتساب الظلم والسفه من غير بصيرةٍ إليه، أو بتعديله تاه كما يخطر بباله، أو بتجويره أُخرى كما يوسوسه شيطانه، أو بتعجيزه عن خلق أفعال عباده، أو بأن يوجب حقوقاً لعبيده عليه قد ألزمه إيّاه بحكمه لجهله بعظيم قدره، وأنّه تعالى لا تلزمه الحقوق، بل له الحقوق اللازمة والفروض الواجبة على عبيده، وأنّه المتفضِّل عليهم بكرمه وإحسانه.

فهو راكضٌ ليله ونهاره فى الردّ على كتاب الله وسنّة رسوله (ص) والطعن عليهما، أو مخاصماً بالتأويلات البعيدة فيهما، أو مسلّطاً رأيه على مالا يوافق مذهبه بالشبهات المخترعة الركيكة؛ حتّى يتّفق الكتاب والسنّة على مذهبه وهيهات أن يتّفق.

ص:۷۱

وهـذا الكلام كما هو واضـح موجّه للمعتزلـة الـذين كانوا يشـكّلون جبهـةً قويـةً فى مواجهة الحنابلة بزمانهم، فمن ثمّ ركّزوا عليهم فى كتبهم ومقالاتهم موجّهين نحوهم شتّى الحراب والسهام، وشتّى صور الشتم والسب واللعن والتشويه، كما فعلوا مع الشيعة والجهمية.

وهذا كلّه يدلّ على افتقادهم أدوات العلم، ولغة الحوار والخُلق فى مواجهة الآخر.

وقـد واصـل المؤلّف حملته على المعتزلـة باتّهـامهم بالجهل بالكتاب والسـنّة، وأنّهم لم يتـديّنوا بمعرفـة آيـةٍ من كتاب الله فى تلاوةٍ أو درايةٍ، ولم يتفكّروا فى معنى آيةٍ ففسـّروها أو تأوّلوها على معنى اتّباع مَن سلف من صالح علماء الأُمّة إلّا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثـة، ولا اغبرّت أقـدامهم فى طلب سُـنّة، أوعرفوا من شـرائع الإسـلام مسألة فيعدّ رأى هؤلاء حكمة وعلماً وحججاً وبراهين، ويعدّ كتاب الله وسنّة رسوله حشواً أو تقليداً، وحملتها جهالاً وبلهاء ذلك ظلماً وعدواناً وتحكّماً وطغياناً.

وكمـا عـادة الحنابلـة فى الخلط بين الأُمور، فقـد خلط اللالكائى بين كتاب الله والسـنّة معتبراً أنّ المعتزلـة يعـدّونها حشواً، بينما هم فى الحقيقة يقصدون الروايات التى غرق فيها الحنابلة ولا يقصدون القرآن.

وكلمة حشوية إنّما أطلقها المعتزلة على الحنابلة وأهل الحديث بسـبب انغماسـهم فى الروايات والآثار وإهمال العقل؛ فمذهبهم محشـو بالروايات وأقوال الرجال ولا مجال فيه للاجتهاد والرأى.

ويبدو الخلط واضحاً أيضاً فى قوله عن المعتزلة: ثمّ ما قذفوا به المسلمين من التقليد والحشو، فهو فى مقالته الأُولى ربط رواياته وآثاره بالكتاب، وفى مقالته الثانية ربط مذهبه بالمسلمين، وكأنّه بهذا يريد التأكيد على أنّ الحنابلة يمثّلون المسلمين دون غيرهم.

وهذا الخلط إنّما هو من أوهام الحنابلة، التى عاشوا فيها ويعيش فيها الوهّابيون اليوم، بتصوّرهم أنّهم أهل الحق والفرقة الناجية من النار.

ص:۷۲

ولاشكّ أنّ فرقةً تتبنّى هـذا التصوّر لابـدّ وأن تكون متعصّبة ومتطرّفـة فى مواجهة المخالفين لها، لا تعترف بهم ولا تتحاور معهم ولا تنصفهم.

ويبدو لنا أنّ الحنابلة انزعجوا انزعاجاً شديداً بظهور الاتّجاه العقلى بين المسلمين؛ فشنّوا عليه حرباً شعواء وحرّضوا عليه العامّة والحكّام.

والسؤال هنا هو: لماذا ينزعج الحنابلة من الاتّجاه العقلى ويشنّون عليه هذه الحرب؟

والجواب أنّه من الطبيعى على مذهب يتعبّد بالروايات وأقوال الرجال أن يعادى العقل؛ لكونه يشكّل خطراً على رواياتهم وآثارهم التى يربطونها بالكتاب مخافة أن تنهار وتزول.

من هنا رفع الحنابلة فى مواجهة التيّار العقلى وأهل الرأى العديد من الشعارات، منها:

شعار الفرقة الناجية.

أهل الحديث أولى الناس بالاتّباع.

التمسّك بالسلف.

ومن خلال الباب الأوّل من الكتاب الـذى حمل عنوان: سياق من رسم بالإمامـة فى السـنّة والـدعوة والهدايـة إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله (ص) وثواب مَن حفظ السـنّة وأحياها ودعا إليها، والحث على التمسّك بما روى فى الكتاب والسـنّة عن الصـحابة والتابعين ومَن بعدهم والخالفين لهم من علماء الأُمّة. يحاول اللالكائى التأكيد على لزوم الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ذاكراً أسماءهم بدايةً من أبى بكر.

واستعرض العديـد من الروايات والآثار فى النهى عن مناظرة أهل البـدع وجـدالهم، والمكالمـة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة، مؤكّداً فشل العقائد المبتدعة أمام عقيدة أهل السنّة والجماعة التى هى سبيل الحق حسب تعبيره.

نماذج من الروايات والآثار الواردة فى هذا الباب:

ص:۷۳

– مَن سنّ فی الإسلام سنّةً حسنةً کان له أجرها وأجر مَن عمل بها إلی یوم القیامة، ومَن سَنّ فی الإسلام سنّةً سیّئةً کان علیه وِزْرها ووِزْر مَن عمل بها إلی یوم القیامة.

– مَن أحیا سنّتی فقد أحبّنی ومَن أحبّنی کان معی فی الجنّة.

– النظر إلی الرجل من أهل السنّة یدعو إلی السنّة عبادة.

– الاعتصام بالسنّة نجاة.

– إذا کان الرجل صاحب سنّة وجماعة فلا تسأل عن أیّ حالٍ کان فیه.

– إنّ الذین یتمنّون موت أهل السنّة یریدون أن یطفئوا نور الله بأبصارهم.

– امتحن أهل الموصل بمعافی بن عمران فإن أحبّوه فهم من أهل السنّة، وإن أبغضوه فهم أهل بِدعة.

وروایة: من أحیا سنّتی فقد أحبّنی، ومَن أحبّنی کان معی فی الجنّة، قال فیها المحقّق: سنده ضعیف، فیه راویان مجهولان.

ولم یکتف اللالکائی بالاستشهاد بالروایات والآثار، بل اتّجه إلی القرآن لیستنجد ببعض نصوصه التی أوّلها البعض لصالح أهل السنّة.

ومن هذه النصوص:

قوله تعالی: ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلی شَرِیعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها (الجاثیة: ۱۸) ، قال: علی السنّة.

وقوله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی (آل عمران: ۳۱) ، قال: اتّباع سنّة رسول‌الله.

وقوله تعالی: وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (طه: ۸۲) ، قال: لزوم السنّة والجماعة.

وقوله تعالی: یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ (آل عمران: ۱۰۶) ، قال: فأمّا الذین ابیضت وجوههم فأهل السنّة، وأمّا الذین اسودّت وجوههم فأهل البِدَع والضلالة.

وفی الوقت الذی یقبل فیه اللالکائی بتأویل نصوص القرآن لصالح مذهبه، یرفض رفضاً قاطعاً تأویلات الآخرین لنصوصه بما یخدم مذهبهم، وهی سنّة الحنابلة

ص:۷۴

الدائمة فی مواجهة خصومهم، فکما احتکروا الروایات احتکروا القرآن أیضاً.

حتّی أنّ واحداً من کبار الحنابلة ألّف کتاباً أسماه (إبطال التأویلات) أنکره علیه الفقهاء فی زمانه؛ لما تضمّنه من روایات وآثار واهیة وموضوعة تقود إلی التجسیم فی صفات الله تعالی، وتصدّی له شیخ الحنابلة ورئیسهم فی بغداد أبو محمّد رزق الله الحنبلی الذی قال فیه: لقد شان المذهب شیناً قبیحاً لا یُغسل إلی یوم القیامة، وقد أتی فی کتابه هذا بکلّ عجیبة، وترتیب أبوابه یدلّ علی التجسیم المحض، کما ذکر.(۱)

ومن بین الروایات التی جاء بها اللالکائی فی هذا الباب روایة تقول: إنّی تارک فیکم ثقلین: أوّلهما کتاب الله عزّ وجلّ فیه الهدی والنور، مَن استمسک به وأخذ به کان علی الهدی، ومَن ترکه وأخطأه کان علی الضلالة، وأهل بیتی، أذکّرکم الله فی أهل بیتی، ثلاث مرّات.

والاستدلال بهذه الروایة هو حجّة علی الحنابلة وأهل السنّة، وهو من جانبٍ آخر یشیر إلی أنّ الحنابلة لایستخدمون عقولهم حتّی فی الروایات التی تقوم علیها عقائدهم.

والحنابلة وأهل السنّة یقولون بأنّ الرسول (ص) مات ولم یجمع القرآن وترکه متفرّقاً فی صدور الناس، وقام بجمعه أبوبکر وعمر، بینما هذه الروایة تؤکّد أنّ الرسول (ص) أوصی بکتاب الله وهی إشارة إلی کونه کان مجموعاً، ووصیّته بأهل بیته إشارة أُخری إلی کونه کان مبیّناً، وهذا البیان لدی أهل البیت، وهو المقصود من قوله فیه الهدی والنور.

والهدی والنور لابدّ له من مرشد، فلا یعقل أن یکون الکتاب مجموعاً ومتروکاً دون جهة تهدی الناس إلی نوره.

۱- هو القاضی أبو یعلی الحنبلی المتوفّی عام ۴۵۸ه؛ انظر الکامل فی التاریخ، ج۹، ص۴۶۰، حوادث عام ۴۲۹، ج۱۰، ص۵۲، عام ۴۵۹ه، وسِیَر أعلام النبلاء، ج ۱۸، ص۸۹، ترجمة أبی یعلی؛ وانظر التحذیرات من کتاب إبطال التأویلات للأزهری.

ص:۷۵

والطريف أنّ اللالكائى جاء بروايـة عن أبى هريرة، تقول: إنّى قد خلّفت فيكم ما لن تضـلّوا بعدهما، إن ما أخذتم بهما أو عملتم بهما: كتاب الله، وسنّتى؛ لن يتفرقا حتّى يردا علىّ الحوض.

قال المحقّق معلّقاً على هذه الرواية: سـنده ضـعيف، فيه صالح بن موسى الطلحى، قال فيه الذهبى: ضعيف، وقال يحيى: ليس بشىء ولا يكتب حديثه، وقال البخارى: منكر الحديث، وقال النسائى: متروك.

هذا مع الإشارة إلى أنّ هناك روايات أُخرى فى كتب السنن بنفس النص ولكن فى أهل البيت، أى: ربطت الكتاب بأهل البيت وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

وروى اللالكائى عن جابر قال: خطّ لنا رسول الله (ص) خطّاً، فقال: هـذا سبيل، ثمّ خطّ خطوطاً، فقال: هذه سُبُل الشـيطان فما منها من سبيـلٍ إلّا عليه شـيطان يـدعو إليه الناس، فإنّما أنا بشـر يوشك أن يأتينى رسول ربّى فأُجيبه، وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله عزّ وجلّ: فيه الهـدى والنور، مَن اسـتمسك به وأخـذ به كان على الهدى، ومَن تركه وأخطأه كان على الضـلالة، وأهل بيتى، أذكّركم الله عزّ وجلّ فى أهل بيتى، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا.

قال المحقّق: سنده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد: ضعيف، والحديث رواه: أحمد، والمروزى، وابن ماجة، وابن أبى عاصم.

قال الألبانى: حـديث صـحيح، إسـناده ضـعيف، رجاله ثقات غير مجالـد وهو ابن سـعيد، لكنّه قد توبع فى الطريق الثالثة فالحديث بهما صحيح.

وتجدر الإشارة هنا إلى معظم الروايات التى اعتمد عليها اللالكائى كأسانيد لمعتقدات أهل السـنّة وكأسـلحة فى مواجهة الخصوم، هى روايات ضعيفة، وهو ما شهد به المحقّق.

ومن هذه الروايات:

تفترق أُمّتى على ثلاث وسبعين ملّة كلّها فى النار إلّا واحدة.

ص:۷۶

– فقالوا: يارسول الله ما هى؟

قال: ما أنا عليه وأصحابى، لا تجتمع أُمّتى على ضلالة، إنّ الله أمرنى بالجماعة، وأنّه مَن خرج من الجماعة شبراً فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه.

– ما ضلّ قومٌ من بعد هدى إلّا أوتوا الجدل.

– مراء فى القرآن كفر.

– لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم.

– إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا.

– القدرية مجوس هذه الأُمّة فإذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تشهدوهم.

– صنفان من أُمّتى ليس لهما فى الإسلام سهم: المرجئة والقدرية.

– صنفان من أُمّتى لا يردان علىَّ الحوض: القدرية والمرجئة.

– لُعنت القدرية على لسان سبعين نبيّاً منهم نبيّنا.

وإذا كان هذا هو حال الروايات المنسوبة للرسول (ص) فكيف يكون حال الآثار المنسوبة للرجال؟

وجاء اللالكائى بروايةٍ تقول: لا ألفين أحدكم متّكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ممّا أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما وجدنا فى كتاب الله اتّبعناه.

وعلّق المحقّق على هذه الرواية بقوله: وفى هذا الحديث دليل على أنّه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على القرآن، وما ورد من الآثار فى عرض الأحاديث على القرآن لم تثبت.

ونقل قول الخطابى: وأمّا ما رواه بعضهم: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فخذوه، وإن خالفه فدعوه، فإنّه حديثٌ باطلٌ لا أصل له.

ونقل قول يحيى بن معين: وضعته الزنادقة.

وبالطبع فإنّ قبول مثل هذه الرواية من قِبَل الحنابلة يعنى هدم مذهبهم وضياع

ص:۷۷

معتقداتهم وفقدانهم أهمّ الأسلحة التى يشهرونها فى وجه خصومهم.

ومثل هذه الرواية تضع قاعدةً هامّةً لضبط ما يُنسب للرسول (ص) من أقوالٍ وأفعالٍ تصطدم بالقرآن والعقل، وهو ما التزم به الشيعة فى رواياتهم.

ويظهر لنا اعتماد اللالكائى كثيراً على الآثار التى تُعدّ بمثابة سهام وحراب موجّهة لخصوم الحنابلة من التيارات والمذاهب الأُخرى.

ومن هذه الآثار:

- إنّ الصغير إذا أخذ بقول رسول الله والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبى حنيفة وترك السنّة فهو صغير.
- ليس طريق أقصد إلى الجنّة من طريق مَن سلك الآثار.
- اقتصاد فى السنّة خير من الاجتهاد فى بِدْعة.
- البِدْعة أحبّ إلى إبليس من المعصية.
- مَن طلب الدين بالكلام تزندق.
- ليس لأهل البِدْعة غيبة.
- أهل الأهواء لا حرمة لهم.

فتاوى إرهابيّة

وفى الجزء الثانى من الكتاب حشد المؤلِّف العديد من الروايات التى توجب معرفة الله تعالى وصفاته بالسمع لا بالعقل، وما ورد فى كتاب الله من الآيات ممّا فسّ-ر أو دلّ على أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وما رُوى من إجماع الصحابة على أنّ القرآن كلام‌الله غير مخلوق، وذكر إجماع التابعين وتابعى التابعين على ذلك.

ثمّ ذكر مجموعةً من الفتاوى فيمن قال: القرآن مخلوق:

قال مالك: بكفره وقتله، وفى رواية يُستتاب فإن تاب وإلّا ضُربت عنقه.

وقال سفيان بن عيينة: جيئونى بشاهدين حتّى آمر الوالى بضرب عنقه.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: ما كنت أعرض أحداً من أهل الأهواء على السيف

ص:۷۸

إلاّ الجهميۀ.

وقال الربالى: هم واللهِ كفّار.

وقال وكيع: يُستتاب فإن تاب وإلاّ ضُربت عنقه.

وقال الخريبى: مَن قال القرآن مخلوق فعلى الإمام – الحاكم – أن يستتبه فإن تاب وإلاّ ضُربت عنقه.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: إنّ هذا كفر فإن رجع وإلاّ ضُربت عنقه.

والبعض قال: مَن شكّ فى كفره فهو كافر.

وقام اللالكائى بعد ذلك بحشد العديد من الأسماء ممّن قال: إنّه لا يرث ولا يورث، ومَن قال: إنّ امرأته طالق، ومن قال: لا ينكحون ولا يصلّى خلفهم ولا تعاد مرضاهم ولا تُشهد جنائزهم، وأنّ موالاۀ الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين.

ثمّ حشد العديد من الأسماء ممّن قال بتكفير مَن وقف فى القرآن شاكّاً فيه: أنّه غير مخلوق، وفى تكفير مَن قال لفظى بالقرآن مخلوق.

والطريف أنّه وضع باباً فيمَن رأى الرسول (ص) فى المنام وسأله عن القرآن فأجاب بأنّه غير مخلوق، وما روى من الرؤيا السوء لمَن قال بخلق القرآن فى الدنيا، وما أعدّ له فى الآخرۀ أكثر.

وما روى عن النبى والصحابۀ والتابعين فى مجانبۀ أهل القدر وسائر أهل الأهواء.

وما روى من المأثور عن الصحابۀ ونقل عن أئمّۀ المسلمين من إقامۀ حدود الله فى القدريۀ من القتل والنكال والصلب.

وما روى فى منع الصلاۀ خلف القدريۀ والتزويج إليهم وأكل ذبائحهم وردّ شبهاتهم.

وما روى فى تضليل المرجئۀ وهجرانهم وترك السلام عليهم والصلاۀ خلفهم والاجتماع إليهم.

وما روى من رؤيۀ النبى (ص) فى النوم وما حفظ من قوله فى المرجئۀ.

ص:۷۹

وما روى عن النبى (ص) فى طاعة الأئمّة والأُمراء ومنع الخروج عليهم.

وما روى عن النبى (ص) من الوعيد على مَن لعن الصحابة، أو تنقّصهم، أو نال منهم وتتبّع عوراتهم.

وما روى من دعاء السلف الصالح على اللعّانين، وما أظهر الله من تعجيل العقوبة والنكال لهم فى الدنيا، وما أعدّ الله لهم فى الآخرة أكثر.

وما روى عن السلف فى أجناس العقوبات والحدود التى أوجبوها وأقاموها على مَن سبّ الصحابة.

ومثل هذه الروايات والآثاركانت تُعدّ مبرّرات شرعيّة للبطش بالخصوم والمخالفين فى منظور الحنابلة القدامى، وهى تؤدّى نفس الدور اليوم على يد حنابلة العصر من الوهّابيّين.

ص:۸۰

ص:۸۱

ابن تيمية إمام المتطرّفين. . .

اشارة

ورث ابن تيميـة نهـج الحنابلـة ومعتقداتهم، وعمل على بعثها من جديد، بعد أن طواها الزمان لقرون طويلة منذ سـقوط الدولة العبّاسـية وتحوّل الحنابلة إلى مذهب من أقلّ المذاهب الإسلامية شأناً.

ورث فكر ابن حنبل والبربهارى وابن بطّة ولالكائى واصطدم به مع واقعه وفقهاء عصره.

إلّا أنّ التوقيت الـذى برز فيه ابن تيميـة بأفكار ومعتقـدات الحنابلـة لم يكن مناسـباً له وللحنابلة، وكانت النتيجة هى الثورة عليه من قِبَل فقهاء عص-ره ومن بينهم فقهاء الحنابلة.

برز ابن تيمية فى عصر سلاطين المماليك العبيد، ذلك العص-ر الذى سادته المظالم وصور الاستبداد والفساد والانتهاكات والتلاعب بالمذاهب والفِرَق من قِبَل الحكّام.

ولم يعلن ابن تيمية الحرب على المماليك، بل أعلن الحرب على المسـلمين المخالفين لفكره ومعتقداته، والذين أطلق عليهم اسم أهل البدع وأصحاب العقائد الفاسدة، وهو بهذا السلوك إنّما يتقمّص شخصية الحنابلة ويتبنّى مواقفهم التى تركّزت على

ص:۸۲

المسلمين، وأُشهرت الحراب فى وجوههم وتغاضت عن الحكّام ومنكراتهم وجرائمهم.

والحنابلة لم يكن يعنيهم أمر المسلمين ولا مصالحهم، وإنّما كان يعنيهم رواياتهم وآثارهم التى تمثّل الدين فى تصوّرهم القاصر والفرقة الناجية من النار، وكلّ مَن يحاول المساس بهذه الروايات والآثار أو يقلّل من شأنها هو من الضآلين الهالكين.

وأبصار الحنابلة كانت متّجهة دائماً نحو الآخرة، ولم يكن يعنيهم من أمر الدنيا شىء، فمن ثمّ تسلّحوا بعقل الماضى وغابوا عن الواقع وعن قضاياه ومستجدّاته التى اعتبروها من عمل الشيطان بمثابة بِدع، وتضل الناس عن سبيل الله.

وقد حمل ابن تيمية هذا العقل وتصدّى به لخصومه من المسلمين ليخلق لنا صوراً جديدة من فتن الحنابلة لم يحتملها الواقع آنذاك.

الفقهاء وابن تيمية

وكان ردّ الفعل من قِبل الفقهاء هو مايلى:

منهم مَن طالب بقطع لسانه.

ومنهم مَن طالب بنفيه.

ومنهم مَن طالب بحبسه.

كان ابن تيمية طويل اللسان وكثير السبّ لمخالفيه، ولم يسلم من لسانه أحد، فقد سبّ: الغزالى، والأشاعرة، وسيبويه، وابن عربى، والرازى الذى كان كثير الحطّ عليه، وكان لسانه مسلّطاً على الشيعة أكثر من غيرهم.

فى ربيع الأوّل من عام ۶۹۸ه- ثار عليه الفقهاء بسبب فتوى له سمّيت بالفتوى الحموية وعقدت له جلسات، وأعلنت عليه الحرب من قِبَل الجميع.

وطلب إلى مصر أيّام ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وعقد له مجلس فى مقالة قال بها، فطال الأمر وحكموا بحبسه بالإسكندرية، ثمّ إنّ الملك الناصر لمّا جاء من الكرك أخرجه.

ص:۸۳

ولم يزل العوام بمصر يعظّمونه إلى أن أخذ فى القول على السيّدة نفيسة فأعرضوا عنه، وثار عليه فقهاء مصر وأفتوا بقتله إلّا أنّ السلطان عارضهم ولم يوافقهم.(۱)

وحضر إلى دمشق فى أيّام القاضى جلال الدين فتكلّموا معه فى مسألة الزيارة، أى: قوله بتحريم زيارة قبر الرسول (ص) وكتبوا فى ذلك إلى مصر، فورد مرسوم السلطان باعتقاله فى القلعة، فلم يزل بها إلى أن مات سنة ثمّان وعشرين وسبعمائة.(۲)

وسوف يأتى تفصيل أقواله ومواقفه.

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو:

لماذا اختار الوهّابيّون ابن تيمية، وركّزوا عليه واعتبروه شيخ الإسلام من دون بقيّة فقهاء أهل السنّة؟

والجواب هو مايلى:

أوّلاً: إنّ شخصيّة ابن تيمية هى صورة من شخصيّة ابن حنبل.

ثانياً: إنّ محمّد بن عبد الوهاب لم يكن صاحب فقه أو مؤهّلات دعوية أو مقوّمات قيادية تمنحه القدرة على إبراز دعوته معتمداً على ذاته.

ثالثاً: إنّ الوهّابيّين هم امتداد للحنابلة، ضعاف العقول، المتعصّبين الباحثين لهم عن سند وركنٍ يركنون إليه فى وسط واقع يعارضهم وينبذهم.

رابعاً: إنّ الوهّابيّين يتميّزون بغلظة القلوب والعدوانية وأصحاب طبيعة بدوية.

لأجل هذه الأسباب وغيرها مال الوهّابيّون لابن تيمية واعتبروه مرجعهم وسندهم فى مواجهة مخالفيهم من المسلمين.

وشكّل ابن تيمية بمواقفه المتطرّفة وفتاواه الشاذّة نموذجاً جاذباً لمحمّد بن عبدالوهاب، صاحب الميول العدوانية الباحث عن دور وسند يركن إليه فى دعواه

۱- السيّدة نفيسة جدّها الإمام الحسن ع ، وكان الشافعى من مريديها، ولمّا توفّى فى عام ۲۰۴ ه- صلّت عليه، توفّيت فى عام ۲۰۹ ه-.

۲- انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ترجمة ابن تيمية ج ۱، ص ۱۴۴.

ص:۸۴

المخالفة لجمهور المسلمين المتصادمة مع الواقع، ووجد فيه ضالّته المنشودة، ووجد فيه أيضاً الوعاء الذى يغرف منه بلا حساب، فليس هو إلاّ مجرّد ناقل ومقلِّد لا بن تيمية، كما هو حال الحنابلة.

من هنا قام ابن عبد الوهاب ببعث تراث ابن تيمية الذى كان قد طواه النسيان وتحصّن به ورفع من قدره وضخّمه، وتناول الوهّابيّون منه هذا التراث وتعصّبوا له وقدّسوه.

ولم يكن لتراث ابن تيمية أن يبعث على يد أصحاب العقول وأهل الفقه، وإنّما قُدّر له أن يبعث على يد أنصار التقليد وأعداء العقل، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ هذا التراث شاذٌّ ولا يتّفق مع روح الإسلام.

ضدّ الفقهاء

يُروى أنّ ابن تيمية تكلّم فى حقّ مشايخ الصوفية - أى: سبّهم وهاجمهم - وقال: لا يُستغاث بالنبى (ص) فقُبض عليه وحُبس، ثمّ نقل أنّ جماعة يتردّدون عليه فى السجن وأنّه يتكلّم فى نحو ما تقدّم فأمر بنقله من محبسه.(۱)

يقول عنه الذهبى، وهو أحد تلاميذه، واصفاً شخصيّته: تعتريه حدّة فى البحث وشظف للخصم تزرع له عداوة فى النفوس، أى: أنّه حادٌّ فى حواراته، عصبىّ، يظن أنّ الحقّ معه، ويسخر من الخصم ولا يحترمه، والناس فى نظره جُهّال.(۲)

وأطلق ابن تيمية مدافعه على سيبويه العالم النحوى عندما ذكر أمامه على لسان ابن حبّان صاحبه ممّا أدّى إلى مقاطعة ابن حبّان له وصيّر ذلك ذنباً لا يُغفر وأصبح لا يذكره بخير.(۳)

۱- انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ترجمة ابن تيمية ج ۱، ص ۱۴۴؛ وانظر دفع شبه من شبّه وتمرّد على الإمام أحمد، للحصنى الدمشقى، ت عام ۸۳۹ ه-.

۲- انظر تاريخ الإسلام، ترجمة ابن تيمية.

۳- الدرر الكامنة.

ص:۸۵

وکـان ابن تیمیـة قـد قـال فی سـیبویه: ما کان سـیبویه نبی النحو ولا کان معصوماً، بل أخطأ فی (الکتاب) فی ثمانین موضـعاً ما تفهمها أنت، یقصد ابن حبان.(۱)

وقد نسب إلی أصـحاب ابن تیمیة الحنابلة الغلو فیه - أی: الإیمان الشدید المتطرّف به - واقتضی له ذلک العجب بنفسه حتّی زها علی أبناء جنسه واستشـعر أنّه مجتهـد، فصار یرد علی صـغیر العلماء وکبیرهم قدیمهم وحدیثهم حتّی انتهی إلی عمر بن الخطاب فخطأه فی شیء فبلغ ذلک الشیخ إبراهیم فأنکر علیه.(۲)

وکان کثیر الوقوع فی الأشاعرة حتّی أنّه سبّ أبا حامد الغزالی؛ فقام علیه قوم وکادوا یقتلونه، وکانت له وقائع شهیرة.

وإذا حوقق - نوقش - فأُفحم وقام علیه الدلیل وألزم یقول: لم أر هذا، وإنّما أردت کذا، فیذکر احتمالاً بعیداً.

ویُروی أنّه أفتی یوماً فی مسألةٍ وأفتی فقیه آخر بخلافه، فردّ علیه ابن تیمیة قائلاً: مَن قال هذا فهو کالحمار الذی فی داره.(۳)

ولم یسـلم أحـد ممّن هو خارج دائرة ابن تیمیـة وتلامیـذه وأتباعه منه، حتّی فقهاء الحنابلة الآخرین أُوذوا منه وخشوا علی المذهب من أفکاره وفتاویه.

ویروی أنّ کثیراً من العلماء والفقهاء والمحدِّثین والصالحین کرهوا له التفرّد ببعض المسائل التی أنکرها السلف علی مَن شذّ بها، حتّی أنّ بعض قضاة العدل الحنابلة منعه من الإفتاء.(۴)

وعندما قال ابن تیمیة بإنکار المجاز نُسب إلیه التجسیم حیث اعتبرت جمیع صفات

۱- الدرر الکامنة؛ «والکتاب» مصنّف ضخم فی النحو والصرف.

۲- المرجع السابق.

۳- المرجع السابق.

۴- انظر طبقات الحنابلة ج۲.

ص:۸۶

الله الواردة فی القرآن والروایات حقیقة، وأنّ الله سبحانه له ید وعین ورجل ویصعد ویهبط وما شابه ذلک.(۱)

وقام الفقهاء علی ابن تیمیة وعقدوا له مجلس محاکمة ومُنع من الکلام، وحدثت فتنة بین أتباعه وبین الشافعیة فی دمشق ولحق الأذی بأتباع ابن تیمیة ممّا اضطرّه إلی الرجوع عن مقالته، ثمّ ارتدّ مرّةً أُخری فصدر مرسوم أنّ من یتکلّم فی العقائد فُعل به کذا وکذا، ونُودی فی دمشق مَن اعتقد عقیدة ابن تیمیة حلّ دمه وماله، ثمّ جمع الحنابلة فی الصالحیة وغیرها وأشهدوا علی أنفسهم أنّهم علی معتقد الإمام الشافعی. (۲)

وأطلق ابن تیمیة مدافعه نحو ابن عربی فکفّره ونسب الإلحاد إلیه وإلی أصحابه. ونسب الشرک إلی مَن توسّل بالنبی واستغاث به، وأنکر زیارة قبر النبی (ص)(۳)

قال مهاجماً الأشاعرة والجوینی الذی لُقّب بإمام الحرمین: وهذه الطریقة التی سلکها مَن وافق المعتزلة فی ذلک کصاحب الإرشاد – الجوینی – وأتباعه هؤلاء یردّون دلالة الکتاب والسنّة، فهذه طرقهم التی وافقوا فیها الجهمیة ونحوهم من المبتدعة أسقطوا بها حرمة الکتاب والرسول عندهم، وحرمة الصحابة والتابعین لهم بإحسان، حتّی یقولوا إنّهم لم یحقّقوا أُصول الدین کما حقّقناها.

ولهم من جنس هذا الکلام الذی یوافقون به الرافضة ونحوهم من أهل البدع ویخالفون به الکتاب والسنّة والإجماع. وإنّما نبّهنا علی أصول دینهم وحقّقنا أقوالهم، وغایتهم أنّهم یدعون فی أصول الدین المخالفة للکتاب والسنّة والمعقول والکلام، وکلامهم فیه من التناقض والفساد ما ضارعوا به أهل الإلحاد، فهم من جنس الرافضة لا عقل صریح، ولا نقل صریح، بل منتهی السفسطة فی العقلیات والقرمطة فی

۱- انظر الفتوی الحمویة الکبری، والعقیدة الواسطیة، والرسالة المدنیة فی تحقیق المجاز والحقیقة فی صفات الله تعالی، وانظر الدرر ودفع شبه مَن شبّه وتمرّد.

۲- انظر الدرر الکامنة ودفع شبه مَن شبّه وتمرّد.

۳- الدرر الکامنة.

ص:۸۷

السمعیات، وهذا منتهی کلّ مبتدع خالف شیئاً من الکتاب والسنّة حتّی فی المسائل العلمیة والقضایا الفقهیة.(۱)

ونتیجة لهذا کلّه انقسم الفقهاء فی مواجهة ابن تیمیة أربعة أقسام:

- منهم مَن نسبه إلی الکفر والزندقة.

ومنهم مَن نسبه إلی النفاق.

ومنهم مَن نسبه إلی السعی للإمامة.

وفوق هذا هناک مَن طالب بقتله.

وکان ابن تیمیة قد عاش عصر المماليک البحریة، وحاز شهرةً بسبب مشاغباته فی الشام ومصر حتّی تمکّن من استمالة محمّد بن قلاوون إلی صفّه، کذلک الأمیر سلار نائب السلطنة فی عصر بیبرس الجاشنکیر الذی أطاح بابن قلاوون من الحکم.

ونظام حکم المماليک کان یعتمد علی الفقهاء فی استمالة العامّة وتحقیق الأمن والاستقرار للحکم، فلم تکن هناک فی هذا العص-ر مؤسّسة دینیة محدّدة مرتبطة بالحکم.

ولم یستطع ابن تیمیة أن یأخذ مکانه بین کبار الفقهاء القریبین من السلطة إلّا أنّه تمکّن من کسب عطف بعض أُمراء المماليک الذین کان لهم دورهم البارز فی التخفیف علیه فی حبسه الذی تکرّر عدة مرّات.(۲)

وکان بیبرس الجاشنکیر ضدّ ابن تیمیة وله میول صوفیة. وحین أمر بحسبه کان (سلار) یهرِّب له الأقلام والقراطیس ویدخل علیه أصحابه، فکان ابن تیمیة یکتب ویفتی ویراسل أُمّه ویوجّه أتباعه وهو داخل السجن، وحین حُبس بمص-ر کانوا ینقلونه إلی قلعة الإسکندریة صیفاً وقلعة القاهرة شتاءً.(۳)

۱- انظر الدرر، وتاریخ الإسلام للذهبی، وشذرات الذهب فی أخبار من ذهب لابن العماد.

۲- المرجع السابق.

۳- المرجع السابق.

ص:۸۸

ولمّا جاء محمّد بن قلاوون إلى السلطة استقبل ابن تيمية بالأحضان وأطلق يده فانطلق هو وأتباعه فى الأسواق يعتدون على العامّة ويكسرون الحانات ويعتدون على زوّار القبور ممّا أقلق ابن قلاوون فقرّر الحدّ من نشاطه، فكتب ابن تيمية له كتاباً يثبت فيه بطلان زيارات القبور وما يجرى فيها.(۱)

مقالته فى الفلاسفة والجهمية والمعتزلة

والمتأمّل فى تراث ابن تيمية وأقواله يتبيّن له بوضوح أنّ هذا التراث ينسجم مع طبيعة الوهّابيّين وميولهم العدوانية وضعف عقولهم أيضاً، وأنّ هذه الأقوال هى بمثابة آثار تضم إلى آثار الحنابلة السابقين، وتعفيهم من البحث والتنقيب وإعمال عقولهم، الأمر الذى لا يقدرون عليه ولا يملكونه.

وما يسرّ على الوهّابيّين الأمر وجعلهم يتمسّكون بابن تيمية هو أنّه يتكلّم دائماً بلغة الإجماع، وعقيدة السلف، ونصب نفسه ناطقاً بلسان أهل السنّة والجماعة، فمن ثمّ تبدو الأمور لديه محسومة ومقرّرة، ولا حاجة للاجتهاد أو إعادة النظر فيها، وهو ما يسرّ الوهّابيّون منه ويجعلهم يتعصّبون له؛ لكونه فى تصوّرهم ينطق بلسان الفرقة الناجية.

ويمكن لأىّ باحثٍ متأمّلٍ فى تراث ابن تيمية أن يكتشف أنّه لا يعبّر عن إجماع الأُمّة ولا ينطق بلسانها، وهو ما كشفه العديد من الفقهاء المعاصرين له، وكذلك العديد من المعاصرين.(۲)

يقول ابن تيمية: ومن شأن المصنّفين فى العقائد المختصرة على مذهب أهل السنّة

۱- هو كتاب الجواب الباهر فى زوّار المقابر، وفى مقدّمته أثنى على ابن قلاوون ومدحه.

۲- انظر الدرّة المضيئة فى الردّ على ابن تيمية، والمواعظ والاعتبار ببقاء الجنّة والنار، للسبكى؛ والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى؛ والردود الأُخرى عليه فى الدرر الكامنة ودفع شبه من شبّه وتمرّد؛ وانظر ابن تيمية ليس سلفياً لمنصور عوبس، ط القاهرة، وانظر لنا أكاذيب الوهّابيّة.

ص:۸۹

والجماعـة أن یـذکروا مـا تتمیّز به أهـل السـنّة والجماعـة عن الکفّار والمبتـدعین، فیـذکروا إثبات الصـفات، وأنّ القرآن کلام الله غیر مخلـوق، وأنّـه تعـالی یری فی الآـخرة خلافاً للجهمیـة من المعتزلـة وغیرهم، ویـذکرون أنّ الله خـالق أفعـال العبـاد، وأنّه مریـد لجمیع الکائنـات، وأنّه ما شاء الله کان وما لم یشأ لم یکن، خلافاً للقدریـة من المعتزلـة وغیرهم، ویـذکرون مسائل الأسـماء والأحکام والوعد والوعیـد، وأنّ المؤمن لا یکفر بمجرّد الـذنب ولا یخلد فی النار خلافاً للخوارج والمعتزلة، ویحقّقون القول فی الإیمان، ویثبتون الوعید لأهل الکبائر مجملاً خلافاً للمرجئة، ویذکرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشیعة من الرافضة وغیرهم.(۱)

وهذا الکلام یبدو منه: أنّ ابن تیمیة ینصح المصنّفین من أهل السنّة أن یکونوا علی شاکلته من الحدّة والتطرّف فی مواجهة المخالفین؛ فیبرزوا مواقفهم العدائیة منهم بوضوح، ویعلنوا کفر الجهمیة والمعتزلة والقدریة والرافضة والخوارج وابتداعهم فی الدین ما لیس منه.

وهو بکلامه هذا یؤکّد لنا أنّ مصنّفی العقائد من أهل السنّة لا یتبنّون هذه اللغة الإرهابیة المتطرّفة التی یتبنّاها فی مواجهة خصومهم.

ویقول: إنّ مَن انتسب إلی الملل منهم من المسلمین والیهود والنصاری هم مضطربون فی ما جاءت به الأنبیاء فی المعاد، فالمحقّقون منهم یعلمون أنّ حججهم علی قِدَم العالم ونفی معاد الأبدان ضعیفة فیقبلون من الرسل ما جاؤوا به، ومنهم قوم واقفة متحیّرون لتعارض الأدلّة وتکافئها عندهم، ومنهم: قوم أصرّوا علی التکذیب، ثمّ زعموا أنّ ما جاءت به الرسل هو أمثال مضروبة لتفهم المعاد الروحانی، وهؤلاء إذا حقّق علیهم الأمر صرّحوا بأنّ الرسل تکذب لمصلحة العالم، وإذا أحسنوا العبارة قالوا: إنّهم یخیّلون الحقائق فی أمثال خیالیة، وقالوا: إنّ خاصّة النبوّة تخیّل الحقائق

۱- انظر شرح العقیدة الإصفهانیة، ط الریاض.

ص:۹۰

للمخاطبين، وإنّه لا يمكن خطاب الجمهور إلّا بهذا الطريق، كما يزعم ذلك الفارابى وأمثاله، مع أنّ الفارابى له فى معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة، تارةً يقول: لا تُعاد. وينكر المعاد بالكلية، وتارةً يقول: إنّها تُعاد، وتارةً يفرّق بين الأنفس العالمة والجاهلة فيقرّ بمعاد العالمة دون الجاهلة، ولهم فى تفضيل النبى على الفيلسوف أو بالعكس نزاع، فعقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضّل النبى على الفيلسوف وأمّا غلاتهم فيفضّلون الفيلسوف.

ولا ريب أنّ أوليهم ليس لهم فى النبوّات كلام محصّل، وكلامهم فى الإلهيّات قليل، وإنّما توسّع القوم فى الأُمور الطبيعية والرياضية ومصنّفات معلّمهم الأوّل أرسطو عامّتها من ذلك، والذى فيها من الإلهيّات أمر فى غاية القلّة مع اضطرابه وتناقضه، فإذا عرف ذلك فما جاء به السمع من أمر المعاد قرّره عليهم النظّار بطريقين:

أحدهما: ببيان الكلام الصريح فى إثبات معاد الأبدان وتفاصيل ذلك.

وثانيهما: إنّ العلم بأنّ الرسل جاءت بذلك علم ضرورى، فإنّ كلّ مَن سمع القرآن والأحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار أنّ الرسول (ص) أخبر بمعاد الأبدان، وأنّ القدح فى ذلك كالقدح فى أنّه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق، ونحو ذلك.

والقرامطة الباطنية، وهم من الفلاسفة، أنكروا هذا وزعموا أنّ هذه كلّها رموز وإشارات إلى علوم باطنة كما يقولون: إنّ الصلاة معرفة أسرارنا، والصيام كتمان أسرارنا، والحج زيارة شيوخنا المقدّسين، ونحو ذلك ممّا هو مذكور فى الكتب المؤلّفة فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم، ولهؤلاء القرامطة صُنّفت رسائل أخوان الصفا، وهم الذين يقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى محمّد بن إسماعيل بن جعفر.

قال ابن سينا: كان أبى وأخى من أهل دعوتهم؛ ولهذا اشتغلت بالفلسفة، وأمّا الفلاسفة الذين لم يدخلوا فى القرامطة المحضة فهم لا ينكرون العبادات والش–رائع العملية، بل قد يوجبون اتّباعها والعمل بها لا سيّما مَن دخل منهم فى التصوّف أو الكلام،

ص:۹۱

لكن منهم مَن يوجب اتّباعها على العامّة دون الخاصّة، أو يوجبها من غير الوجه الذى أوجبها الرسول، كما يجوّزون أن يكون بعد محمّد (ص) مَن يأتى بش-ريعة أُخرى، ويقولون: إنّ أحدهم يخاطبه الله سبحانه وتعالى كما خاطب موسى بن عمران، ويعرج به كما عرج بالنبى، وأمثال هذه المقالات التى كثرت لمّا ظهرت الفلسفة التى أفسدت طوائف من أهل التصوّف والكلام، أنّه إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول ممّا ينكره بعض أهل البِدَع، كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكالص-راط والشفاعة والحوض، ونحو ذلك ممّا استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبى، وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضاً لكن ليس التصريح به فى القرآن، والتصريح بالجنّة والنار، وقيام القيامة، وحشر الخلق؛ ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الأبدان أحد من أهل القِبلة، وأنكر هذه الأُمور التى جاءت بها الأحاديث المستفيضة بل المتواترة عند علماء أهل الحديث طوائف من أهل البِدَع إمّا من المعتزلة وإمّا من الخوارج وإمّا من غيرها.(۱)

وسُئل عن رجلٍ مسلمٍ يقول: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانيّة؟

فأجاب: هذا الكلام - وهو قول القائل: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانيّة - باطل، بل هو كفر يستتاب قائله ويبيّن له الحق، فإن أصرّ على اعتقاده بعد قيام الحجّة الشرعية عليه كفر، وإذا أصرّ على إظهاره بعد الاستتابة قُتل، وهو من كلام طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية الإسماعيلية ونحوهم كابن سينا وأمثاله، وأصحاب رسائل إخوان الصفا والعبيدين الذين كانوا بمصر من الحاكمية وأشباههم، وهؤلاء كانوا يتظاهرون بالتشيّع وهم فى الباطن ملاحدة ويسمّون القرمطة والباطنية وغير ذلك.(۲)

ويقول: لكن باطل الفلاسفة أكثر وهم أعظم مخالفة للحق المعلوم بالأدلة الشرعية والعقلية فى الأُمور الإلهيّة والدينية من أولئك المبتدعين من أهل الكلام. وقد تكلّم أهل البِدَع فى مسألة حدوث العالم والمعاد والصفات والنبوّات بما أضافوا إلى دين

۱- انظر نقض المنطق أو الردّ على المنطقيين.

۲- انظر الصفدية.

ص:۹۲

المسلمین من الأقوال التی لیست فی کتاب الله، ولا فی حدیث عن رسول الله (ص) ، ولا قالها أحد من الصحابهٔ والتابعین لهم بإحسان، ولا أحد من أئمّهٔ المسلمین، وإنّما هی مأخوذهٔ عن أهل الکلام المبتدع المحدث المذموم عند السلف والأئمّهٔ، الذی أصله مأخوذ من الجهمیهٔ والمعتزلهٔ.(۱)

وقال: والفلاسفهٔ المتظاهرون بالإسلام یقولون: إنّهم متّبعون للرسول، لکن إذا کشف حقیقهٔ ما یقولونه فی الله وملائکته وکتبه ورسله والیوم الآخر، تبیّن لمَن یعرف ما جاء به الرسول وما یقولونه فی نفس الأمر، أنّ قولهم لیس هو قول المؤمنین بالله ورسوله والمسلمین، بل فیه من أقوال الکفّار والمنافقین شیء کثیر.(۲)

وفی مقدّمهٔ کتابه درء تناقض العقل والنقل أو موافقهٔ صحیح المنقول لص-ریح المعقول، قال المحقّق الوهّابی مقدّماً ابن تیمیهٔ بعظیم المدح والإطراء متباهیاً بتطرّفه وتطرّف شیخه: قال شیخ الإسلام عَلَم الأعلام، مفتی الأنام، المجاهد الصادق الصابر سیف السنّهٔ المسلول علی المبتدعین، والقاطع البتّار لألسنهٔ المارقین الملحدین: إذا تعارضت الأدلّهٔ السمعیهٔ والعقلیهٔ أو السمع والعقل أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلیهٔ والقواطع العقلیهٔ، أو نحو ذلک من العبارات، فإمّا أن یجمع بینهما وهو محال؛ لأنّه جمع بین النقیضین، وإمّا أن یردّا جمیعاً، وإمّا أن یقدّم السمع وهو محال؛ لأنّ العقل أصل النقل فلو قدّمناه علیه کان ذلک قدحاً فی العقل الذی هو أصل النقل، والقدح فی أصل الشیء قدح فیه، فکان تقدیم النقل قدحاً فی النقل والعقل جمیعاً، فوجب تقدیم العقل ثمّ النقل، إمّا أن یتأوّل، وإمّا أن یفوّض، أمّا إذا تعارضا تعارض الضدّین امتنع الجمع بینهما، ولم یمتنع ارتفاعهما.

هذا الکلام قد جعله الرازی وأتباعه قانوناً کلیّاً فیما یستدلّ به من کتب الله تعالی

۱- انظر الصفدیهٔ.

۲- المرجع السابق.

ص:۹۳

وكلام أنبيائه، وما لا يستدل به؛ ولهذا ردّوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون فى صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأُمور التى أنبأوا بها وظنّ هؤلاء أنّ العقل يعارضها، أمّا هذا القانون الذى وضعوه فقد سبقهم إليه طائفة منهم أبو حامد وجعله قانوناً فى جواب المسائل، وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التى جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، والنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء من هؤلاء، لكنّ النصارى يشبههم مَن ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول (ص) كالخوارج الوعيدية والمرجئة والإمامية وغيرهم، بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة.

وقد شنّ ابن تيمية فى هذا الكتاب حرباً شعواء على: الجهمية، والمعتزلة، والفارابى، وإخوان الصفا، والسهروردى المقتول، وابن رشد الحفيد، ومَن سمّاهم بملاحدة الصوفية كابن عربى، وابن سبعين، وابن الطفيل صاحب رسالة حى يقظان، وغيرهم.

وتحت عنوان شرك الفلاسفة أشنع من شرك الجاهلية قال: العرب مع شركهم وكفرهم يقولون: إنّ الملائكة مخلوقون، وكان مَن يقول منهم: إنّ الملائكة بنات، ويقولون أيضاً: إنّهم محدثون، ويقولون: إنّه صاهر إلى الجن فولدت له الملائكة، وقولهم هذا من جنس قول النصارى فى أنّ المسيح ابن الله، وقول الفلاسفة شرّ من قول هؤلاء كلّهم.

هؤلاء يقولون ما ذكره ابن سينا وأتباعه، ومَن وافقهم من القرامطة والباطنية من الملاحدة والجهّال الذين دخلوا فى الصوفية، وأهل الكلام كأهل وحدة الوجود، وغيرهم.

يقولون إذا توجّه المستشفع إلى مَن يعظّمه، مثل بعض الصالحين، فإنّه يتّصل بذلك المعظم المستشفع به، فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا المستشفع من جهة شفيعه.

لهذا يرى هؤلاء دعاء الموتى، عند القبور وغير القبور، ويتوجّهون إليهم

ص:۹۴

ويستعينون بهم. وكثير منهم ومن غيرهم من الجهّال يرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم أفضل من الصلوات الخمس والدعاء فى المساجد، وأفضل مَن حجّ البيت العتيق.

ومعلوم أنّ كفر هؤلاء بما يقولونه فى الشفعاء أعظم من كفر مشركى العرب.

وهذا الكلام موجّه للشيعة، ولازال يردّده الوهّابيّون اليوم من أنّهم يفضّلون زيارة المراقد على الحج، وأنّ ذلك هو أفضل من الصلوات عندهم.

وقال ابن تيمية عن ابن سينا: وابن سينا تكلّم فى أشياء من الإلهيّات والنبوّات والمعاد والشرائع. فإنّه استفادها من المسلمين وإن كان إنّما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدى الذى كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد، أحسن ما يظهرونه دين الرفض، وهم فى الباطن يبطنون الكفر المحض.

وقد صنّف المسلمون فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتباً كباراً وصغاراً، وجاهدوهم باللسان واليد، إذ كانوا أحق بذلك من اليهود والنصارى.

وقال: مَن قال من المتأخّرين أنّ تعلّم المنطق فرض على الكفاية فإنّه يدل على جهله بالشرع وجهله بفائدة المنطق وفساد هذا القول معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وأجهل منه مَن قال: إنّه فرض على الأعيان، مع أنّ كثيراً من هؤلاء ليسوا مقرّين بإيجاب ما أوجبه الله ورسوله وتحريم ما حرّم الله ورسوله.

و قال: ما معهم – أى: الفلاسفة – من الحق أقل ممّا مع اليهود والنصارى والمشركين.

وقال: من ملاحدة المتصوّفة مَن يزعم أنّ أرسطو كان هو الخض–ر، وهؤلاء منهم مَن يفضّل الفلاسفة على الأنبياء فى العلم، ومَن يفضّل فرعون على موسى.

أمثال ذلك من المقالات التى تقولها الملاحدة المتفلسفة المنتمون إلى الإسلام فى الظاهر، من متشيّعٍ ومتصوّفٍ كابن سبعين وابن عربى وأصحابه، لهم من هذا الجنس

ص:۹۵

مـا يطول حكـايته، ممّا يـدلّ على أنّهم من أجهل الناس بالمعقول والمنقول، ولم يكفهم جهلهم بما جاءت به النبوّات حتّى ضـمّوا إلى ذلك الجهل بأخبار العالم وأيّام الناس والجهل بالعقليات.

لهـذا كان هؤلاء المتفلسـفة إنّما راجوا على أبعـد الناس عن العقل والـدين كالقرامطة والباطنية الذين ركّبوا مذهبهم من فلسـفة اليونان ودين المجوس وأظهروا الرفض، وكجهّال المتصوّفة وأهل الكلام.

وصـنّف الغزالى كتاباً فى مقاصـدهم، وصـنّف كتاباً فى تهافتهم وبيّن كفرهم بسـبب مسألـة قِدَم العالم وإنكار العلم بالجزئيات وإنكار المعاد.

وكلّ ما ثبّتته المتفلسفة من العقل باطل عند المسلمين، بل هو أعظم من الكفر.

أمّا شهادة سائر العلماء وطوائف أهل الإيمان بضلالهم وكفرهم فهذا البيان عام لايدفعه إلّا مكابر.

وإنّ كثيراً من الفلاسـفة وغيرهم من الزنادقـة يـدخلون فى دين المسـلمين واليهود والنصـارى من الشـرائع الظـاهرة، وإن لم يكونوا فى البـاطن مقرّين بحقيقـة مـا جـاءت به الأنبيـاء، كالمنـافقين فى المسـلمين يجرى عليهم أحكـام الإسـلام فى الظـاهر، وهم فى الآخرة فى الدرك الأسفل من النار.

هؤلاء ليسوا مسـلمين ولا- يهود ولا- نصارى، بل كثير من المش-ركين أحسن حالاً منهم، وهؤلاء أئمّـة النظار والمتفلسـفة، وصوفيتهم وشـيعيتهم كان من أسـباب تسـلّطهم وظهورهم هو بدع أهل البِدَع من الجهمية والمعتزلة والرافضة، ومَن نحا نحوهم فى بعض الأُصول الفاسـدة، فإنّ هؤلاء اشتركوا هم وأُولئك الملاحـدة فى أُصولٍ فاسـدةٍ يجعلونها قضايا عقليـة صادقـة وهى باطلة كاذبة مخالفة للشـرع والعقل. (۱)

۱- انظر الردّ على المنطقيين.

ص:۹۶

مقالته فی الشیعة

وضع ابن تیمیـة قاعـدةً لأتباعه والسائرین علی نهجه تجاه الشـیعة تقول: إنّ تبیین السـنّة وفضائل الصـحابة وتقدیمهم الصدِّیق والفاروق من أعظم أُمور الدین عند ظهور بِدَع الرافضة ونحوهم.(۱)

وابن تیمیة بقوله هذا قد أسّس للصراع المذهبی ووطّن له بین المسلمین، وهو ما نراه واقعاً عند الوهّابیّین، ویبدو بوضوح من خلال کمّ المنشورات التهدیدیة المتطرّفة التی تحرّم الخوض فی أمر الصـحابة، وتبالغ فی إضـفاء القداسة علیهم، وتنذر بالعقاب الشدید لکلّ مَن یخوض فی أمرهم، والتی یظهرونها ما بین الحین والآخر لإرهاب المسلمین.

وکان بعض أنصار ابن تیمیـة قـد أحضـروا له نسـخة من کتاب (منهاج الکرامة فی معرفة الإمامة) للعلاّمة ابن المطهّر الحلّی أحد فقهاء الشـیعة المعاصـرین لابن تیمیة، فاسـتفزّه الکتاب وقرّر أن یردّ علیه فی کتاب عرف باسم (منهاج السنّة النبویّة) اعتبره الوهّابیّون المرجع الأساس والقول الفصل فی الشیعة.

قال ابن تیمیة فی مقدّمة کتابه: قد أحضـر إلیّ طائفة من أهل السـنّة والجماعة کتاباً صـنّفه بعض شـیوخ الرافضة فی عصـرنا منفقاً لهذه البضاعـة، یـدعو إلی مـذهب الرافضـة الإمامیـة مَن أمکنه دعوته من ولاـة الأُمور وغیرهم من أهـل الجاهلیـة ممّن قلّت معرفتهم بالعلم والـدین، ولم یعرفوا أصل دین المسـلمین، وأعانه علی ذلک من عادتهم إعانـة الرافضـة من المتظاهرین بالإسـلام من أصـناف الباطنیة الملحدین، الذین هم فی الباطن من الصابئة الفلاسـفة الخارجین عن حقیقة متابعة المرسـلین، الذین لا یوجبون اتّباع دین الإسـلام، ولا یحرّمون اتّباع ما سواه من الأدیان، بل یجعلون الملل بمنزلة

۱- مجموع الفتاوی، ج ۲، ص۳۹۶.

ص:۹۷

المذاهب والسیاسات التی یسوغ اتّباعها، وأنّ النبوّة نوع من السیاسة العادلة التی وضعت لمصلحة العامّة فی الدنیا.

إنّ هـذا الصـنف یکثرون ویظهرون إذا کثرت الجاهلیـة وأهلهـا، ولم یکن هنـاک من أهـل العلم بالنبوّة والمتابعـة لها مَن یظهر أنوارها الماحیة لظلمة الضلال، ویکشف ما فی خلافها من الإفک والشرک المحال.

هؤلاء لا یکـذبون بـالنبوّة تکـذیباً مطلقـاً، بـل هم یؤمنـون ببعض أحوالهـا ویکفرون ببعض الأحوال، وهـم متفـاوتون فیمـا یؤمنون به ویکفرون به من تلک الخلال، فلهذا یلتبس أمرهم بسبب تعظیمهم للنبوّات علی کثیر من أهل الجهالات.

والرافضـة الجهمیـة هم الباب لهؤلاء الملحـدین منهم، منه یـدخلون إلی سائر أصـناف الإلحاد فی أسـماء الله وآیات کتابه المبین، کما قرّرت ذلک رؤوس الملحدة من القرامطة الباطنیة وغیرهم من المنافقین.

هـذا المصـنِّف سـمّی کتابه: منهاج الکرامـة فی معرفـة الإمامـة، وهوخلیق بأن یسـمّی منهاج الندامة، کما أنّ مَن ادّعی الطهارة وهو من الذین لم یرد الله أن یطهّر قلوبهم، بل من أهل الخبث والطاغوت والنفاق، وکان وصفه بالنجاسة والتکدیر أولی من وصفه بالتطهیر.

وقد قام الذهبی تلمیذ ابن تیمیة بتلخیص کتابه منهاج السنّة وأسماه: (منهاج الاعتدال فی نقض أهل البدع والاعتزال) .

ونقل عن ابن حنبل قوله: مَن لم یربّع بعلی فی الخلافة فهو أضلّ من حمار أهله، ونهی عن مناکحته، وهو متفق علیه، وإنّما یخالفهم فی ذلک بعض أهل الأهواء من أهل الکلام ونحوهم کالرافضة الطاعنین فی خلافة الثلاثة.(۱)

وتحدّث عن أنواع البِدَع بقوله عن الاحتفال بعید الغدیر وعاشوراء: ما جری فیه

۱- انظر السیاسة الشرعیة.

ص:۹۸

حادثة کما کان یجری فی غیره من غیر أن یوجب ذلک جعله موسماً، ولا کان السلف الصالح یعظّمونه کثامن عشرة ذی الحجّة الذی خطب فیه النبی (ص) بغدیر خم مرجعه من حجّة الوداع فإنّه خطب فیه خطبة وصّی فیها باتّباع کتاب الله، ووصّی فیها بأهل بیته، کما روی مسلم، فزاد بعض أهل الأهواء فی ذلک حتّی زعموا أنّه عهد إلی علی باطلاً وعملاً، وقد علم بالاضطرار أنّه لم یکن من ذلک، وزعموا أنّ الصحابة تمالؤا علی کتمان هذا النص، وغصبوا الوصی حقّه وفسقوا وکفروا إلّا نفراً قلیلاً، وهو عید محدث لا أصل له.

کذلک مایحدثه بعض الناس إمّا مضاهاةً للنصاری فی میلاد عیسی (ع) ، وإمّا محبّةً للنبی (ص) وتعظیماً له، والله قد یثیبهم علی هذه المحبّة والاجتهاد لا علی البدع من اتّخاذ مولد النبی عیداً، ومثل ما أحدث بعض أهل الأهواء فی یوم عاشوراء، فأحدث بعض أهل البدع فی مثل هذا الیوم خلاف ما أمر به الله عند المصائب، وضمّوا إلی ذلک من الکذب والوقیعة فی الصحابة، وأحدث بعض الناس فیه من أشیاء مستندة إلی أحادیث موضوعة لا أصل لها، والأشبه أنّ هذا وضع لما ظهرت العصبیة بین الناصبة والروافض، فإنّ هؤلاء أعدّوا یوم عاشوراء مأتماً فوضع أُولئک فیه آثاراً تقتضی التوسّع فیه واتّخاذه عیداً، وکلاهما باطل، وهؤلاء فیهم بِدَع وضلال، وأُولئک فیهم بِدَع وضلال، وإن کانت الشیعة أکثر کذباً وأسوأ حالاً.(۱)

وسُئِل ابن تیمیة: عمّن یزعمون أنّهم یؤمنون بالله عزّ وجلّ وملائکته وکتبه ورسله والیوم الآخر، ویعتقدون أنّ الإمام الحق بعد رسول الله (ص) هو علی بن أبی طالب، وأنّ رسول الله نصّ علی إمامته، وأنّ الصحابة ظلموه ومنعوه حقّه، وأنّهم کفروا بذلک، فهل یجب قتالهم، ویکفّرون بهذا الاعتقاد أم لا؟

۱- اقتضاء الصراط المستقیم فی مخالفة أصحاب الجحیم، وهو أحد الکتب المتطرّفة لابن تیمیة، الذی صبّ فیه غضبه علی أهل الکتاب والمسلمین الذین وصفهم بالقبوریین، وهو واحد من أهمّ مصادر الوهّابیّین المعاصرین.

ص:۹۹

فأجاب: أجمع علماء المسلمين على أنّ كلّ طائفة ممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنّه يجب قتالها حتّى يكون الدين كلّه لله.

فالرافضة يوالون مَن حارب أهل السنّة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى، فقد كان بالساحل بين الرافضة والإفرنج مهادنة.

وقد ذكر أهل العلم أنّ مبدأ الرفض إنّما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنّه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النص-رانى الذى كان يهودياً فى إفساد دين النصارى، وأيضاً فغالب أئمّتهم زنادقة، إنّما يظهرون الرفض؛ لأنّه طريق إلى هدم الإسلام.

وقد أشبهوا اليهود فى أُمور كثيرة، ولا سيّما السامرة من اليهود، فإنّهم أشبه بهم من سائر الأصناف: يشبّهونهم فى دعوى الإمامة فى شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكلّ مَن جاء بحق غير ما يدّعونه، وفى اتّباع الأهواء وتحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر، وصلاة المغرب، وتحريم ذبائح غيرهم، وغير ذلك.

ويشبّهون النصارى فى الغلو فى البشر والعبادات المبتدعة، وفى الشرك وغير ذلك، وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهم لا يرون جهاد الكفّار مع أئمّة المسلمين ولا الصلاة خلفهم ولا طاعتهم فى طاعة الله ولا تنفيذ شىء من أحكامهم؛ لاعتقادهم أنّ ذلك لا يسوّغ إلّا خلف إمام معصوم، ويرون أنّ المعصوم قد دخل فى السرداب.

وهم مع هذا يعطّلون المساجد التى أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جمعةً ولا جماعة، ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتّخذونها مشاهد، ويرون أنّ حجّ هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات حتّى أنّ من مشائخهم مَن يفضّلها على حج البيت الذى أمر الله به ورسوله، ووصف حالهم يطول.

ص:۱۰۰

وقد اختتم ابن تیمیة جوابه للسائل بقوله: ومَن اعتقد من المنتسبین إلی العلم أنّ قتال هؤلاء – الرافضة – بمنزلة قتال البغاة الخارجین علی الإمام بتأویلٍ سائغ، کقتال أمیر المؤمنین لأهل الجمل وصفِّین، فهو غالط جاهل بحقیقة شریعة الإسلام وتخصیصه هؤلاء الخارجین عنها.

أمّا قتل الواحد المقدور علیه من الخوارج کالحروریة والرافضة ونحوهم، فهذا فیه قولان للفقهاء هما روایتان عن أحمد، والصحیح أنّه یجوز قتل الواحد منهم کالداعیة إلی مذهبه ونحو ذلک ممّا فیه فساد، وأمّا تکفیرهم وتخلیدهم فی النار ففیه أیضاً للعلماء قولان مشهوران وهما روایتان عن أحمد.(۱)

ونصوص ابن تیمیة العدوانیة ضدّ الشیعة کثیرة، ولا یتّسع المجال لذکره هنا.(۲)

فتاوی متطرّفة

وفتاوی ابن تیمیة أکثر من أن تُحصی، وهی تشکّل تراثه الفکری، فالرجل لم یدوّن کتباً بالمعنی المألوف، وإنّما کتب رسائل وردوداً وأصدر فتاوی، جُمعت فیما بعد من قبل أتباعه وتلامیذه، وقد انتقینا هنا بعض الفتاوی الخاصّة بالخصوم والمعارضین، والتی تعکس مدی تطرّفه وعدوانیّته علی الآخرین:

– مَن قامت علیه الحجّة من أهل البِدَع استحقّ العقوبة.

– إنّ الکتب المشتملة علی الکذب والبِدعة یجب إتلافها وإعدامها، وهی أولی بذلک من آلات اللهو والمعازف، وإتلاف آنیة الخمر، فإنّ ضررها أعظم من ضرر هذه.

– جواز قتل معطّلی الشرائع من المسلمین وقتالهم (فتوی الیاسق) .

– وحَوْل ابن الفارض، وابن سبعین، وابن حمویه، الذین اتّهمهم بالقول بوحدة

۱– مجموع الفتاوی، ج ۲۸، ص۴۹۹.

۲– انظر لنا الحق والحقیقة بین الشیعة والسنّة، فصل ابن تیمیة وقفات ومراجعات.

ص:۱۰۱

الوجود والحلول أفتى بقوله: مَن يعاونهم وينصرهم على أهل الإيمان - ابن تيمية وأتباعه - فهو شر ممّن ينص-ر النصارى على المسلمين، فإنّ هؤلاء شر من قول النصارى، بل هم شر ممّن ينصر المشركين على المسلمين.

وقال: الراد على أهل البِدَع مجاهد.

وقال: جوّز طائفة من أصحاب الشافعى وأحمد وغيرهما، قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنّة، وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا: إنّما جوّز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الإفساد فى الأرض لا لأجل الردّة.

وقال: والرجل البالغ اذا امتنع عن صلاة واحدة من الصلوات الخمس، أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فإنه يُستتاب، فإن تاب وإلّا قتل، فمن العلماء مَن يقول يكون مرتدّاً كافراً لا- يُصلّى عليه ولا يُدفن بين المسلمين، ومنهم مَن يقول يكون كقطّاع الطُرُق وقاتل النفس والزانى المحصن.

وقال: وهذه حقيقة قول مَن قال عن السلف والأئمّة: إنّ الدعاة إلى البِدَع لا تقبل شهادتهم ولا يُصلّى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون.

وقال: ولا أستثنى أحداً من أهل البِدَع لا من المشهورين بالبِدَع الكبار من معتزلى ورافضى ونحو ذلك، ولا من المنتسبين إلى السنّة والجماعة من كرامى وأشعرى وسالمى ونحو ذلك، وكذلك مَن صنّف على طرقهم من أهل المذاهب الأربعة.

ولابن تيمية فتوى شهيرة فى حكم مَن بدّل شرائع الإسلام تُسمّى (فتوى الياسق) واعتمد عليها تيّار الجهاد فى الحكم بكفر الحكومات المعاصرة وأعوانها واستباحتهم، وهى الفتوى التى قُتل السادات على أساسها.

وهذه فتاوى مفتوحة من ابن تيمية متحصّ نة بالشافعية والمالكية بالإضافة إلى الحنابلة للقضاء على أهل البِدَع المخالفة للكتاب والسنّة من منظور فقهاء أهل السنّة، ويقصد بهم - بالطبع - كلّ مَن تصدّى للدعوى والبيان لأىّ طرحٍ خارج دائرتهم،

ص:۱۰۲

وعلی رأس هؤلاء الشیعة والمعتزلة.(۱)

وکلمة بِدْعة کلمة مطّاطة یمکن أن تُستخدم علی وجوه عدّة، وهنا تکمن خطورتها عندما تُطلق علی لسان حَمَلة الأسفار والفقهاء الصغار من الوهّابیّین، وعناصر الفِرَق المتطرّفة التی یریقون علی أساسها الدماء ویرفعون لأجلها رایة الجهاد.

والواقع المعاصر محکوم علیه بالجاهلیة مقدّماً من قِبَل هذه الجماعات، فمن ثمّ هو مستنقع للبِدَع وتکفی فتوی کهذه لإشعال النیران فیه.

وکان ابن تیمیة قد أفتی فی عام ۷۰۴ ه-باستباحة دماء الشیعة، وأقنع السلطان محمّد بن قلاوون بتسییر حملة اشترک فیها لمقاتلة الشیعة فی جبال کسروان بلبنان.

وکانت نتیجة هذه الحملة أن خربت کسروان وقتل النساء والشیوخ والأطفال.

ولم یقصر ابن تیمیة فتاواه علی المسلمین، بل تعدّاهم إلی المسیحیین، وأفتی بوجوب هدم الکنائس فی: مصر، والقاهرة، والکوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، ونحوها من الأمصار، سواء کانت تلک المعابد قدیمة قبل الفتح أو محدثة.

ومثل هذه الفتاوی وغیرها یوجد منها الکثیر فی کتب ابن تیمیة.

والسؤال هنا هو:

هل بعد حبس ابن تیمیة وموته سکتت مدافعه؟

والإجابة: إنّ بعض تلامذته، مثل: ابن قیّم، وابن کثیر، حاولا تسلیط هذه المدافع نحو المسلمین إلّا أنّ مصیرهما کان کمصیر إمامهما أن ضربا وضُیّق علیهما، ولحق بهما الأذی، فاتّجها نحو الکتابة والتصنیف.

ومنذ ذلک الحین أُسدل الستار علی ابن تیمیة وعُطِّلت مدافعه، وحلّ بها الخراب،

۱- انظر ردود ابن تیمیة علی مخالفیه وأحکامه المتطرّفة علیهم من خلال الردّ علی المنطقیین والردّ علی الأخنائی، ودرء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السنّة، والفتاوی الکبری، وغیرها، وانظر نص فتوی الیاسق ضمن ملاحق الکتاب، وسوف تأتی نماذج أُخری من فتاویه المتطرّفة فی الفصول القادمة.

ص:۱۰۳

حتّی ظهر محمّد بن عبد الوهاب فی جزیرة العرب، فکشف عنها، وقام بتنظیفها وتجهیزها، ثمّ سلّطها مرّةً أُخری علی المسلمین، وبنصرة ابن سعود قامت لأوّل مرّةٍ فی التاریخ دولة للحنابلة، وأصبح ابن تیمیة شیخ الإسلام بعد أن کان منبوذاً.

وببرکات النفط أصبحت له هیئات وجامعات ورموز تنش-ر فکره وتعرضه للمسلمین فی کلِّ مکان.

وعن طریق هذه المؤسّسات والجامعات والرموز اخترقت التیّارات والجماعات الإسلامیة وتشبّعت بفکره وتقمّصت شخصیته حتّی بدا وکأنّه لا یوجد فقهاء فی تاریخ المسلمین سواه.

وأصبحت کتب ابن تیمیة التی لم یکن یسمع عنها أحد تُطبع وتُوزّع مجاناً، وتُهدی ولا تُباع، بل تُوزّع فتاواه (۳۷ مجلَّداً) مجاناً علی المساجد والمؤسّسات والأفراد.

ومن هنا حملت الفِرَق الإسلامیة مدافع ابن تیمیة من جدید وأخذت توجّهها نحو المسلمین وأیضاً المسیحیین والآمنین والمسالمین فی کلِّ مکان.

ص:۱۰۴

ص:۱۰۵

ابن القيّم تلميذ ابن تيمية وحامل مدافعه

اشارة

يُعدّ ابنُ القيّم (ت ۷۵۱ه) الصاحب الأمين، والتلميذ النجيب، الذى دان بأفكار أُستاذه ابن تيمية، ولازمه وتعصّب له وامتحن بسببها وثبت عليها حتّى حبس معه فى حبسه الأخير الذى توفّى فيه.

واستمرّ ابن القيّم على مقالة ابن تيمية بعد وفاته ليُقبض عليه ويُحبس بسبب إنكاره شدّ الرحال لزيارة قبر الخليل (ع) وجرس فى الطرقات وهو على حمار، ومعه ابن كثير الدمشقى أحد تلاميذ ابن تيمية.(۱)

ويقول الوهّابيّون عنه: لم يخلف ابن تيمية مثله.

من مؤلّفاته:

الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطّلة.

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية.

حكم تارك الصلاة.

أحكام أهل الذمّة.

۱- انظر ترجمته فى الدرر الكامنة، ج۳، ص۴۰۱، ترجمة رقم ۱۰۶۷.

ص:۱۰۶

جوابات عابدی الأصنام وأنّ ما هم علیه دین الشیطان.

الصراط المستقیم فی أحکام أهل الجحیم.

الشافیة الکافیة فی انتصار الفرقة الناجیة.

بطلان الکیمیاء من أربعین وجهاً.

الطُرُق الحکمیة فی السیاسة الشرعیة.

ویبدو من عناوین هذه المؤلّفات نزعة التطرّف والعدوان علی الآخرین المخالفین، وهی النزعة التی ورثها عن أُستاذه ابن تیمیة.

صواعق وسهام

وسیراً مع نهج ابن تیمیة التزم ابن القیّم بتوجیه الحراب والسهام وإنزال صواعقه علی الخصوم والمخالفین.

فی کتابه اجتماع الجیوش الإسلامیة، الذی یُعدّ صورة موسّعة ومطوّرة من رسالة إمامه أحمد بن حنبل (الردّ علی الجهمیة والزنادقة) ، سلک فیه مسلک إمامه ابن حنبل وأُستاذه ابن تیمیة فی مواجهة المخالفین، معتمداً علی الروایات وأقوال سلفه من الحنابلة المتطرّفین وشعاراتهم التی رفعوها، وبدا وکأنّه صورة طبق الأصل من ابن حنبل وابن تیمیة.

وضع فی هذا الکتاب باباً تحت عنوان: منزلة صاحب السنّة وصاحب البِدْعة.

وقال: صاحب السنّة حیّ القلب ومستنیره، وصاحب البِدْعة میت القلب مظلمه.

وفی بابٍ تحت عنوان: بیان أهل الجهل والظلم وقد قسّمه إلی قسمین:

الأوّل: أهل الجهل.

والثانی: أصحاب الظلمات.

وفی الصواعق المرسلة قال: من المحال أن یکون تلامیذ المعتزلة الصابئین، وأفراخ الیونان، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأعرف به ممّن شهد الله ورسوله لهم بالعلم

ص:۱۰۷

والإيمان، وفضّلهم على مَن سبقهم، ومن يجيئ بعدهم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، وهل يقول هذا إلّا غبيٌّ جاهل لم يقدّر قدر السلف ولا عرف الله ورسوله وما جاء به.

وقال: وأمّا المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلّمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع فى عرف المتأخّرين من أهل الأُصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل، هذا التأويل هو الذى صنّف فى تسويغه وإبطاله من الجانبين:

فصنّف جماعة فى تأويل الصفات وأخبارها كأبى بكر بن فورك، وابن مهدى، والطبرى، وغيرهم.

وعارضهم آخرون فصنّفوا فى إبطال تلك التأويلات كالقاضى أبى يعلى وابن قدامة.

وقد انحاز ابن القيّم للقسم الثانى، بالطبع، الذى رفع رايته أئمّته من الحنابلة.

وقام واحد من الوهّابيّين بشرح نونيّة ابن القيّم وسمّاها: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة ابن القيّم المسمّاة: الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية.

وقال فى مقدّمة شرحه مادحاً: لم يُنسج على منوالها، ولم تسمح الدهور بشكلها وأمثالها، نظم الشيخ الإمام والعمدة القدوة الهمام شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصر الدين. ليس بخفيٍّ ما تضمّنته من أُصول الفصول، واشتملت عليه من من قواعد العقائد التى هى الحاصل والمحصول، واحتوت عليه من الردّ على أهل البِدَع والضلالة، والأقوال الباطلة المحالة والمحدثات المضلّة المخذولة، والخزعبلات المرذولة كالوجودية والجهمية والمعتزلة والرافضة والحرورية والكلابية والمرجئة والمجبرة، وغيرهم من أهل الضلالات والأقوال المحالات، وقمع أباطيلهم وردع أضاليلهم بالحُجج الظاهرة والبراهين الباهرة، من صحيح المنقول وصريح المعقول، موضوعها المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات البارى سبحانه رغم كلّ مخالف.

ص:۱۰۸

ونونيـة ابن القيّم هذه قصـيدة عقدية تنتهى بحرف النون، أكّد فيها على عقيدة التجسـيم والتشبيه، كما ورثها عن أُسـتاذه، وقد ردّ عليها العديد من الفقهاء.(۱)

وقد وضع فيها فصلاً تحت عنوان: إنّ أهل الحديث هم أنصار الرسول (ص) وخاصّته، ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

وفصل آخر تحت عنوان: فى تلاعب المكفّرين لأهل السنّة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان.

وفصل تحت عنوان: الردّ عليهم وتكفيرهم أهل العلم والإيمان، وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران.

ومن أبيات هذه القصيدة:

لكن أولوا التعطيل منهم أصبحوا

مرضـى بـداءِ الجهلِ والخـذلانِ فسألت عنهم رفقتى وأحبّتى أصـحاب جهمٍ حزب جنكسـتانٍ مَن هؤلاء ومَن يقال لهم فقـد جاؤوا بأمرٍ مالئ الآذانِ واحكم بسـفك دمائهم وبحبسـهم أو لا فشرّدوهم عن الأوطانِ حذّر صحابك منهُم فهُم أضلّ من اليهودِ وعابدى الصلبانِ واحذر تجادلهم بقال الله أو قال الرسول فتتئنى بهوانِ فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآنِ ولنا الأئمة كالفلاسفة الأُلى لم يعبأوا أصلاً بذى الديانِ منهم أرسطو ثمّ شيعته إلى هذا الآوان وكلّ آوان وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهانِ وكذا الطوسى لما أن غدا ذا قدرةٍ لم يخش من سلطانِ قتل الخليفة والقضاة وحاملى القرآن والفقهاء فى البلدانِ

۱- انظر السيف الصقيل فى الردّ على ابن زفيل - ابن القيم - تحقيق زاهد الكوثرى.

ص:۱۰۹

إذ هم مشبِّهةٌ مجسِّمةٌ وما

دانوا بـدين أكابر اليونان وأتى ابنُ سينا القرمطى مصانعاً للمسلمين بإفك ذى بهتانٍ يا مبغضاً أهل الحـديث وشاتماً أبشـر بعقـد ولايـة الشيطانِ أو ما علمت بأنّهم أنصار دينِ الله والإيمان والقرآنِ أو ما علمت بأنّ أنصار الرسول هُم بلا شكٍّ ولا نُكرانِ هل ينقص الأنصار عبـدٌ مؤمنٌ أو مدركٌ لروائح الإيمانِ قال الشارح: وقد بيّن الناظم فى غير هذا الموضع أنّ هؤلاء الفلاسـفة أكفر من اليهود والنصارى، وإن تظاهروا بالإسلام فإنّهم يظهرون من مخالفة الإسلام أعظم ممّا كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله (ص) .

أهل الذِّمَّة

وكحـال أُسـتاذه تجـاوز ابـن القيّـم دائرة الهجـوم على المخـالفين من المسـلمين، وأطلـق سـهامه على أهـل الكتـاب داعيـاً إلى نبـذهم وحصارهم والتضييق عليهم قدر الإمكان.

وصـنّف فى هذا كتابه (أحكام أهل الذمّة) الذى حوى العديد من الفصول التى تعلن الحرب عليهم وتحرّض المسـلمين على كراهيتهم وإذلالهم.

وقد حشا ابن القيّم كتابه هذا بشتّى الروايات الثقيلة الموجَّهة لأهل الذمّة.

ومن هذه الروايات التى حشدها فى كتابه:

روايـة تقول: لا خصاء فى الإسلام ولا كنيسة.

وهذه الروايـة منسوبة للرسول (ص) .

وثانى هذه الروايات منسوبة لابن عبّاس قال: أيّما مص-ر مص-رّته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه، ولا يضـربوا فيه ناقوساً، ولا يش-ربوا فيه خمراً، ولا يتّخذوا فيه خنزيراً، وأيّما مصر مصّرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا فيه، فإنّ للعجم ما فى عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلّفوهم فوق طاقتهم.

ص:۱۱۰

وثالث هذه الروايات منسوبة لعمر بن عبد العزيز أنّ عمر كتب أمراً بهدم الكنائس التى فى أمصار المسلمين.

ورابع هذه الروايات عن الحسن البصرى تقول: من السنّة أن تُهدم الكنائس التى بالأمصار القديمة والحديثة.

وخامس هذه الروايات تقول: سُئل ابن حنبل عن البيعة والكنيسة تحدث - أى: تُبنى من جديد - فقال: يرفع أمرها إلى السلطان، أى: ليأمر بهدمها.

وسادس هذه الروايات رواية منسوبة للرسول (ص) تقول: لا تكون قبلتان فى بلدٍ واحد.

وأُخرى تقول: لا تُبنى كنيسة فى الإسلام ولا يجدّد ما خرب منها.

وهذه الروايات وغيرها ممّا تكتظّ به كتب السنن فيما يتعلّق بأصحاب الديانات الأُخرى موضع شكّ فقهاء الحديث، ورغم ذلك يسترشد بها الفقهاء، كما أنّ هذه الروايات جميعها رُويت عن طريق أحمد بن حنبل.

ثمّ حشد ابن القيّم بعد هذه الروايات كمّاً من فتاوى الفقهاء التى ترتكز على هذه الروايات وغيرها من الروايات التى تتعلّق بأهل الذمّة.

وجميع هذه الفتاوى تتركّز فى دائرة منع بناء الكنائس ومنع ترميمها والعلاقة بين الحاكم والذمّى.

ومثل هذه الروايات التى استند عليها ابن القيّم والفتاوى التى استحض-رها هى التى ارتكز عليها حنابلة العصر، من الفرق الوهّابيّة، واستباحوا دماء وأموال غير المسلمين على أساسها، مرتكزين على أنّ المجتمع المعاصر يُعدّ حسب المفهوم الفقهى الذى وضعه الفقهاء دار حرب، لا يوجد فيها إمام ولا توجد بين المسلمين وغيرهم عقود ذمّة تُحفظ على أساسها أموالهم ودمائهم، فمن ثمّ هم عُرضة للاستحلال من قِبَل هذه الفرق التى جعلت من نفسها قيّماً على الدين ومعبّراً عنه وناطقةً بلسانه، وقد منحتها هذه الصلاحيات عقيدة أهل السنّة ونصوص الفقهاء، وعجز فقهاء العص-ر وتحالفهم مع الحكّام من جانبٍ آخر.

ص:۱۱۱

مثل هذا الفقه المتطرّف الذى بُنى على روايات ضعيفة، وعلى الأعراف وقرارات الحكّام، يجب أن يُعاد ضبطه مع القرآن، وهو لن ينضبط معه بحال، فالقرآن لم ينص على شيء من هذا تجاه أصحاب الديانات الأُخرى.

هذا الفقه إنّما هو وليد مرحلة سياسية خاصّة هى مرحلة الحروب والغزوات السياسية، وليس وليد النصوص.

ونقل ابنُ القيّم فى كتابه (الطُرُق الحكمية) فتوى شيخه ابن تيمية فى أهل الذمّة التى تجيز هدم كنائسهم ومعابدهم.

وفى فصل تحت عنوان: منزلة السنّة من الكتاب أنكر ابن القيّم على التيّارات والمذاهب الأُخرى قولها برفض الرواية التى تتناقض مع القرآن وتصطدم بأحكامه، أو تضيف حكماً جديداً فوق أحكام القرآن.

وقال: أنكر أحمد والشافعى على مَن ردّ أحاديث رسول الله (ص) لزعمه أنّها تخالف ظاهر القرآن، وقال: الذى يجب على كلّ مسلمٍ اعتقاده أنّه ليس من سنن رسول‌الله (ص) الصحيحة سنّة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

الأُولى: سنّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

الثانية: سنّة تفسّر الكتاب وتبيّن مراده منه وتقيّد مطلقه.

الثالثة: سنّة متضمّنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبيّنه بياناً مبتدأً.

ولا يجوز ردّ واحدةٍ من هذه الأقسام الثلاثة.

وليس للسنّة مع الكتاب منزلة رابعة.

ونقل قول أحمد: ما من أحدٍ يحتج عليه بسنّةٍ صحيحة تخالف مذهبه ونِحْلته إلّا ويمكنه أن يتشبّث بعموم آيةٍ أو إطلاقها، ويقول هذه مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تُقبل.

حتّى الرافضة قبّحهم الله سلكوا هذا المسلك بعينه فى ردّ السنن الثابتة المتواترة، فردّوا قوله (ص) : لا نورث ما تركناه صدقة، وقالوا: هذا حديث يخالف كتاب الله /يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ/. (النساء: ۱۱)

ص:۱۱۲

وردّت الجهمية ماشاء الله من الأحاديث الصحيحة فى إثبات الصفات بظاهر قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. (الشورى: ۱۱)

وردّ الخوارج من الأحاديث الدالّة على الشفاعة وخروج أهل الكبائر من الموحّدين من النار بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردّت الجهمية أحاديث الرؤية مع كثرتها وصحّتها بما فهموه من ظاهر القرآن فى قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ. (الانعام: ۱۰۳)

وردّت القدرية أحاديث القدر الثابتة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردّت كلّ طائفة ما ردّته من السنّة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وفى فصل الحكم بشهادة الفُسّاق قال وذلك فى صور:

أحدهما الفاسق باعتقاده إذا كان متحفّظاً فى دينه فإنّ شهادته مقبولة، وإن حكمنا بفسقه كأهل البِدَع والأهواء الذين نكفّرهم كالرافضة والخوارج والمعتزلة ونحوهم، هذا منصوص الأئمّة.

قال الشافعى: أقبل شهادة أهل الأهواء على بعض إلّا الخطابية.

وقال أحمد: لا تجوز شهادة القدرية والرافضة وكلّ مَن دعا إلى بِدْعة ويخاصم عليها.

وقال فى الرافضة: لعنهم الله لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم.

وقال: مَن أخاف عليه الكفر مثل الروافض والجهمية لا نقبل شهادتهم ولا كرامة لهم، وإذا كان القاضى جهمياً لا نشهد عنده.

وقد نصّ مالك على أنّ شهادة أهل البدع كالقدرية والرافضة ونحوهم لا تقبل وإن صلّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا.

وجميع أهل البدع قد كذبوا على الله ورسوله، والخوارج من أصدق الناس لهجةً، وقد كذبوا على الله ورسوله، كذلك القدرية والمعتزلة وهم يظنون أنّهم صادقون غير كاذبين فهم متديّنون بهذا الكذب ويظنّونه من أصدق الصدق.

ص:۱۱۳

وتحوّل ابن القيّم نحو الصور والتماثيل والكتب وأصحاب الرأى فقال: والمنكرات من الأعيان والصور يجوز إتلاف محلّها تبعاً لها مثل الأصنام المعبودة من دون الله، لما كانت صورها منكرة جاز إتلاف مادتها، فإذا كان حجراً أو خشباً ونحو ذلك جاز تكسيرها وإحراقها، وكذلك آلات اللهو كالطنبور يجوز إتلافها عند أكثر الفقهاء، كذلك لا ضمان فى تحريق الكتب المضلِّلة وإتلافها.

ونُقل عن ابن حنبل قوله عندما سُئل عن الرأى؟

فقال: لا نثبت شيئاً من الرأى، عليكم بالقرآن والحديث والآثار.

وقال عن كتب المخالفين: هذه الكتب بِدْعة، ومن وضع شيئاً من الكتب فهو مبتدع.

وقال ابن القيّم: وكلّ هذه الكتب المتضمّنة لمخالفة السنّة غير مأذون فيها، بل مأذون فى محوها وإتلافها، وما على الأُمّة أضرّ منها، وقد أحرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأُمّة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التى أوقعت الخلاف والتفرّق بين الأُمّة؟

ونقل قول الخلّال: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار رسول الله (ص) وأقبلوا على الكلام.

ونقل قول المروذى: يضعون البدع فى كتبهم، إنّما أحذر منها أشدّ التحذير.

قال ابن القيم معلِّقاً: وكلام أحمد فى هذا كثير قد ذكره الخلّال فى كتاب العلم.

وقال: ومسألة وضع الكتب فيها تفصيل ليس هذا موضعه، وإنّما كره أحمد ذلك الوضع منه لما فيه من الاشتغال به والإعراض عن القرآن والسنّة والذبّ عنهما، وأمّا كتب إبطال الآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس، وقد تكون واجبة مستحبّة ومباحة بحسب اقتضاء الحال. والمقصود أنّ هذه الكتب المشتملة على الكذب والبِدْعة يجب إتلافها وإعدامها، وهى أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإنّ ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان فى كس-ر أوانى الخمر.

ص:۱۱۴

والسؤال هنا: أليس هذا الكلام ينطبق على كتب الوهّابيّة التى أوقعت الفرقة والخلاف بين المسلمين، ونشرت التطرّف والإرهاب وسطهم؟

ثمّ يقول ابن القيّم: وأمّا أهل البِدَع الموافقون لأهل الإسلام ولكنّهم مخالفون فى بعض الأُصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلّد الذى لا بصيرة له، فهذا لا يُكفّر ولا يُفسّق ولا تُردّ شهادته، إذا لم يكن قادراً على تعلّم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً، فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً.

القسم الثانى: المتمكّن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته ولذّته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البِدْعة والهوى على ما فيه من السنّة والهدى رُدّت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنّة والهدى قُبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل فيطلب ويتبيّن له الهدى، ويتركه تقليداً أو تعصّباً أو بُغضاً أو معاداةً لأصحابه، فهذا أقلّ درجاته: أن يكون فاسقاً، وتكفيره، محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلناً داعية رُدّت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلاّ عند الضرورة كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففى ردّ شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير، ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة.

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ ابن القيّم شكّل الدعامة الثانية لفكر الإرهاب والتطرّف التى ارتكز عليها الوهّابيّون.

ص:۱۱۵

محمّد بن عبدالوهاب باعث الإرهاب

اشارة

لا ـ ينكر أنّ فترة القرن الثامن عشر كانت تحتاج إلى صحوة إسلامية وتجديد فعلى للفكر الإسلامى، إلّا أنّ ما فعله محمّد بن عبد الوهاب وما دعا إليه لم يكن صحوةً ولم يكن إصلاحاً لحال المسلمين.

ولم يكن محمّدبن عبدالوهاب ليبرز بدعوته لولا ـ تراث ابن تيمية ودعم آل سعود، وهذا يعنى افتقاده المقوّمات الذاتية من الفقه والاجتهاد والزعامة.

من هنا فإنّ الخوض فى تراث محمّد بن عبد الوهاب يعنى الخوض فى تراث ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيّم، وغيرهم من الحنابلة المتطرّفين، فهو لم يأت بجديد وإنّما قام ببعث هذا التراث الذى طواه النسيان وغاب عن الأذهان.

قرن الشيطان

ينتمى محمّد بن عبد الوهاب إلى منطقة نجد، وهى نفس منطقة آل سعود، وقد وُلد عام (۱۱۱۵ ه- - ۱۷۰۳ م) فى بلدة العيينة شمال الرياض.

وكان حادّ المزاج يعشق ابن تيمية ويتقمّص شخصيته.

ص:۱۱۶

وتروى كتب الأحاديث أنّ رسول الله (ص) ذمّ نجد وأهلها وحذّر المسلمين من شرّهم.

الرواية الأُولى تقول: ألا إنّ الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان، وأشار إلى نجد.

والرواية الثانية تقول: الفتنة من قِبَل المشرق؛ حيث يطلع قرن الشيطان.

والرواية الثالثة تقول: اللّهمّ بارك لنا فى شامنا وفى يمننا.

قالوا: وفى نجدنا يا رسول الله: فكرّروا ثلاثاً ورسول الله يدعو للشام واليمن، ثمّ قال: تلك مواضع الزلازل والفتن. (۱)

إلّا أنّ فقهاء الوّهابيّة لم يتركوا هذه الروايات تمرّ مرور الكرام؛ خوفاً من أن يستثمرها خصومهم، فعملوا على تأويلها وصرفها عن معناها.(۲)

وكان محمّد بن عبد الوهاب قد درس الفقه والحديث على يد والده إلّا أنّه لم يفلح، ثمّ تنقّل فى البلاد طلباً للعلم وقد طاب له المقام بالبصرة، إلّا أنّ أهلها أخرجوه منها وطردوه حافياً، بسبب دخوله فى صدام مع الفقهاء، وإنكاره عليهم زياراتهم لمقابر الأولياء والتوسّل بهم، فتوجّه بعدها إلى الشام ولم يوفّق فيها، وعاد إلى نجد حيث لازم أباه، وعكف على كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم.

ثمّ بدأ بعد ذلك فى الاحتكاك بالناس ودعوتهم إلى أفكاره فكان أن اصطدم به والده وشقيقه سليمان، وحارباه، ولم يتسطع الجهر بدعوته إلّا بعد وفاة أبيه، إلّا أنّه أُجبر على الفرار من (حريملا) بعد أن نجا من محاولة لقتله، واتّجه نحو (العيينة) مسقط رأسه، واحتمى بحاكمها ودعاه إلى مذهبه فمال إليه، ثمّ تراجع عن نصرته بعد أن أحسّ بغضب حاكم الأحساء، الذى أرسل يطلب رأس ابن عبد الوهاب، فأمر بإخراجه، وأرسل معه فارساً وكّله بقتله فى الطريق.(۳)

۱- انظرالبخارى ومسلم كتاب الفتن.

۲- أصدر الوهّابيون منشوراً يشرحون فيه هذا الحديث بما يدفع الشبهات عن ابن عبد الوهاب وآل سعود.

۳- انظرمحمّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، لابن باز، ط السعودية، يُهدى ولا يُباع.

ص:۱۱۷

وتروى الكتب الوهّابيّة أنّ هـذا الفارس ارتعدت يداه ولم يتمكّن من قتله، فنزل ابن عبد الوهاب (الدرعية) وهناك تعرّف عليه أميرها محمّد بن سعود.(۱)

- الدم. . الدم، والذهب. . الذهب.

ويروى أنّ ابن سعود دخل على ابن عبد الوهاب قائلاً: أبشر بالخير والعِزّ والمنعة.

وكان ردّ ابن عبد الوهاب: وأنت أبشر باليُمن والغلبة على جميع بلاد نجد.

ورجاه أن يكون إماماً يجتمع عليه المسلمون ويكون له الملك والسيادة ومن بعده فى ذرّيّته.

قال ابن سعود: أبشر بالنصر لما أمرت به والجهاد لمَن خالف التوحيد ولكنّى أشترط عليك شرطين:

الأوّل: إذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلاد لا ترحل عنّا ولا تستبدلنا بغيرنا.

الثانى: أنّ لى على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم فى وقت اقتطاف الثمّار فلا تمنعنى من استيفائه منهم.

فقال ابن عبد الوهاب: أمّا الأُولى فامدد يدك لأبايعك، فمدّها له وقبض عليها الشيخ قائلاً: الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأمّا الثانية فلعلّ الله يفتح لنا الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ما هو خير منها.(۲)

وتمّ الاتّفاق وبدأ ابن عبد الوهاب يخطّط لدعوته.

وابن سعود يخطّط لملكه.

وهكذا تمّ تقسيم السلطات وتوزيع الاختصاصات.

وهكذا أعمل السيف فى رقاب المسلمين فى جزيرة العرب، المناهضين لدعوة التوحيد التى يرفع رايتها محمّد بن عبد الوهاب.

۱- المرجع السابق، وانظر تاريخ الجزيرة العربية فى عصر محمّد بن عبد الوهاب لخزعل.

۲- محمّد بن عبد الوهاب لابن باز.

ص:۱۱۸

وأُحلّت لابن سعود الغنائم بفتوى ابن عبد الوهاب.

وسار كلاهما فى طريق جانبه ذهب وجانبه الآخر دماء.

وربح ابن سعود الملك والذهب.

وربح ابن عبد الوهاب منصب شيخ الإسلام فى جزيرة العرب.

وكان هذا الاتّفاق بمثابة تأكيد لشرعية فصل الدين عن الدولة.

عقيدة ابن عبدالوهاب

لكن السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: هل جاء محمّد بن عبد الوهاب بشىء جديد؟

والإجابة: أنّ عقيدة ابن عبد الوهاب هى عقيدة الحنابلة وابن تيمية على وجه الخصوص، تلك العقيدة التى تقوم على ما يلى:

* الروايات.

* السلف من الحنابلة.

* تكفير المخالفين واستحلالهم.

وعلى أساس الروايات وأقوال الحنابلة بنى ابن عبد الوهاب عقيدته التى أسماها عقيدة التوحيد.

وما دامت عقيدته هى عقيدة التوحيد فإنّ مَن يخالفه أو يناهضه فهو من المشركين المستباحين.

من هنا فإنّ محمّد بن عبد الوهاب نهض بسيف ابن سعود للقضاء على ما أسماه بالشرك والضلال فى جزيرة العرب.

نهض ابن عبد الوهاب ليدعوا إلى توحيد العبودية لله؛ حيث إنّ الناس فى زمانه قد أشركوا فى عبادة الله الأنبياء والأولياء والأشجار، ونذروا لها، وحلفوا بها، وقدّسوها. . !

ص:۱۱۹

ويدعو إلى رفض التوسّل بالأموات من الأنبياء والصالحين. .

ويدعو إلى منع شدّ الرحال إلى مساجد الأنبياء والصالحين (الزيارة) ،

ويدعو إلى منع البناء على القبور وكسوتها وإنارتها.

ويدعو إلى توحيد الأسماء والصفات، أى: وصف الله بما ورد فى الروايات من أنّ له يداً وعيناً ورجلًا ويضحك ويغار ويفرح ويهبط ويصعد وما شابه ذلك، ورفض تأويل هذه الروايات وصرفها عن معناها الظاهرى إلى معنى مجازى.

ويدعو إلى إنكارالاحتفال بمولد الرسول (ص) ، وإحياء المناسبات والصلاة على الرسول بعد الآذان والتلفّظ بالنيّة، وغيرها من الأُمور الشكلية والهامشية التى لا تُقدّم ولا تُؤخّر، بل كانت النتيجة - من وراء إثارتها - أن ازداد واقع المسلمين تصدّعاً وسادته الفرق المتطرّفة المعوجّة التفكير، التى نشرت الإرهاب فى كلّ مكان، وشوّهت الإسلام.

ويبدو من خلال هذه الأُمور - التى دعا إليها ابن عبد الوهاب -أنّه لم يأت بجديد، وأنّ مثل هذه الأفكار طرحها من قبل ابن تيمية وتمّ ضربها وانتهت بموته فى الحبس.

إلّا أنّ الفارق بين ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أنّ ابن تيمية لم يجد له نصيراً يدعمه بسيفه، بينما تحقّق لابن عبد الوهاب ذلك.

من هنا يمكن القول: إنّ عقيدة ابن عبد الوهاب فُرضت على الناس بالسيف لابالدعوة والحوار.

ولو كانت دعوته تعتمد على الحوار والتبليغ لما كانت هناك حاجة لسيف ابن سعود.

الرسول ومحمّد بن عبدالوهاب

وفتن الوهّابيون بشيخهم كما فتن أنصار وتلامذة ابن تيمية بإمامهم من قبل، ورفعوه عالياً فوق مقام الأئمّة والمصلحين حتّى ساووه بالرسول (ص) .

ص:۱۲۰

وإليكم التفاصيل:

يحدّد أحد تلامذة الوهّابية وجه المشابهة بين عص-ر الرسول (ص) وعص-ر محمّد بن عبدالوهاب بقوله:

* (عصر الرسول كان عصراً قد بلغ من فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً، وكان عصر ابن عبد الوهاب شبيهاً بهذا العصر.

* بُعث الرسول (ص) بعد فترةٍ من الرسل، والبشرية متعطّشة إلى بعثته الكريمة.

وجاء محمّد بن عبد الوهاب فى وقتٍ كانت جزيرة العرب فى أمس الحاجة إلى مصلح يرجع بها إلى تعاليم الرسول (ص) .

* كما وُفّق نبيّنا فى الدعوة إلى الله وتوحيده ونبذ الشرك، وُفّق محمّد بن عبدالوهاب فى دعوته.

* أُخرج الرسول (ص) من مكّة وأُوذى من قريش وأجمعوا على قتله فهاجر، وكذلك ابن عبد الوهاب أُوذى وحاول البعض قتله فهاجر إلى الدرعية.

* كما جرى للرسول (ص) وهو فى طريقه نحو المدينة أن تبعه سراقة وحاول قتله، كذلك جرى ذلك لابن عبد الوهاب حين أُخرج من العيينة.

* وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل رسول الله.

* ومثلما اعترض الرسول (ص) الخطر والكوارث والهلاك، اعترضت حياة ابن عبدالوهاب الويلات والكوارث.

* وكما كان الرسول (ص) يغزو بنفسه، كان ابن عبد الوهاب يغزو بنفسه مع ابن سعود.

* وكما كان الرسول (ص) يرسل الرسل إلى الملوك والحكّام يدعوهم إلى دين التوحيد، كان ابن عبد الوهاب يفعل نفس الشيء.

* وكما ابتُلى الرسول (ص) بأعداء أقوياء يتّهمونه بالسحر والكذب، ابتُلى ابن عبدالوهاب أيضاً بأعداء أقوياء اتّهموه بالكذب والسحر، حتّى أخوه سليمان كان عدوّاً لدوداً له.

ص:۱۲۱

* وكما انتصر الرسول (ص) على أعدائه وخضعوا له، كذلك ابن عبد الوهاب انتصر على أعدائه وخضعوا له.

ويعتبر الوهّابيون أنّ الاتّفاق الذى وقع بين ابن عبد الوهاب ومحمّد بن سعود هو نفس الاتّفاق الذى تمّ بين الرسول (ص) والأنصار فى بيعة العقبة الثانية حتّى أنّ ابن عبدالوهاب قال نفس ما قاله الرسول: الدم بالدم والهدم بالهدم.

وكما آخى الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى محمّد بن عبد الوهاب بين المهاجرين إليه من مريديه وأهل الدرعية التى اتّخذها مقرّاً لدعوته.۹(۱)

رسائل وقذائف

وتدور مؤلّفات ابن عبد الوهاب فى أغلبها حول ما اعتبره من الشرك والبدع التى قام لمناهضتها باعتبارها متناقضة مع التوحيد، حسب منظوره، وهى لاتُعدّ مؤلّفات بالمعنى المعروف؛ لكونها لا تخرج عن كونها رسائل صغيرة محشوّة بالروايات المبعثرة، ولا أثر فيها لجهد علمى أو اجتهاد شخصى سوى بعض الكلمات الصارخة المتطرّفة فى وجه المخالفين، وهو ما دفع بالوهّابيين إلى الإسراع لسدّ عورات هذه الرسائل بشرحها والإضافة عليها، ودعمها بالروايات وأقوال ابن تيمية وابن القيّم وغيرهما من الحنابلة المتطرّفين.(۲)

ومن هذه الرسائل:

التوحيد الذى هو حقّ الله على العبيد.

مسائل الجاهلية.

۱- انظر محمّد بن عبد الوهاب.

۲- انظر فى هذا مقدّمة رسائل لخّصها محمّد بن عبد الوهاب من كتب ابن تيمية حيث قال المحقّق: وقد تبيّن لى من خلال قراءة الكتاب أنّه غير منتظم العبارات، ويوجد به انقطاع فى بعض الكلام، وأرجع ذلك إلى تص-رّف بعض الناسخين، ثمّ قال: وقد قمنا بإصلاح ما قدرنا على إصلاحه بمراجعة كتب ابن تيمية.

ص:۱۲۲

أُصول الإيمان.

الكبائر.

مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد.

كشف الشبهات، وهو الكتاب الذى فرضه آل سعود على أهل مكّة حين سقطت فى أيديهم، وأجبروا الناس على قراءته وتدريسه بالحرم المكّى.

وقد قسّم ابن عبد الوهاب التوحيد إلى ثلاث أقسام سيراً مع نهج ابن تيمية:

القسم الأوّل: توحيدالأُلوهية.

القسم الثانى: توحيد الربوبية والملك.

القسم الثالث: توحيد الاسماء والصفات.

يقول: ولا إله إلّا الله اشتملت على نفى وإثبات فنفت الأُلوهية عن كلّ ما سوى الله تعالى، فكلّ ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم، فليس بإله ولا له من العبادة شىء، وأُثبتت الأُلوهية لله وحده بمعنى: أنّ العبد لا يأله غيره، أى: لايقصده بشىءٍ من التألّه وهو تعلّق القلب الذى لا يوجب قصده بش-ىء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، وبالجملة فلا يأله إلّا الله، أى: لا يعبد إلّا هو، فمَن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها من نفى الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تتضمّنه من ذلك والعمل به؛ فهذا هو المسلم حقّاً، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو كافر ولو قالها، وكذلك مَن يقولها مَن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعبادة القبور والأصنام؛ فلا تنفعهم ولا يدخلون فى الحديث الذى جاء فى فضلها وما أشبهه من الأحاديث.

وعبّاد القبور لمّا رأوا النبى (ص) دعا قومه إلى قول لا إله إلّا الله ظنّوا إنّما دعاهم إلى النطق بها فقط، وهذا جهلٌ عظيم، إنّما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله.

وأمّا عبّاد القبور فلم يعرفوا معنى هذه الكلمة، ولا عرفوا الإلهيّة المنفيّة عن غير الله

ص:۱۲۳

الثابتة له وحده لا شريك له، بل لم يعرفوا من معناها إلّا ما أقرّ به المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كلّهم /وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ/. (يوسف: ۱۰۶)

وعبّاد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله، والمدفون فى التراب أعظم فى قلبه من ربّ الأرباب، وأكثرهم يرى أنّ الاستغاثة بإلهه الذى يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجع من الاستغاثة بالله فى المسجد ويص-رّحون بذلك.

وكثير منهم عطّلوا المساجد وعمّروا القبور والمشاهد.

قال رسول الله (ص) : أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا؛ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّى دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله تعالى.

فهذا الحديث كآية براءة بيّن فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداءً، فإذا فعلوه وجب الكفّ عنهم إلّا بحقّه، فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول فى الإسلام وجب القتال، حتّى يكون الدين كلّه لله، بل لو أقرّوا بالأركان الخمسة وفعلوها وأبوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه، أو عن تحريم بعض محرمات الإسلام كالربا والزنا أو نحو ذلك، وجب قتالهم إجماعاً ولم تعصمهم لا إله إلّا الله ولا ما فعلوه من الأركان، وهذا من أعظم ما بيّن معنى لا إله إلاّ الله، وأنّه ليس المراد منها مجرّد النطق، فإذا كانت لا تعصم مَن استباح محرّماً، أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً، بل يقاتل على ذلك حتّى يفعله، فكيف تعصم مَن دان بالشرك وفعله وأحبّه ومدحه وأثنى على أهله ووالى عليه وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذى هو إخلاص العبادة لله، وتبرّأ منه وحارب أهله وكفّرهم وصدّ عن سبيل الله كما هو شأن عبّاد القبور.

وقد أجمع العلماء على أنّ مَن قال: لاإله إلّا الله وهو مش-رك أنّه يقاتل حتّى يأتى بالتوحيد.

ص:۱۲۴

واستشهد الشارح بفتوى ابن تيمية (الياسق) التى أشرنا إليها سابقاً.

ونقل قول ابن تيمية: وهؤلاء عند المحقّقين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعى الزكاة، ومثل هذا كثير فى كلام أهل العلم.

ثمّ قال: ويكفى للعاقل المنصف ما ذكره العلماء من كلّ مذهب فى باب حكم المرتد، فإنّهم ذكروا فيه أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو أتى بجميع الدين، وهو صريح فى كفر عبّاد القبور، ووجوب قتالهم إن لم ينتهوا؛ حتّى يكون الدين لله وحده، فإذا كان مَن التزم شرائع الدين كلّها إلاّ تحريم الميسر، أو الربا، أو الزنا، يكون كافراً يجب قتاله، فكيف بمَن أشرك بالله، ودعا إلى إخلاص الدين لله والبراءة والكفر بمَن عبد غير الله فأبى عن ذلك واستكبر وكان من الكافرين؟

ونقل عن ابن تيمية قوله فى الرسالة السنية: فإذا كان فى عهد النبى (ص) مَن انتسب إلى الإسلام ومرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أنّ المنتسب للإسلام والسنّة فى هذا الزمان - أيضاً - قد يمرق من الإسلام؛ وذلك لأسباب، منها: الغلو فى بعض المشايخ، بل الغلو فى على بن أبى طالب، بل الغلو فى المسيح (ع) ، فكلّ مَن غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيّدى فلان انص-رنى أو أغثنى أو ارزقنى وأجرنى، أو أنا حسبك ونحو هذه الأقوال، فكلّ هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلاّ قُتل؛ فإنّ الله إنّما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد وحده ولا يُدعى معه إله آخر.

ونقل عنه أيضاً قوله: مَن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكّل عليهم يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً.

قلت - أى: الشارح -: وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين.

ونقل عن ابن النحاس الشافعى قوله فى كتاب الكبائر: ومنها إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون: إنّها تقبل النذور، وهذه كلّها بِدَع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو آثارها، فإنّ أكثر الجهّال يعتقدون أنّها تنفع

ص:۱۲۵

وتضر، وتجلب وتدفع، وتشفى المرض، وتردّ الغائب إذا نذر لها، وهذا شرك ومحادة لله تعالى والرسول.

قال الشارح: فصرّح أنّ الاعتقاد فى هذه الأُمور أنّها تضرّ وتنفع، وتجلب وتدفع، وتشفى المريض وتردّ الغائب إذا نذر لها، إنّ ذلك شرك، وإذا ثبت أنّه شرك فلا فرق فى ذلك بين اعتقاده فى الملائكة والنبيين، ولا بين اعتقاده فى الأصنام والأوثان.

ونقل عن ابن القيّم قوله فى شرح المنازل عن الشرك: ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجّه إليهم، وهذا أصل شرك العالم. وأمرنا النبى (ص) إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحّم عليهم وندعوا لهم، فعكس المش-ركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقّص بالأموات، وهم قد تنقّصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحّدين بذمّهم ومعاداتهم، وهؤلاء هم أعداء الرسل (ص) فى كلّ زمانٍ ومكان.

ونقل قول ابن تيمية: مَن تشبّه من هذه الأُمّة باليهود والنصارى وغلا فى الدين بإفراطٍ فيه أو تفريط، وضاهاهم فى ذلك؛ فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام، وكذلك مَن غلا فى دينه من الرافضة والقدرية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.(۱)

وكان محمّد بن عبد الوهاب قد كتب العديد من الرسائل التى وجّهها إلى خصومه؛ يدافع فيها عن نفسه وعن أفكاره ومعتقداته وما نُسب إليه من الخروج عن الإجماع وتكفير المسلمين، وقد جمع الوهّابيون هذه الرسائل فى كتابٍ أسموه: (مؤلّفات محمّد ابن عبدالوهاب فى العقيدة) .

قال فى الرسالة الأُولى: أمّا أنّى أقول: لا يتمّ إسلام الإنسان حتّى يعرف معنى لاإله إلّا الله، وأنّى أعرف مَن يأتينى بمعناها، وأنّى أكفّر الناذر إذا أراد بنذره التقرّب لغير الله

۱- انظرتيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد.

ص:۱۲۶

وأخذ النذر لأجل ذلك، وأنّ الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام، فهذه المسائل حقّ وأنا قائل بها.

وفی الرسالة الثالثة التی تتکوّن من أربعة مسائل، کان عنوان المسألة الأُولی: بیان التوحید مع أنّه لم یطرق آذان أکثر الناس.

والثانیة کان عنوانها: بیان الشرک ولو کان فی کلام مَن ینتسب إلی العلم أو عباده.

والثالثة کان عنوانها: تکفیر من بان له أنّ التوحید هو دین الله ورسوله ثمّ أبغضه ونفّر الناس منه وجاهد من صدّق الرسول فیه.

والرابعة کان عنوانها: الأمر بقتال هؤلاء خاصّة حتّی لا تکون فتنة ویکون الدین کلّه لله.

وفی الرسالة الثانیة والعشرین قال: اعلم أنّ المشرکین فی زماننا قد زادوا علی الکفّار فی زمن النبی (ص) بأنّهم یدعون الملائکة والأولیاء والصالحین ویریدون شفاعتهم والتقرّب إلیهم، وقد یکون لأعداء التوحید علوم کثیرة وکتب وحجج /فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ/. (غافر: ۸۳)

فإذا عرفت ذلک وعرفت أنّ الطریق إلی الله لابدّ له من أعداء قاعدین علیه، أهل فصاحة وعلم وحجج، کما قال تعالی: /وَ لا تَقْعُدُوا بِکُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ/ (الاعراف: ۸۶) ، فالواجب علیک أن تعلم عن دین الله ما یصیر لک سلاحاً تقابل به هؤلاء الشیاطین الذین قال إمامهم ومقدّمهم لربّک عزّ وجلّ: /لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِیمَ * ثمّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ/ (الاعراف: ۱۶و۱۷) ، ولکن إذا أقبلت علی الله وأصغیت إلی حجج الله وبیانه فلا تخف ولا تحزن إنّ کید الشیطان کان ضعیفاً، والعالم من الموحّدین یغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشرکین کما قال الله تعالی: /وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ/ (الصافات: ۱۷۳) ، فجند الله هم الغالبون بالحجّة واللسان، کما أنّهم الغالبون بالسیف والسنان.

ص:۱۲۷

وأمّا التكفير فأنا أكفّر من عرف دين الرسول ثمّ بعد ما عرفه سبّه ونهى الناس عنه وعادى مَن فعله، فهذا الذى أُكفّر.

وفى الرسالة الثانية والثلاثين قال: إنّ من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

الأوّل: الشرك فى عبادة الله وحده لا شريك له، ومنه الذبح لغير الله كمَن يذبح للجن والقباب /إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ/. (النساء: ۴۸)

الثانى: مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة؛ كفر إجماعاً.

الثالث: مَن لم يكفّر المشركين أو شكّ فى كفرهم أو صحّح مذهبهم كفر إجماعاً.

الرابع: مَن اعتقد أنّ غير هدى النبى أكمل من هديه، أو حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضّلون حكم الطاغوت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: مَن أبغض شيئاً ممّا جاء به الرسول ولو عمل به كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: /ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ/. (محمد: ۹)

السادس: مَن استهزأ بشىء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: قُلْ أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ. (التوبة:۶۵و۶۶)

السابع: السحر فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله تعالى: /وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ/. (البقرة: ۱۰۲)

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: /وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ/. (المائدة: ۵۱)

التاسع: مَن اعتقد أنّ بعض الناس لا يجب عليه اتّباعه (ص) ، وأنّه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلّمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثمّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ . (السجدة: ۲۲)

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلّا المكره، وكلّها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً.

ص:۱۲۸

ومن المعروف أنّ الإنجليز عندما برزوا فى المشرق الإسلامى دعموا مجموعة من الفرق التى برزت فى واقع المسلمين من أجل هدم الإسلام وتفريق المسلمين وزرع العداوة والبغضاء بينهم، وعلى رأس هذه الفرق كانت القاديانية فى الهند، والبهائية فى فارس، ثمّ الوهّابية فى جزيرة العرب.

وهذا يعنى أنّ الوهّابية تعاونت مع المشركين وتحالفت معهم على المسلمين ممّا يُشير إلى أنّ ابن عبد الوهاب نقض إسلامه حسبما ذكر فى البند الثامن.

وكذلك أتباعه من الوهّابيّين وعلى رأسهم ابن باز الذين أفتوا بجواز الاستعانة بالمشركين وتظاهروا معهم على المسلمين، بل ومنحوهم الفرصة للتمكّن فى جزيرة العرب من أجل ضرب المسلمين.(۱)

وفى الرسالة الثالثة والثلاثين قال: ولو ذهبنا لعدد من كفّره العلماء مع ادّعائه الإسلام وأفتوا بردّته وقتله لطال الكلام، لكن من آخر ما جرى قصّة بنى عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدّعون أنّهم من أهل البيت، ويصلّون الجمعة والجماعة، ونصّبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردّتهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم.

مسائل الجاهلية

قال ابن عبد الوهاب فى مقدّمة هذا الكتاب: هذه مسائل طالب فيها رسول الله (ص) ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأُمّيين ممّا لا غنى لمسلم عن معرفتها، فالضدّ يظهر حسنه الضدُّ، وبأضدادها تتميّز الأشياء، أهمّ ما فيها وأشدّها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به رسول الله، فإنّ انضاف إلى ذلك استحسان دين الجاهلية والإيمان به تمّت الخسارة، والعياذ بالله تعالى، كما قال الله تعالى: /وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا

۱- قام ابن باز بشرح هذه النواقض العشر ونشرها.

ص:۱۲۹

بِاللَّهِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ/. (العنکبوت: ۵۲)

– إنّهم يتعبّدون بإشراک الصالحين فی دعاء الله تعالی.

وهذه المسألة هی الدين کلّه، ولأجلها تفرّق الناس بين مسلمٍ وکافرٍ، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شُرّع الجهاد.

– إنّهم متفرّقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة.

– إنّ مخالفة وليّ الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة، وبعضهم يجعله ديناً.

وهذه الثلاث هی التی ورد فيها ما فی الصحيح عنه (ص) : يرضی لکم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تناصحوا مَن ولّاه الله أمرکم.

– الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل.

– الاقتداء بفلسفة أهل العلم وجهّالهم وعبّادهم.

– الاحتجاج بما کان عليه أهل القرون السالفة من غير تحکيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح.

– الاعتماد علی الکثرة والاحتجاج بالسواد الأعظم، والاحتجاج علی بطلان الشیء بقلّة أهله.

– الاستدلال علی بطلان الشیء بکونه غريباً.

– الاستدلال علی المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوّة فی الفهم والإدراک، وفی القدرة والملک ظنّاً أنّ ذلک يمنعهم من الضلال.

– الاستدلال بعطاء الدنيا علی محبّة الله تعالی.

– الاستدلال بالقياس الفاسد وإنکار القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق.

– الغلو فی الصالحين من العلماء والأولياء.

– لا يقبلون من الحق إلّا ما تقول به طائفتهم.

– الاعتياض عن کتاب الله بکتب السحر.

ص:۱۳۰

– تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وكم فى هذا العصر مَن هو على شاكلتهم.

– معاداة الدين وموالاتهم لمذهب الكفّار، ومثل هؤلاء فى الأُمّة كثير هجروا السنّة وعادوها، ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم.

– الإلحاد فى أسماء الله وصفاته.

– الشركة فى الملك، كما تقوله المجوس، وهم فرق شتّى منهم المزدكية، ومنهم الخرمية وهم شرّ طوائفهم، وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيديين، الذين يسمّون أنفسهم الفاطميين، فالمجوس شيوخ هؤلاء كلّهم وأئمّتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس قد يتقيّدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيّدون بدين من ديانات العالم ولا شريعة من الشرائع.

– اشتراء كتب الباطل واختيارها عليها، أى: على الآيات.

– التعصّب للمذهب والإقرار بالحق للتوصّل إلى دفعه.

– لبس الحق بالباطل وكتمانه.

– تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية.

– إنّ أصحاب البِدَع سمّوا أهل الحديث بالحشوية والنابتة والمتجبرة والجبرية، وسمّوهم الغثاء، وهذه كلّها لم يأت بها خبر عن رسول الله (ص) .

– دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

– دعاؤهم الناس إلى الكفر مع العلم.

– الزيادة فى العبادة كفعلهم يوم عاشوراء.

– أئمّتهم إمّا عالم فاجر، وإمّا عابد جاهل.

– اتّخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

– اتّخاذ آثار أنبيائهم مساجد.

– اتّخاذ السرج على القبور.

ص:۱۳۱

مفید المستفید فی کفر تارک التوحید

ویبدأ ابن عبد الوهاب کتابه هذا باستعراض صور من حرکة الرسول (ص) بمکّة ومواجهاته مع المشرکین فیها، ثمّ یخرج بنتیجةٍ یستشهد بها علی صحّة دعوته وکونها امتداداً لدعوة الرسول (ص) .

قال: فتبیّن أنّ زبدة الرسالة الإلهیّة والدعوة النبویة هو توحید الله بعبادته وحده لا شریک له وکسر الأوثان، ومعلوم أنّ کس-رها لا یستقیم إلّا بشدّة العداوة وتجرید السیوف، فتأمّل زبدة الرسالة.

من هنا انطلق محمّد بن عبد الوهاب رافعاً رایة التوحید، معتبراً مَن خالفه من المسلمین خارج دائرة التوحید وفی دائرة المشرکین، فشهر سیفه فی وجوههم وهدّم القباب والقبور معتبراً أنّها من الأوثان، وحرّم شدّ الرحال لزیارة قبور الأنبیاء والأولیاء والصالحین.

ومن الواضح من عنوان هذا الکتاب أنّه یحکم بکفر تارک التوحید الذی یدعو إلیه، وهذا یقود إلی تکفیر جمیع المسلمین المخالفین واعتبارهم أعداء التوحید، وینبنی علی هذا الحکم إراقة دماء المسلمین واستحلال أموالهم، وهو ما قام ابن عبدالوهاب بتطبیقه علی المسلمین المخالفین لدعوته فی جزیرة العرب وخارجها.

یقول فی کتابه: علی أنّ الذی نعتقده وندین به، ونرجو أن یثبّتنا الله علیه أنّه لو غلط فی مسألة المسلم إذا أشرک بالله بعد بلوغ الحجّة، أو المسلم الذی یفضّل هذا علی الموحّدین، أو یزعم أنّه علی الحق، أو غیر ذلک من الکفر الصریح، الذی بیّنه الله ورسوله، وبیّنه علماء الأُمّة، أما تؤمن بما جاءنا عن الله ورسوله من تکفیره ولو غلط من غلط.

وهذا الکلام شدید التطرّف یفصّل فیه ابن عبد الوهاب الأمر تجاه المخالفین لدعوته، ویعتبرهم کفّاراً ومن أهل الشرک والضلال.

فهو قد صنّف المسلمین المخالفین وبرّر حکمه علیهم کما یلی:

المشرک بالله بعد بلوغ الحجّة.

ص:۱۳۲

المفضّل للمشرکین – أی: المخالفین من المسلمین – علی الموحّدین.

الذی یزعم أنّه علی حق.

کلّ ذلک عنده من الکفر الصریح.

الذی یدین بالتشیّع أو التصوّف ویعتقد بالتوسّل بالأنبیاء والأولیاء ویستمر علی هذا المعتقد رافضاً حجج الوهّابیّین.

والذی یفضّل المخالفین علی الوهّابیّین.

والذی یزعم بأنّه علی حق دون الوهّابیّین.

وقد استشهد ابن عبد الوهاب فی هذا الکتاب بالکثیر من کلام ابن تیمیة، الذی ورد ذکره فی کتاب اقتضاء الصراط المستقیم وغیره من کتبه.

قال بعد أن استعرض کلام ابن تیمیة حول استحلال دماء وأموال مَن قتلهم أبوبکر:

ومن أعظم ما یحل الإشکال فی مسألة التکفیر والقتال عمّن قصر عن اتّباع الحق، إجماع الصحابة علی قتال مانعی الزکاة وإدخالهم فی أهل الردّة وسبی ذراریهم وفعلهم فیهم ما صحّ عنهم، وهو أوّل قتال وقع فی الإسلام علی مَن ادّعی أنّه من المسلمین. ثمّ ختم ابن عبد الوهاب کتابه باطلاق قذیفة شدیدة الانفجار علی المسلمین المخالفین بوضعه باب تحت عنوان:

باب فی وجوب عداوة أعداء الله الکفّار والمرتدین والمنافقین.

وقد دعم هذا الباب بعدد من النصوص القرآنیة الموجّهة الی الکفّار والمستهزئین بالدین والذین یتولّونهم.

وتطبیق مثل هذه النصوص علی المسلمین إنّما هی سنّة الحنابلة وابن تیمیة ومَن سار علی دربهم.

ولأبناء محمّد بن عبد الوهاب الکثیر من الکتابات التی تدور فی نفس الدائرة، منها:

ص:۱۳۳

الکلمات النافعة فی المکفرات الواقعة (عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب) ، وخمس رسائل فی التوحید وأنواع الشرک وطروّه علی المسلمین (عبد الرحمن بن حسن بن محمّد بن عبد الوهاب) ، وثلاثة رسائل فی حکم السفر إلی بلاد الش-رک، وأوثق عری الإیمان، وحکم موالاة أهل الإشراک (سلیمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب) ، وفی رسالة حکم موالاة أهل الإشراک فتوی تنصّ علی أنّ الذین یخطّئون أهل التوحید ویتّبعون المشرکین من (أهل القباب) ویشهدون أنّهم علی حق وینص-رونهم هم کفّار من أشدّ الناس عدواة لله ورسوله (ص) .

وعلی أساس هذه الفتوی یصبح جمیع المسلمین الذین لا یدینون بالوهّابیّة، ولا یتّبعون مذهب محمّد بن عبد الوهاب هم کفّاراً حلال الدم والمال، وهو ما طبّق بالفعل فی جزیرة العرب بسیوف البدو الأجلاف جنود ابن عبد الوهاب.

وهو ما یُطبّق الیوم فی بلاد المسلمین وغیرها علی ید الفرق الوهّابیة الإرهابیة المنتشرة فی کلِّ مکان.

ص:۱۳۴

ص:۱۳۵

ابن باز فقیه الفِرَق الوهّابیّة و ممثّل السَّلف

اشارة

تسلّم ابن باز مدافع ابن تیمیة من إمامه محمّد بن عبد الوهاب، ومکمن الخطورة فی مدافع ابن باز أنّها تضرب فی جمیع الاتّجاهات متّخذةً الحرم المکّی مقرّاً لها.

والأخطر من ذلک أنّها لاقت قبولاً لدی الفِرَق الوهّابیّة فحملتها نیابةً عنها.

وهکذا یمکن تحدید مسیرة هذه المدافع کما یلی:

من ابن تیمیة إلی محمّد بن عبد الوهاب.

ومن محمّد بن عبد الوهاب إلی ابن باز.

ومن ابن باز إلی الفِرَق الوهّابیّة.

من هو ابن باز؟

یقول ابن باز عن نفسه: أنا عبد العزیز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبدالله آل باز، وُلدت بمدینة الریاض فی ذی الحجّة عام (۱۳۳۰ه- ۹۰۹ م) ، وکنت بصیراً فی أوّل الدراسة، ثمّ أصابنی المرض فی عینی عام (۱۳۴۶ه) فضعف بصری بسبب ذلک، ثمّ ذهب بالکلّیة فی مستهلّ محرّم من عام ۱۳۵۰ه.(۱)

۱- انظر مجوع فتاوی ومقالات ابن باز ج۱، ص۹.

ص:۱۳۶

وقد بدأ ابن باز الدراسة صغيراً، وما أن بلغ حتّى تسلّمه فقهاء الوهّابيّة من أبناء الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، فتربّى على أيديهم ورضع منهم الفقه الحنبلى حتّى صار علماً من أعلام الوهّابيّة المعاصرة.

وفى عام (۱۳۵۷ ه-۱۹۳۶ م) رُشِّح للقضاء من قِبَل أحد أبناء الشيخ محمّد بن عبد الوهاب الذين تتلمّذ على أيديهم، ثمّ تولّى مهمّة التدريس فى علوم الفقه والحديث والتوحيد الوهّابى، ثمّ عُيّن نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وتولّى رئاستها بعد ذلك فى عام (۱۳۹۰ ه-) ، ثمّ بعد ذلك بخمس سنوات صدر الأمر الملكى بتعيينه فى منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة (وزير) واستمرّ يقبض بزمام هذا المنصب حتّى توفّى، وذلك بالإضافة إلى مناصب أُخرى كثيرة كان يشغلها، منها:

عضوية هيئة كبار العلماء.

رئاسة المجلس الأعلى للمساجد.

رئاسة المجمع الفقهى.

رئاسة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى.

عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية بالمملكة.(۱)

ويلاحظ من خلال هذا العرض الموجز لحياة ابن باز أنّه رجل نشأ نشأة تقليدية، وتعلّم بطريقة تقليدية، وأنّ تعليمه لم يخرج عن الدائرة الحنبلية الوهّابيّة، وأنّه لم يخرج عن محيط المملكة فمن ثمّ ليس فى حياته أو نشأته ما يُلفت النظر، والشىء الملفت للنظر هو إمساكه بزمام هذه المناصب الدينية التى لا تتلاءم مع قدراته.

۱- انظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، ج۱.

ص:۱۳۷

مؤلّفاته

وإذا ما أردنا أن نتعرّف على مدى ما يتحلّى به الرجل من فقه وعلم فيجب علينا إلقاء الضوء على مؤلَّفاته التى سوف ننتقى منها ما يلى:

* التحذير من البِدَع: حكم الاحتفال بالمولد النبوى وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان.

* وجوب العمل بسنّة رسول الله وكفر مَن أنكرها.

* حكم السفور والحجاب.

* نقد القومية العربية.

* الجواب المفيد فى حكم التصوير.

* حكم الإسلام فيمَن طعن فى القرآن أو فى رسول الله (ص) .

* محمّد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته.

* وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

* الأدلّة الحسّيّة على جريان الشمس وسكون الأرض.

* ما هكذا تعظّم الآثار.

* خطر مشاركة المرأة للرجل فى ميدان عمله.

* وجوب لزوم السنّة والحذر من البِدْعة.

* وجوب عداوة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفّار.

* إقامة البراهين على حكم مَن استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرّافين.

* نواقض الإسلام.

* العقيدة الصحيحة وما يضادّها.

وجميع هذه المؤلّفات هى عبارة عن فتاوى ومحاضرات جمعها التلاميذ والأتباع وقاموا بنشرها وتوزيعها مجّاناً على المسلمين فى كلِّ مكان.

ص:۱۳۸

وجميعها تكفّلت بنشره وتوزيعه الجامعة الإسلامية فى المدينة، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد التى كان يهيمن عليها ابن باز.

ويبدو من ظاهرها أنّها تركِّز على قضايا ومفاهيم قشرية وهامشية لا تسهم إلّا فى خلق الخلاف وتأخّر المسلمين.

ويبدو منها - أيضاً - أنّها تحمل نزعة عدائية لكلّ مَن خرج عن دائرة الخطّ الوهّابى الحنبلى.

فتاوى ابن باز

تكتظّ الساحةُ الإسلامية اليوم بفتاوى ابن باز، بعضها مكتوب ومنشور، وبعضها كان يأتى عن طريق الهاتف، وبعضها كان يأتى عن طريق المراسلة.

ومن نماذج هذه الفتاوى:

* فتوى بالحكم بالشرك على مَن استغاث بالنبى (ص) أو الأولياء.
* فتوى بكفر مَن حلف بغير الله.
* فتوى بكفر الذين يأتون العرّافين والمنجمّين والسحرة وما شابههم.
* فتوى بكفر الذين يتعاملون مع أبراج الحظ والطالع.
* فتوى بوجوب إزالة الكنائس من دول الخليج وغيرها من بلاد المسلمين.
* فتوى بتحريم دراسة القوانين الوضعية أو تدريسها.
* فتوى بحرمة حلق اللحية.
* فتوى بحرمة الإحتفالات الدينية كالمواليد والمناسبات الأُخرى.
* فتوى بوجوب التحاكم لشرع الله ونبذ ما خالفه.
* فتوى بحرمة الأسورة النحاسية التى يُعالج بها مرض الروماتيزم.
* فتوى بكفر مَن أنكر سنّة الرسول (ص) .

ص:۱۳۹

* فتوى بحرمة الاختلاط بأهل الكتاب أو التشبّه بهم.

* فتوى بكفر مَن دعا أو طالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية.

* فتوى بحرمة عمل المرأة.

* فتوى بحرمة قيادة المرأة السيّارة.

* فتوى بحرمة تعظيم الآثار (تدمير بيت الرسول (ص) والسيّدة خديجة بمكّة وسدّ غار حراء) .

* فتوى بحرمة الحداد على الملوك والزعماء.

* فتوى بحرمة التمثيل.

* فتوى بحرمة الصور والمجلّات المصوّرة.

* فتوى بحرمة ارتداء المرأة للساعة فى فترة العدّة للمتوفّى عنها زوجها.

* فتوى بحرمة بناء المساجد على القبور أو زيارتها والصلاة فيها.

* فتوى بعدم جواز الصلاة وراء المدخِّن، أو مرتدى الملابس العصرية.

* فتوى بجواز الصلح مع إسرائيل.

* فتوى بجواز الاستعانة بالمشركين (الأمريكان) .

* فتوى بثبوت الأرض وعدم دورانها، وبطلان الادّعاء بصعود القمر والكواكب.

* فتوى بحرمة ذهاب المرأة إلى الكوافير.(۱)

ويبدو من هذه الفتاوى أنّ الكثير منها صورة طبق الأصل من فتاوى ابن تيمية ومحمّد بن عبدالوهاب.

ويبدو - أيضاً - أنّها فتاوى موجّهة إلى المسلمين لردعهم عمّاهم فيه من غىّ وضلال وخروج عن نهج التوحيد الذى يرفع رايته ابن باز.

۱- انظر مجوع فتاوى ومقالات ابن باز ج۱.

ص:۱۴۰

عقيدة ابن باز

وعقيدة ابن باز هى عقيدة ابن تيمية، ومحمّد بن عبدالوهاب، ولا يوجد فارق بينهما سوى أنّ عقيدة ابن باز ضمّت فى دائرتها البِدَع والمنكرات، وصور الش-ركَ العص-رية التى لم يعايشها ابن تيمية ومحمّد بن عبد الوهاب، وهى بِدَع ومنكرات وشرك من منظور الحنابلة الوهّابيّين بالطبع.

يؤكّد ابن باز أنّ المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض التى تحل دمه وماله، ويكون بها خارجاً عن الإسلام، ومن أخطر هذه النواقض وأكثرها وقوعاً النواقض العشرة التى ذكرها شيخه ابن عبد الوهاب، والتى قام هو بش-رحها وتبسيطها ليحذّر منها المسلمين رجاء السلامة والعافية.

ويعلّق ابن باز على هذه النواقض بقوله: ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلّا المكره.

ومن خلال هذا العرض الموجز لعقيدة ابن باز يتبيّن لنا أنّ مدافع ابن باز جميعها مدافع تكفير تصيب المسلمين فى عقائدهم، وتخرج بهم عن ملّة الإسلام. ويؤكّد ابن باز، من خلال عقيدته، كفر وضلال الذين يرفضون الروايات التى تؤدّى إلى التجسيم والتشبيه فيما يتعلّق بصفات الله تعالى.

يقول ابن باز: وأمّا المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون ضدّها فهم أصناف كثيرة، فمنهم: عباد الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن والأشجار والأحجار.

ومن العقائد الكفرية ما يعتقده الملاحدة فى هذا العصر من أتباع ماركس ولينين، وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر، سواء سمّوا ذلك: اشتراكية، أو شيوعية، أو بعثية، أو غير ذلك من الأسماء. . .

ومن العقائد المضادّة للحق ما يعتقده المتصوّفة فى الأولياء، وهذا من أقبح الش-ركَ وهو شر من شرك الجاهلية.(۱)

۱- انظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، ج۱.

ص:۱۴۱

ولا يزال ابن باز يطلق مدافعه على الشيعة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

ومَن سلك سبيلهم وتصدّى للروايات التى تتعلّق بصفات الله سبحانه وحاول أن يعطى للعقل دوراً فى مواجهتها.

وهكذا يؤكّد لنا ابن باز أنّه يعيش بعقل الماضى، عقل قدامى الحنابلة، حيث لا زال يتصوّر أنّ الناس تعكف على القبور والأضرحة كما كان مشركو العرب يعكفون حول الأصنام.

ولا زال يتصوّر أنّ خصوم الحنابلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لا زالوا يهدّدونهم.

وهو يستخدم فى مواجهة جميع هؤلاء وغيرهم من التيّارات الحديثة مصطلح أهل البِدَع.

وينصح ابن باز المسلمين - على الدوام - بضرورة معرفة التوحيد الصحيح، من خلال كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومَن سار فى ركابهما، فهؤلاء هم أهل الحق والفرقة الناجية مَن تخلّف عنهم ضلّ وهوى وكان من أهل النار!

بركات النفط

ولكن كيف أصبح لابن باز هذا الشيوع والانتشار بين المسلمين فى بقاع الأرض؟

والجواب ببساطة: إنّه النفط.

النفط هوالذى أتاح لابن باز أن يفتح الأبواب المغلقة، ويستقطب الرموز الإسلامية، ويموّل حركة النشر، ويغرق سوق الكتاب بآلاف المطبوعات المجّانية التى تمجّد ابن باز والوهّابيّة وخادم الحرمين.

عن طريق دعم دور النشر السلفية، وما أكثرها فى مصر وغيرها.

وعن طريق استقطاب الرموز الإسلامية وتيّاراتها.

وعن طريق توزيع الهبات والعطايا على المؤسّسات والمراكز الإسلامية فى العالم.

ص:۱۴۲

من هنا أصبحت الوهّابيّة هى الإسلام.

وأصبح ابن باز هو شيخ الإسلام وكبير الفقهاء فى هذا الزمان.

ابن باز أصبح كبير الفقهاء عندما تحوّل أهل الفقه وأرباب العلم إلى طلّاب دنيا.

ولو كان هناك سبب آخر مكّن ابن باز ورفع من مقامه غير هذا؛ لجزعنا وأنبنا وتبنا إلى الله توبةً نصوحاً.

وببركات النفط تمكّن ابن باز من تجنيد الرموز والتيّارات والجماعات الإسلامية للوقوف صفّاً واحداً بجوار إخوانهم المجاهدين الموحّدين فى أفغانستان.

وببركات النفط تمكّن من تجنيدهم أيضاً للوقوف صفّاً واحداً ضدّ إيران أثناء حربها مع العراق.

وببركات النفط - أيضاً - تمكّن من تجنيدهم للوقوف صفّاً واحداً ضدّ صدّام بعد غزوه الكويت.

وهو الذى قد ختم حياته الحافلة بالفتاوى والمواقف الرجعيّة بجمع كلمة المسلمين للوقوف صفّاً واحداً مع أمريكا وإسرائيل.

فقاعات النفط

واليوم لا يقف فى مواجهة أصحاب العقل والرأى والفكر ابن باز ونفطه وحده، إنّما يقف فى مواجهتهم أيضاً الحنابلة الجدد، أو ما يمكن تسميته بفقاعات النفط من حداث الأسنان وسفهاء الأحلام، الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم، والذين يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما بشّر بهم الرسول (ص) .

هذه الفِرَق التى أدارت ظهرها للواقع، ورفضت التعايش معه، ورفعت فى مواجهته لواء التكفير والاستحلال، هى من نتاج مدرسة ابن باز والفقه النفطى الوهّابى.

تأمّلوا هذا الكمّ الهائل من الكتب التى تسهم فى تخلّف العقل المسلم، وزرع

ص:۱۴۳

الشِقاق والخلاف بين المسلمين، وإشاعة الأمراض النفسيّة، وتقوية شوكة الإرهاب، وتهديد الاستقرار الوطنى.

فسوف تجدونها جميعها من نتاج ابن باز وتلامذته، مثل: صالح بن عثيمين، وصالح بن فوزان، وابن جبرين، وابن سبيل، وأبو بكر الجزائرى، والمدخلى، وغيرهم من فقاعات النفط.

وسوف تجدون عشرات دور النشر التى تعمل فى النور وليس لها من همٍّ سوى نشر هذه السموم وتسويقها بين المسلمين.

ص:۱۴۴

ص:۱۴۵

ابن عثيمين خليفة ابن باز

اشارة

يُعدُّ صالح بن عثيمين من كبار تلامذة ابن باز، السائرين على نهجه، المستبسلين فى الدفاع عن الوهّابيّة، المتربّصين بخصومها وبأصحاب الرأى والاتّجاهات المخالفة من المعاصرين، الذين يتبنّون رؤيةً نقديةً للروايات ولنهج سلفهم من الذين يدينون بعقائد وتصوّرات مخالفة مثل الشيعة والصوفية، أو التيّارات التى تدين بالاشتراكية أو القومية أو العلمانية، وأصحاب المذاهب الإسلامية الأُخرى التى لا تلتزم بمذهب ابن حنبل، وذلك بالإضافة إلى أهل الذِمّة - بالطبع - من المسيحيين الذين يجب أن يعيشوا كمواطنين من الدرجة الثانية، ويعطوا الجِزْية لهم عن يدٍ وهم صاغرون.

وجميع هؤلاء فى سلّةٍ واحدةٍ فى نظر ابن عثيمين وفقهاء الوهّابيّة المعاصرين، والواجب الشرعى يحتّم تسليط مدافعهم عليهم، وقصفهم بأشدّ أنواع القذائف؛ حتّى تتم إبادتهم أو استسلامهم وتخلّيهم عن بِدَعهم وضلالاتهم.

قذائف متعدِّدة

وابن عثيمين حاله كحال أُستاذه ابن باز، يحمل الكثير من المدافع الموجّهة إلى المسلمين فى كلِّ مكان، وسبب كثرة هذه المدافع بين يديه ويدى أُستاذه يعود إلى بركة النفط ودعم آل سعود.

ص:۱۴۶

أمّا مدافع ابن عثيمين فهى أكثر من أن تُحصى، ويمكن تحديد أشهرها فيما يلى:

مدفع موجّه نحو المدخّنين.

مدفع موجّه نحو الصحف والمجلّات.

مدفع موجّه نحو المرأة.

مدفع موجّه نحو البنوك.

مدفع موجّه نحو شتّى صور الفنون.

مدفع موجّه نحو الصور والمصوِّرين.

مدفع موجّه نحو غير الملتحين.

مدفع موجّه نحو الملابس والأزياء.

مدفع موجّه نحو الشيعة.

مدفع موجّه نحو الصوفية.

مدفع موجّه نحو العلمانية.

مدفع موجّه نحو الأحزاب.

مدفع موجّه نحو القوميّة.

فابن عثيمين يرى حرمة التدخين وعدم جواز الصلاة وراء المدخِّن، كما يرى حرمة ومرتدى الملابس الإفرنجية؛ لأنّها من أزياء المشركين الذين لا يجوز التشبّه بهم.

ولا يجيز ابن عثيمين قراءة الصحف والمجلّات؛ لأنّها تحتوى على صور وموضوعات مخالفة للإسلام الحنبلى، ولا يجيز إدخالها البيوت واطّلاع النساء عليها؛ لأنّ هذه الصحف والمجلّات فتنة.

ولا يجيز عمل المرأة أو خروجها من بيتها بدون محرم، أو كشفها لوجهها أو يديها.

ولا يجيز التعامل مع البنوك، أو تأجير المحلّات لها.

ولا يجيز التمثيل والرسم والتصوير.

ص:۱۴۷

ولا يجيز القبور والأضرحة، وإقامة الاحتفالات والموالد والنذور، ويعدّ كلّ ذلك من الشرك والضلال الذى يجب مقاومته وقمع أصحابه.

وكما هو واضح أنّه ليس من بين مدافع ابن عبد الوهاب أو ابن باز أو ابن عثيمين ما هو مسلّط على اليهود أو الأمريكان، أو حتّى آل سعود؛ لأنّ مدافع فقهاء الوهّابيّة إنّما صُنعت لإبادة المسلمين فقط!

لمعة الاعتقاد

ولم يكتف ابن عثيمين بهذه المدافع الخاصّة بأهل العصر، بل اتّجه - كما هو شأن الوهّابيّة اليوم - إلى المدافع القديمة والعمل على بعثها من جديد وتسليطها على المسلمين.

وكان أن اختار لمعة الاعتقاد لابن قدامة الحنبلى (۵۴۱: ۶۲۰ ه-) وقام بش-رحها وزيادة قذائفها.

ولمعة الاعتقاد تحتوى على نصوص من العقائد الحنبلية فيما يتعلّق بصفات الله تعالى والموقف من الحكّام، وحكم أهل الأهواء والبِدَع.

وهى نصوص تقوم فى أساسها على الروايات المنسوبة للرسول (ص) وأقوال الحنابلة، فهى تؤكّد لله سبحانه صفة الوجه واليدين والنزول والضحك والغضب والحب والمجيء، وغير هذه الصفات التى تؤكّدها رواياتهم فى صراحة ووضوح.

وهى تؤكّد طاعة الحكّام ووجوب الحجّ والجهاد معهم والصلاة من خلفهم، سواء كانوا أبراراً أو فجّاراً.

وهى من جانبٍ آخر تبيّض وجه معاوية بن أبى سفيان، وتعتبره من كتّاب الوحى وخال المؤمنين، لأنّه أخو أُمّ حبيبة السيّدة رملة بنت أبى سفيان زوجة النبى (ص) .

وهى تنصّ فى الختام على وجوب هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكلّ محدثة فى الدين بِدْعة.

ص:۱۴۸

وقد تصدّى ابن عثيمين لشرح هذه المسألة وأفاض فيها فقال: المراد بهجران أهل البِدَع، الابتعاد عنهم وترك محبّتهم وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، ونحو ذلك، ومن هجر أهل البِدَع ترك النظر فى كتبهم خوفاً من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب.

ولأهل البِدَع فى تصوّره علامات، منها:

* إنّهم يتّصفون بغير الإسلام والسنّة بما يحدثونه من البِدَع القولية والفعلية والعقيدية.

* إنّهم يتعصّبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبيّن لهم.

* إنّهم يكرهون أئمّة الإسلام والدين.

والظاهر من هذا الكلام المتطرّف أنّ جميع المسلمين الذين لا يدينون بنهج الحنابلة الوهّابيون هم مبتدعةٌ كفّارٌ خارجون عن الإسلام.

والواجب عليهم حتّى يخرجوا من دائرة الكفر، وينجوا من النار أن يتبنّوا رواياتهم وأقوال سلفهم وعقيدتهم عليهم أن يجعلوا: ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيّم، وابن قدامة، وابن عبد الوهاب، وابن باز، وابن عثيمين أئمّتهم.

وعليهم أن يدينون بالسمع والطاعة والولاء للحكّام بدايةً من معاوية وولده يزيد وحتّى آل سعود.

وهؤلاء جميعاً هم أئمّة الإسلام والدين الواجب علينا حبّهم فى عقيدة ابن عثيمين وفقهاء الوهّابيّة.

إنّ تبنّى الرفض لنهج الروايات والفقهاء والحكّام والثبات على ذلك يُعدّ رفضاً للدين فى منظور ابن عثيمين.

ويُعدّ من جانبٍ آخر تعصّباً للباطل، وإصراراً عليه، بعد أن أظهرت الروايات الحق على يد فقهاء سلفهم الأبرار.

ص:۱۴۹

إنّ العيش بعقل الحاضر ونبذ عقل الماضى هو بِدْعةٌ وضلال.

وإنّ تبنّى نهج القرآن والعقل هو زيغ وردّة عن الإسلام.

ولا نجاة للمسلمين من مدافع الوهّابيين وقذائفهم إلّا باللجوء إلى حصن التوحيد فى جزيرة العرب تحت حماية آل سعود.

ص:۱۵۰

ص:۱۵۱

المدخلی فقاعهٔ نفطیّهٔ

اشارهٔ

برز ربیع بن هادی المدخلی من خلال الجامعهٔ الإسلامیهٔ الوهّابیهٔ بالمدینهٔ، وقد حشد المدخلی جمیع أنواع القذائف السلفیهٔ التی صنعها الفقهاء لإبادهٔ أصحاب الرأی والاتّجاهات الأُخری المخالفهٔ لأهل السنّهٔ.

وهو ما یبدو واضحاً من عنوان کتابه: (منهج أهل السنّهٔ والجماعهٔ فی نقد الرجال والکتب والطوائف) .

أمّا ما یحتویه هذا الکتاب من قذائف فهی:

* وجوب هجران أهل البِدَع.

* أهل البِدَع مرضی القلوب.

* لا یجوز ذکر محاسن أهل البِدَع.

* الردّ علی أهل البِدَع والأهواء من أبواب الجهاد.

وهذه القذائف السلفیهٔ إنّما تمّ بعثها لمواجههٔ أهل العص-ر من أصحاب الرأی والاتّجاهات المخالفهٔ، وهم بالتحدید العلمانیین والاشتراکیین والمسیحیین والسیاسیین والحزبیین والأُدباء والمفکّرین، بالإضافهٔ إلی الشیعهٔ والصوفیهٔ وأصحاب الاتّجاه الإسلامی التجدیدی الذی یتبنّی تصحیح التراث ونقد الروایات.

ص:۱۵۲

هؤلاء جميعاً من أهل البِدَع الضآلين خصوم الحقّ والتوحيد حسب تعبير فقهاء الوهّابيّة من خلال سطور هذا الكتاب الذى أتى به صاحبنا ليهدّد المسلمين.

إنّ فقهاء الوهّابيّة يعتبرون أنفسهم أهل السنّة والتوحيد، ومن دونهم فهم أهل الش-رك والضلال المطلوب إبادتهم، ويعتبرون آل سعود أئمّة للمسلمين وحماةً للتوحيد، فمن ثمّ وضع الوهّابيّون أنفسهم فى خدمتهم، ووضع آل سعود سيوفهم فى نصرتهم وذبح خصومهم.

وقد اعتمد صاحبنا فى كتابه هذا على مدافع ابن تيمية خاصّةً لكونه الشخصية الوحيدة من بين الفقهاء التى حملت راية الجهاد فى مواجهة المخالفين، وعلى أساس أفكارها المتطرّفة قامت الحركة الوهّابيّة التى لا زالت تقذف المسلمين بقذائفها.

يقول المدخلى: يا إخوتاه، إن كنتم حقّاً تحترمون المنهج السلفى وأهله فانش-روا كتبهم ودرّسوها، واشحنوا كتاباتكم ومحاضراتكم ومقالاتكم بأقوالهم فى أهل البِدَع وتحذيرهم منهم، ودرّسوا الشباب مواقفهم من أهل البِدَع وحثّوا الشباب على دراستها والاحتفاء والاعتزاز بها، فبهذه الأساليب تحيا عقيدة ومنهج السلف.

والكتب المقصودة هنا - بالطبع -هى كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم، ومحمّد بن عبد الوهاب، فهؤلاء هم سلفه وقدوته، و هذه الكتب هى التى تمّ نش-رها وتوزيعها مجّاناً على المسلمين فى كلّ مكان ببركات آل سعود، والتى أسهمت ولا زالت تسهم فى دعم الإرهاب وتقوية شوكته.

وقد أبدى المدخلى فى مقدّمة كتابه تخوّفه من الاتّجاهات والدعوات المعتدلة التى أخذت تبرز داخل أهل السنّة داعياً المسلمين إلى رفضها والحذر منها متباهياً بثناء رموز الوهّابيّة ومدحهم لكتابه.

ص:۱۵۳

المراحل، إضافةً إلى مراكز الدعوة التى انتش-رت فى الداخل والخارج لحمل رسالة التوحيد والسنّة، ممّا أقضّ مضاجع كلّ خصوم الحقّ والتوحيد من علمانيين ويهود ونصارى وشيوعيين وأهل البِدَع الضالّين من خرافيين وحزبيين وحركيين، وإذا بأصواتٍ ترتفع باسم السلفية، وباسم العدالة والإنصاف لمَن يصوّرونهم من أهل البِدَع الذين غزوا أهل السنّة والتوحيد فى عُقْر دارهم، وأفسدوا عقول وعقائد الكثير من أبنائهم، وشوّهوا صورة المنهج السلفى، فشرعوا يدعون الى منهجٍ جديدٍ فى نقد المناهج والدعوات والكتب والأشخاص، وقد أثّر هذا المنهج على كتّابٍ نحسبهم من خيار السلفيين، وأثّر هذا المنهج الذى يدّعى الوسطية والعدل على الشباب.

ومن خلال هذا الكلام يتبيّن لنا أنّ المؤلِّف يؤرّقه مثل هذه الاتّجاهات التى تبرز فى دائرة أهل السنّة كما تؤرّق رموز الوهّابيّة.

من هنا عمل بمباركة رموز الوهّابيّة على إرهاب المسلمين بشهر نصوص الحنابلة ومَن سار على دربهم، تلك النصوص التى تحذّر من أهل البِدَع، وتمنع من ذكر محاسنهم وجوانبهم الإيجابية، مؤكِّداً أنّ هذا النهج هو ما يتّفق مع الكتاب والسنّة حسبما سيتّضح من خلال عرض نصوص الكتاب بين أيدينا.

الفصل الأوّل من الكتاب جاء تحت عنوان: منهج الإسلام وأئمّته فى نقد الأقوال والأشخاص وتقويمها وبيان أنّ العدل الحقيقى إنّما هو فى هذا النهج.

وأوّل نصوصه هى أنّ القرآن يمدح المؤمنين دون ذكر أخطائهم ويذمّ الكفّار دون ذكر محاسنهم.

وهذا الكلام فيه مغالطة؛ إذ إنّ المقصود بالمؤمنين عند المؤلّف هم أهل السنّة من الحنابلة والوهّابيّين، والمقصود بالكفّار والمنافقين المخالفين من المسلمين.

ومن جهةٍ أخرى فإنّ القرآن مدح المؤمنين وذمّهم فى آيات كثيرة، من أبرزها: آيات سورة التوبة أو الفاضحة، أو سورة العذاب كما يسمّيها بعض الفقهاء.

يقول المؤلّف: وثانى نصوصه هى أنّ النبى (ص) حذّر أُمّته من أهل الأهواء.

ص:۱۵۴

والإشكاليۀ هنا هى أنّ الحنابلۀ والوهّابيّين يعتبرون أنفسهم خارج دائرۀ أهل الأهواء، وأنّ مقصود الرسول تحذير الأُمّۀ من سواهم، بينما هم فى الحقيقۀ أهل الهوى والابتداع.

ثمّ تحدّث المؤلّف عن موقف الصحابۀ والتابعين من أهل البِدَع وخصومهم؛ والصحابۀ الذين استرشد بأقوالهم هم أولئك الذين ساروا على الخط القبلى، وتابعوا معاويۀ والحكّام من بعده، كذلك التابعين الذين ساروا فى ركابهم.

ويشير المؤلّف إلى أنّ الرسول (ص) ذكر عيوب أشخاص بعينهم دون ذكر محاسنهم من باب النصيحۀ، ونقل عدد من الروايات التى تبرهن على ذلك، وتغافل عن الروايات الأُخرى التى تذكر محاسن الناس وتثنى عليهم.

وختم هذا الفصل بذكر تحذير النبى (ص) من الخوارج.

والحق أنّ الحنابلۀ والوهّابيين هم امتداد لفرقۀ الخوارج التى سُلّطت على المسلمين كما سُلّط الحنابلۀ والوهّابيّين.

إلّا أنّ المؤلّف اعتبر المخالفين هم امتداد للخوارج، وأنّ المدافعين عنهم من أهل السنّۀ المعتدلين الذين يذكرون محاسنهم هم أضلّ من الخوارج.

وأطلق المؤلّف عدّۀ صيحات فى هيئۀ تساؤلات غاضبۀ، منها:

أين المدافعون عن الروافض والقبوريين والصوفيين والأشاعرۀ والحزبيين؟

أين المدافعون والمنافحون عن العقلانيين العصريين والجهميۀ المعطّلين؟

وفى الفصل الثانى من الكتاب، وتحت عنوان: مَن يجوز نقدهم وتجريحهم وتحذير الناس من ضررهم، قال عن أهل البِدَع: ويجوز بل يجب الكلام فى أهل البِدَع والتحذير منهم ومن بِدَعهم أفراداً وجماعات، الماضون منهم والحاضرون، من الخوارج والروافض والجهميۀ والمرجئۀ والكراميۀ وأهل الكلام؛ الذين جرّهم علم الكلام إلى عقائد فاسدۀ، فهؤلاء يجب التحذير منهم ومن كتبهم وطرقهم الضالّۀ، وما أكثرها.

ص:۱۵۵

وكذلك مَن سار على نهجهم من الجماعات المعاصرة ممّن باين أهل التوحيد والسنّة ونابذهم وجانب مناهجهم، بل حاربها ونفر عنها وعن أهلها، ويلحق بهم مَن يناصرهم ويدافع عنهم ويذكر محاسنهم ويشيد بهم وبشخصيّاتهم وزعمائهم، وقد يفضّل مناهجهم على مناهج أهل التوحيد والسنّة.

أمّا الفصل الثالث، فقد خصّصه لمناقشة أدلّة المعتدلين من أهل السنّة الذين ينادون بالعدل فى الكتب القديمة والحديثة، وعدم رفضها لمجرّد أنّ ما فيها يخالف أفكار أهل السنّة ومعتقداتهم.

واعتبر المؤلّف أنّ المعتدلين لا يهتمون بإبراز خطورة البِدَع والتحذير منها ومن أهلها، وأنّ ضعف المبالاة أصبح متّبعاً عند كثير من الدعاة الجدد، بل تجد عندهم المحاماة عن أهل البِدَع، بل الإشادة بهم والتنويه بذكرهم، بل يعتبرون بعض رؤوس أهل البِدَع مجدّدين وأئمّة تجديد، بل هناك كتب وُضعت للدفاع عن هذه الأنواع، وليس عندهم روح التحرّى للحق، ولا الاستعداد للتمييز بين الحق والباطل، ولسان حالهم يقول: /إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ/ (الزخرف: ۳۳) .

وهذا النص القرآنى الذى استند إليه المؤلّف فى مواجهة خصومه، هو فى الحقيقة ينطبق على الحنابلة والوهّابيّين الذين يسيرون على آثار سلفهم وما وجدوه عليهم، ويعيشون بعقل الماضى، ويرفضون العقل وينبذون الرأى.

ولا ـ ينطبق - بحالٍ - على المخالفين الذين يسعون إلى التحرّر من أغلال الماضى وتقديس الأجداد، ويدعون إلى النهوض بالأُمّة وتجديد عقلها وغربلة تراثها.

قال المؤلّف فى نهاية هذا الفصل متوجّعاً متحسّراً: إنّ من المضحكات المبكيات أن تُؤلَّف كتب باسم السلف، وباسم منهج أهل السنّة والجماعة، وباسم العدالة الإسلامية، وتُنشر أشرطة يُشاد فيها بأهل البِدَع وقادتهم، فهم الدعاة، وهم المفكّرون، وهم الخطباء المصقعون، وهم المجاهدون المناضلون، والسلفيون ليسوا من هذه

ص:۱۵۶

المجالات فی قبیل ولا دبیر ولا فی العیر ولا فی النفیر، ولیت الأمر ینتهی عند هذا الحد، بل یتجاوزه إلی الطعن والتحقیر والتشهیر.

یا قوم مهلاً. مهلاً. أخبرونی ماهی الجهود التی بذلتموها فی قمع أهل البِدَع وصدّ ظلمهم وعدوانهم علی الحق وأهله؟

هل أنتم علی طریقة أهل السنّة والجماعة فی هجران أهل البِدَع ومقاطعتهم ومنابذتهم والبراءة منهم ومن بِدَعهم وضلالهم؟

هل أنتم علی طریقة أحمد بن حنبل وأقرانه ومدرسته، وابن تیمیة، وابن القیّم، ومحمّد بن عبدالوهاب، وتلامیذه وأبنائه وأحفاده؟

وکحال الوهّابیّین المعاصرین کلّما ألمّت بهم ملمّة من الخصوم وأوجعتهم سهامهم هرع المؤلّف نحو قدوتهم ومراجعهم من الحنابلة المتطرّفین.

وفی الفصل الرابع من الکتاب أبرز المؤلّف موقف ابن تیمیة من البِدَع وأهلها، وعدم التزامه بذکر محاسنهم.

فمن کتاب ابن تیمیة - نقض المنطق - نقل المؤلّف: تفضیل الردّ علی أهل البِدَع علی الجهاد.

ومن کتابه الاحتجاج بالقدر نقل: الردّ علی البِدَع جهاد.

ومن کتابه درء تعارض العقل والنقل نقل: نقد الأشاعرة.

ومن کتابه تلبیس الجهمیة نقل: الردّ علی الرازی.

ومن الفتاوی الکبری نقل: الاتّفاق علی التحذیر من أهل البِدَع، وأهل الکلام والفلسفة، ومن بینهم الغزالی.

ومن کتابه الاستقامة نقل: نقد الآراء المحدثة فی الأُصول والفروع.

ومن الرسائل نقل: فساد منهج أهل البدع وضلاله.

واستمرّ المؤلّف فی التلحّف بکلام ابن تیمیة والتحصّن به؛ حتّی إذا فرغ وشبع اتّجه

ص:۱۵۷

إلى رموز أُخرى من الحنابلة وأهل السنّة الآخرين يستنجد بنصوصهم، فأورد نصّاً لابن الجوزى الحنبلى فى أنّ المبتدعة شرٌّ من الملحدين.

وأورد نصّاً لابن عبد البر فى جواز هجر المبتدع.

ونصّاً لابن مفلح فى المنع عن النظر فى كتب المبتدعة.

ونصّاً للشاطبى فى الأمر بعداوة أهل البِدَع والتشريد بهم.

ونصّاً لابن القيّم فى تحريق كتب أهل البِدَع والضلالات.

ونصّاً للذهبى فى التحذير من الصوفية وكتبهم.

ونصّاً فى إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالى.

بالإضافة إلى نصوص أُخرى فى ردّ شبهاتهم وجواز قتل الداعى إلى البدعة.

ثمّ ختم المؤلّف كتابه بذكر حكم مَن يتولّى أهل البِدَع وينصرهم على أهل السنّة.

ونقل كلاماً لابن تيمية فيمَن يعاون أهل البِدَع، وكلاماً للقرطبى المالكى فى تفسير قوله تعالى:

/يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ/ (آل عمران: ۱۱۸) .

وقوله: كلّ مَن كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغى لك أن تحادثه.

قذائف أخرى

ومن القذائف التى جاء بها المدخلى ليدعم بها موقفه ويوسّع من دائرة الإصابات بين المسلمين ما يلى:

* أنّ الإسلام وأهله أتوا من طوائف:

الأُولى: طائفة ردّت أحاديث الصفات وكذّبوا رواتها، فهؤلاء أشدّ ضرراً على الإسلام وأهله من الكفّار.

الثانية: طائفة قالوا بصحّتها وقبولها ثمّ تأوّلوها، فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأُولى.

ص:۱۵۸

الثالثة: طائفة جانبت القوانين وادّعت التنزيه وهى كاذبة فأدّاهم ذلك إلى القولين الأوّلين وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأُوليين.

وواضح من هذا الكلام أنّ صاحبنا لا يستثنى أحداً من المسلمين إلّا طائفته هو، وهى طائفة الحنابلة بالطبع، فهى الطائفة الوحيدة التى آمنت بالروايات الخاصّة بصفات الله تعالى، وجعلت لله سبحانه يداً ورجلاً وعيناً ومكاناً، وغير ذلك من الصفات التى تؤدّى إلى التشبيه والتجسيم، والتى فرّت منها الاتّجاهات الأُخرى وأنكرتها من باب تنزيهٔ الله سبحانه، واتّجه بعضها إلى حمل هذه الروايات على المجاز، أى: تأوّلت معناها، بينما اتّجه آخرون إلى سلوك السبيل الوسط تجاه هذه الروايات، وهم من طوائف أهل السنّة من الأشاعرة وغيرهم.

وهؤلاء جميعاً مارقون فى نظر الحنابلة القدامى والمعاصرين من أتباع ابن عبدالوهاب، وأشدّ خطراً على الإسلام من الكفّار فى منظورهم.

فهل يُعقل مثل هذا الكلام؟

والجواب بالطبع لا، لكنّ فقهاء الإرهاب هم الذين لا يعقلون.

ويواصل المدخلى إطلاق قذائفه على المسلمين بقوله:

* مبتدعة الإسلام أشدّ من الملحدين.

* أهل الأهواء والبِدَع لا تُقبل لهم شهادة فى الإسلام أبداً، ويهجرون ويؤدّبون، فإن تمادوا على بدعتهم استتيبوا منها.

وهذا الكلام حاله كحال السابق من أنّه لا فرق بين المبتدعة وبين الكفّار فى نظر الفقهاء، وما دام الأمر قد دخل فى دائرة الاستتابة فهذا يعنى: أنّ البدعة تُعدّ رِدّةً عن الإسلام.

هل هناك تطرّفٌ أكثر من هذا؟

ثمّ يقول:

* فرقة النجاة – الوهّابيّة – مأمورون بعداوة أهل البِدَع والتش–ريد بهم، والتنكيل بمَن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه.

ص:۱۵۹

نداءات

وكانت آخر قذائف المدخلى هى نداء صارخ للشباب يطالبه بإلغاء العقل والإسراع نحو الماضى والتحصّن بالروايات وعقيدة السلف.

يقول النداء: انتبه أيّها السلفى الصادق، واحذر أن تُقاد إلى نصرة أهل البِدَع والضلال والإلحاد التى تضمّها التنظيمات الحزبية والسياسية، فإنّ كثيراً من أدعياء السلفية لا همّ لهم اليوم إلّا نصرة أهل البِدَع، المشكلة من أصناف الشيعة والصوفية القبورية أهل الحلول والاتّحاد، الذين يقول ابن تيمية فيهم: إنّ مَن ينصر نصرهم شرّ ممّن ينصر النصارى والمشركين.

ولا تنس مناصرة أدعياء السلفية لأهل البِدَع فى أزمة الخليج ضدّ أهل التوحيد فى الجزيرة، فإن كنت خُدعت بهم وقتاً ما، فأفق ولا يُلدغ مؤمن من حجرٍ مرّتين.

إنّ على الشباب السلفى أن يكون يقظاً لما يُحاك ضدّه وضدّ عقيدته ومنهجه، فلا يليق به أن ينساق وراء الشعارات الطنّانة، ولا وراء العواطف العمياء التى تؤدّى إلى تضييع أعظم نعمة وأعظم أمانة فى عنقه، وهى الثبات على منهج أهل الحديث والسنّة، وحمايته من غوائل خصومه ومكايدهم وألاعيبهم التى ظهرت آثارها على كثير من الأساتذة وطلّاب العلم والمثقّفين الذين كان ينتظر منهم تربية الأجيال على منهج السلف وتثبيتهم عليه والاعتزاز برفع لوائه.

إنّ هذا النداء المتطرّف من قِبَل صاحبنا الوهّابى لشباب العصر، لم ينحصر فقط فى الدعوة لإلغاء العقل والارتباط بالماضى، وإنّما تجاوز هذا الحدّ ليدعوا إلى تسييس الشباب وفق النهج السعودى الأمريكى بدعوته لهم بمنابذة ومعاداة الذين وقفوا ضدّ آل سعود والتدخّل الأمريكى فى أزمة الخليج، وهذا يعنى أنّه يدعوهم صراحةً إلى تأييد الفتوى النفطية الصادرة عن فقهاء آل سعود والتى تنصّ على جواز الاستعانة بالمشركين، وتبرير وجود القواعد الأمريكية فى الخليج، وإذا كان هذا حاله، فلماذا يحرّم

ص:۱۶۰

على الشباب الانتماءات السياسية والحزبية ويكفّر أصحاب هذه النشاطات ويدعو إلى محاربتهم؟

والجواب: أنّ هذه الأنشطة لا تسير على نهج الروايات، ولا تلتزم بعقيدة سلفهم التى تنصّ على موالاة الحكّام وطاعتهم ولو كانوا فجّاراً يتآمرون على الإسلام ويستعينون بأعداء الله على المسلمين.

ص:۱۶۱

كتب ونصوص

اشارة

لم تقتصر المنشورات الإرهابية التى يصدرها الوهّابيّون على الرموز المذكورة سابقاً، وإنّما امتدّت لتشمل العديد من شيوخهم المعاصرين.

وامتدّت - أيضاً - لتشمل العديد من منشورات المذاهب الأُخرى، التى يحاولون من خلال نشرها دعم أفكارهم وتثبيت ادّعائهم بتمثيل أهل السنّة.

وسوف نعرض هنا لنماذج من هذه المنشورات وماتحتويه من نصوص أسهمت فى تشكيل العقل المسلم المعاصر، وأضفت المش- روعية على مواقف وممارسات الفِرَق الوهّابيّة الإرهابية المعاصرة، وخاصّةً الفرق الجهادية التى استمدّت أفكارها وأسانيدها لتبرير الصِدام مع الواقع من هذه المنشورات.

وقبل الخوض فى نصوص هذه المنشورات، يجب علينا إلقاء الضوء على حقيقة هامّة تتعلّق بتراث الحنابلة، وبالتراث المتطرّف عموماً، وهذه الحقيقة تتلخّص فى كون هذا التراث وليد ردّ فعلٍ المواجهة مع خصوم الحنابلة وأهل السنّة، الذين وجدوا فى خصومهم النِّديّة وقوّة الحجّة، وقوّة التأثير فى المسلمين فدفعهم هذا إلى التحصّن بالروايات والنصوص والفتاوى المتطرّفة التى ترهب الأتباع، فلا تجعلهم يحيدون عن نهجهم وتدفعهم فى نفس الوقت نحو الصدام مع الخصوم.

ص:۱۶۲

خلق أفعال العباد

وهو كتاب للبخارى يردّ فيه على الجهمية وأصحاب التعطيل حسب تعبيره.

ومن خلال هذا الكتاب يركّز البخارى على تكفير القائلين بخلق القرآن والجهمية خاصّةً.

ووضع باباً تحت عنوان: ما ذكر أهل العلم للمعطّلة الذين يريدون أن يبدّلوا كلام‌الله.

ونقل الروايات التالية:

روى سفيان الثورى قال لى حماد بن أبى سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أنّى برىء من دينه، وكان يقول: القرآن مخلوق.

ونقل: شهدت خالد بن عبد الله القسرى بواسط فى يوم أضحى وقال: ارجعوا فضحّوا تقبّل الله منكم فإنّى مضحٍّ بالجعد بن درهم، زعم أنّ الله لم يتّخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلّم موسى تكليماً، تعالى الله علوّاً كبيراً عمّا يقول، ثمّ نزل فذبحه.

ونقل قول وهب بن جرير: الجهمية الزنادقة إنّما يريدون أنّه ليس على العرش استوى.

وحلف يزيد بن هارون بالله الذى لا إله إلاّ هو مَن قال: إنّ القرآن مخلوق فهو زنديق ويستتاب، فإن تاب وإلاّ قُتل.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: لو رأيت رجلاً على الجسر وبيدى سيف يقول: القرآن مخلوق لضربت عنقه.

وقال: هما ملّتان: الجهمية والرافضة.

وقال أبوعبد الله – ابن حنبل –: ما أُبالى صلّيت خلف الجهمى والرافض أم صلّيت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلّم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تُؤكل ذبائحهم.

وقال: مَن زعم أنّ الله لم يكلّم موسى فإنّه يُستتاب وإلاّ قُتل.

ص:۱۶۳

كتاب السنّة

وصاحب هذا الكتاب هو الخلال المتوفّى عام ۳۱۱ه، وهو كما ذكر ابن العماد فى شذرات الذهب أنفق عمره فى جمع مذهب ابن حنبل وتصنيفه.

وقد بدأ كتابه بباب تحت عنوان: طاعة الإمام وترك الخروج عليه.

وأثنى فى هذا الباب على المتوكّل العبّاسى معتبره ممّن أحيوا السنّة بعد مماتها، كما هو حال الحنابلة الذين يرفعونه مقاماً عليّاً، بسبب نصرته لهم ورفعه لمقامهم على حساب المذاهب الأُخرى، من بعد فترة اضطهاد وإبعاد عاشها الحنابلة على يد مَن سبقوه من الخلفاء.

ووضع الخلال باباً عنوانه: ذكر المقام المحمود استعرض فيه رواية تتعلّق بقوله تعالى: /عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً/. (الاسراء: ۷۹)

تقول الرواية: إنّ المعنى المقصود من الآية هو أنّ الله سبحانه يُجْلِسُ محمّداً (ص) على العرش إلى جواره.

ونقل قول أبى داود: مَن أنكر هذا الحديث فهو عندنا متّهم.

وقال: مازال الناس (الحنابلة) يحدِّثون بهذا يريدون مغايظة الجهمية؛ وذلك أنّ الجهمية ينكرون أنّ على العرش شيء.

وقول أبى‌بكربن أبى طالب: مَن ردّه فقد ردّ على الله عزّ وجلّ، ومَن كذب بفضيلة النبى (ص) فقد كفر بالله العظيم.

وقول أحمد بن أصرم: مَن ردّ هذا فهو ردّ على الله ورسوله، وهو عندنا كافر، ومَن قال بهذا فهو زنديق يُقتل.

وقول إبراهيم الأصبهانى: هذا الحديث حدّث به العلماء منذ ستّين ومائة سنة، لا يردّه إلاّ أهل البِدَع.

وقول هارون بن معروف: هذا حديث يسخن الله به أعين الزنادقة.

وقول مجاهد: مَن ردّ هذا الحديث فهو مبتدعٌ ضال.

وقول عبد الوهاب الورّاق: سألت أسود بن سالم عن هذه الأحاديث فقال: يحلف عليها بالطلاق إنّها لحق.

ص:۱۶۴

وقول أبی علی الهاشمی: مَن ردّ حدیث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله، ومَن ردّ فضیلة الرسول فهو عندنا کافر مرتدّ عن الإسلام.

وحدیث جلوس الرسول (ص) إلی جوار الله علی العرش کان قد أنکره الطبری فقام الحنابلة بالاعتداء علیه.(۱)

وفی باب ذکر الروافض نقل قول ابن حنبل: مَن شتم - أی: الصحابة- أخشی علیه الکفر مثل الروافض، ولا نأمن أن یکون قد مرق من الدین.

ونقل سؤالاً وجّه لابن حنبل عن جارٍ رافضی یسلّم هل یُردّ علیه السلام فقال: لا.

وسؤالاً آخر عن صاحب بِدْعة یسلّم فقال: إذا کان جهمیاً أو قدریاً أو رافضیاً داعیة فلا یُصلّی علیه ولا یسلّم.

ونقل عن محارب بن دثار: لم یر بغیبتهم بأساً، أی: الرافضة.

وفی باب تحت عنوان: جامع أمر الرافضة نقل عن الشعبی مقارنة بین الرافضة والیهود.

قال الشعبی: أحذّرکم الأهواء المضلّة وشرّها الرافضة؛ وذلک أنّ منهم یهوداً لم یدخلوا الإسلام رغبةً فیه، ولا رهبةً من الله عزّ وجلّ ولکن مقتاً لأهله وبغیاً علیهم.

وقال: إنّ محنة الرافضة محنة الیهود.

قالت الیهود: لا یصلح الأُمّة إلّا رجل من آل داود.

وقالت الرافضة: لا یصلح الأُمّة إلّا رجل من ولد علی بن أبی طالب.

وقالت الیهود: لا جهاد فی سبیل الله حتّی یخرج المسیح وینزل سبب من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد فی سبیل الله حتّی یخرج المهدی وینادی منادٍ من السماء.

والیهود یؤخّرون صلاة المغرب حتّی تشتبک النجوم، وکذلک الرافضة.

والیهود تزول عن القبلة شیئاً وکذلک الرافضة.

والیهود یستحلّون دم کلّ مسلم وکذلک الرافضة.

۱- توفّی الطبری عام ۳۱۰ه- انظر سیرته فی کتب التراجم والتاریخ.

ص:۱۶۵

واليهود لا يرون على النساء عدّة وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئاً وكذلك الرافضة.

واليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن.

واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط الوحى إلى محمّد.(۱)

ونقل قول أبى عبيد القاسم بن سلام: عاشرت الناس وكلّمت أهل الكلام فما رأيت أوسخ وسخاً، ولا أقذر قذراً، ولا أضعف حجّة ولا أحمق من الرافضة.

ونقل سؤالاً وُجّه لابن حنبل عمّن يكتب الأحاديث التى تطعن وتنتقص الصحابة ويجمعها أيهجر؟

وكان جوابه: نعم، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم.

ويروى كان ابن عوانة قد وضع كتاباً فى معايب أصحاب النبى وفيه بلايا، فجاء إليه سلام بن أبى مطيع فقال: يا أبا عوانة أعطنى ذلك الكتاب، فأعطاه فأخذه سلام فأحرقه.

ويروى أنّه سئل إسحاق بن راهويه عن رجل سرق كتاباً من رجلٍ فيه رأى جهم أو رأى القدر هل يقطع؟

قال: لا قطع عليه.

ووضع الخلال باباً عنوانه: الإنكار على مَن قدّم عليّاً على أبى بكر وعلى عثمان.

ونقل الأقوال لابن حنبل وغيره التى تعتبره مبتدعاً.

لمعة الاعتقاد لمولفه ابن قدامة الحنبلی

يقول ابن قدامة: يجب الإيمان بكلّ ما أخبر به النبى (ص) وصحّ به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنّا، نعلم أنّه حق وصدق، وسواء فى ذلك ما عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظةً لا مناماً.

۱- انظر مناقشة هذه المسألة فى كتابنا الحق والحقيقة بين الشيعة والسنّة وكتابنا أهل السنّة شعب الله المختار، وما ذكره الخلال على لسان الشعبى حول مقارنة الرافضة باليهود التقطه ابن تيمية فيما بعد، والتقطه من ابن تيمية الوهّابيون اليوم ليقذفوا به فى وجه الشيعة.

ص:۱۶۶

ومن ذلک أنّ ملک الموت لمّا جاء إلی موسی (ع) لیقبض روحه لطمه ففقأ عینه.

ومن ذلک أشراط الساعة، مثل: خروج الدجّال ونزول عیسی (ع) وأشباه ذلک ممّا صحّ به النقل، وعذاب القبر ونعیمه، والشفاعة، و معاویة خال المؤمنین وکاتب وحی الله و أحد الخلفاء المسلمین.

وأمام هذا الکلام هناک وقفات:

أوّلاً: إنّه لایجوز أخذ هذا الکلام علی الوجوب، فلیس من الواجب الإیمان بکلّ ما جاءت الروایات؛ لانعدام الدلیل علی الوجوب، والروایات علی الأغلب لا تفید الیقین، ومسألة نسبتها إلی الرسول (ص) مسألة ظنّیة ولیست قطعیة. ومسألة صحّة النقل فیها کلام کثیر، والمقصود هنا صحّة النقل بطُرق أهل السنّة وبأسانید رجالهم، وهی طرق وأسانید تبدو بصمة السیاسة فیها واضحة، فمن ثمّ هی لیست محلّ تسلیم الاتّجاهات الأُخری التی نظرت إلی هذه الروایات بعین الشک.

ثانیاً: إنّ الهدف من هذا الکلام هو الحجر علی العقل وإرهابه؛ کی لا یخوض فی مثل هذه الخرافات المنسوبة للرسول (ص) ، مثل خرافة لطم موسی لملک الموت.

ثالثاً: إنّ هذه الروایات وغیرها ممّا یعتمد علیه أهل السنّة فی عقائدهم لا تخرج عن کونها أحادیث آحاد، لاتفید إلاّ الظن.

رابعاً: إنّ عقیدة أهل السنّة عقیدة مسالمة للحکومات وتدین بالطاعة والولاء لها، ولا تجیز الخروج علیها، فی الوقت الذی تتبنّی فیه التبرّی من المخالفین وقمعهم وعدم مسالمتهم، وقد نشأ هذا المعتقد مع معاویة وتمّ تقنینه فی العصر العبّاسی من خلال الروایات، إلاّ أنّه لم تجرؤ عقیدة سُنّیة علی التصریح بما صرّح به ابن قدامة فی عقیدته من أنّ معاویة خال المؤمنین، وکاتب وحی الله، أحد خلفاء المسلمین.

أمّا فکرة خال المؤمنین فقد ابتدعها ابن قدامة من کون معاویة شقیق رملة بنت أبی سفیان (أُم حبیبة) زوج النبی (ص) فما دام معاویة شقیق واحدة من نساء النبی فیجوز أن یکون خال المؤمنین، وهو کلام ساذج یعکس التعصّب لمعاویة ونهجه فی مواجهة الخصوم من الشیعة وغیرهم.

ص:۱۶۷

وحتّى روايات أهل السنّة الصحيحة عندهم لم تسعف معاوية فى شىء، فهى لم تثبت له منقبة، ولم تثبت أنّه كان من كتّاب الوحى.(۱) وقصارى ما اعتمد عليه ابن قدامة رواية ضعيفة عند أهل السنّة حال تعصّبه لمعاوية دون أن ينبذها.

وسيراً مع نهج السلف من الحنابلة وأئمّة الإرهاب الذين سبقوه، قال ابن قدامة بما قالوه وسنّوه فى مواجهة المخالفين، وما نصّت عليه كتب العقائد الأُخرى وهو:

من السنّة هجر أهل البِدَع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات فى الدين، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكلّ محدثة فى الدين بِدْعة وكلّ متسم بغير الإسلام والسنّة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والسالمية ونظائرهم، فهذه فِرَق الضلالة وطوائف البِدَع أعاذنا الله منها.(۲)

الأحكام السلطانية

كان أبو يعلى الحنبلى (ت۴۵۸ه-) مؤلّف كتب الأحكام السلطانية قد تولّى القضاء فى عهد القائم بأمر الله العبّاسى، وتصدّى بتوجيه منه لأنصار العقل والتأويل من الاتّجاهات الأُخرى الذين برزوا فى مواجهة الحنابلة وكتابهم (إبطال التأويلات) الذى أشاعوه فى بغداد عام ۴۳۲ه، ذلك الكتاب الذى تسلّمه من الخليفة العباسى ليتأمّله ويعيد النظر فيه.

وتمّ حسم الأمر فى النهاية لصالح الحنابلة بدعم الخليفة وصدور مرسوم يقول: القرآن كلام الله وأخبار الصفات الواردة فى الروايات تمرّ كما جاءت.

وهذا المرسوم بالطبع يعنى نفى الشيعة والمعتزلة وغيرهما من الاتّجاهات التى تقول

۱- انظر فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى، ج۷، كتاب الفضائل باب ذكر معاوية، وفيه أنّ إسحاق بن راهويه أستاذ البخارى قال: لم تصح فى معاوية منقبة.

۲- انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين.

ص:۱۶۸

بخلق القرآن، ووجوب تأويل أخبار الصفات الواردة فی الروایات، فراراً من الوقوع فی التشبیه والتجسیم، أو نفی هذه الروایات ورفضها بالمرّة.

قال أبو یعلی فی قتال أهل الردّة: فإنّه واجب إنذارهم ثلاثة أیام، سواء کان المرتد رجلًا أو امرأة.

ولا یجوز إقرار المرتد علی ردّته بجزیةٍ أو عهد، ولا تُؤکل لهم ذبیحة، ولا تنکح لهم امرأة، وإذا قُتل لم یُغسّل ولم یُصلّ علیه، ولا یُدفن فی مقابر المسلمین لخروجه بالردّة عنهم، ولا فی مقابر المشرکین لما تقدّمت له من حرمة الإسلام ولکن یواری مقبوراً، ویکون ما له فیئاً فی بیت مال المسلمین، مصروفاً فی أهل الفیء، ولایرثه عنه وارث مسلم ولا کافر.

وقضیّة الردّة أفردت لها کتب الفقه أبواباً واسعة فی جواز قتل المرتد وقتال أهل الردّة.

وفکرة الردّة قد استثمرت من قِبَل الحکّام والفقهاء فی آن واحد لضرب الخصوم من الاتّجاهات الأُخری وتصفیتهم، فلم یکن هناک أبسط من اتّهام أصحاب الرأی بالردّة عن الدین وتبریر قتلهم والخلاص منه، وقد قتل الکثیر من الفقهاء والفلاسفة وأهل العقل تحت هذا المسمّی.

ولمّا کان هناک تحالف دائم بین الفقهاء من أهل السنّة والحکّام، فمن ثمّ فتح هذا الباب علی مصراعیه لهم کی یبطشوا بالآخرین، تحت شعار مقاومة الردّة والمرتدّین، باعتبارهم الممثّل الشرعی الوحید للإسلام.

وإذا کانت هناک ردّة حقیقیة فهی ردّة عن نهج أهل السنّة وعقائدهم لا عن الإسلام.

وهذه الرؤیة هی الأساس الذی قامت علیه فکرة الإرهاب والبطش بالآخر فی واقع المسلمین، وهی الرؤیة التی تشبّع بها التیار الوهّابی وفرقه فی کلّ مکان.

إلّا أنّ الشرع الإسلامی لا یعطی الحق لأیّ فردٍ أو جهةٍ فی قتل أو قتال المرتدّین،

ص:۱۶۹

وقد أغلق الشرع هذا الباب كى لا يستثمر من قِبَل أهل السياسة والعصبية القبلية، كما حدث على يد أبى بكر الذى رفع شعار قتل المرتدّين فى وجه خصومه والخارجين على حكمه.

يقول أبو يعلى: فأمّا مَن ترك صلاة الجماعة من آحاد الناس فقياس المذهب أن يعترض عليه؛ لأنّها من فرائض الأعيان، فهى كترك الجمعة، وقد قال (ص) : لقد هممت أن آمر أصحابى أن يجمعوا حطباً وآمر بالصلاة فيؤذن لها وتقام، ثمّ أخالف إلى منازل قوم لا يحضرون الصلاة فأحرقها عليهم.

وهو بهذا يريد القول بوجوب إحراق بيوت المتخلّفين عن الصلاة بروايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) ، وهو ما يعنى ضمناً اتّهام الرسول بالعدوانية والإرهاب، الأمر الذى يختلف مع خلقه وسنّته، ويدعونا إلى رفض مثل هذه الروايات.(۱)

قال أبو يعلى: وكذلك لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولاً خرق به الإجماع وخالف فيه النص وردّ قول علماء عصره، أنكره عليه وزجره عنه – أى: المحتسب – فإن أقلع وتاب وإلّا فالسلطان بتهذيب الدين أحق.

وهذا الكلام هو امتداد لكلام الحنابلة السابقين المحرّض على المخالفين لإجماعهم ورواياتهم وتخييرهم ما بين التوبة والرجوع عن المخالفة، أو يتولّى أمرهم السلطان بتحريض من فقهاء أهل السنّة، وليس بعد هذا إرهاب.

ثمّ قال عن أهل الذمّة: ويمنع أهل الذمّة من تعلية أبنيتهم على أبنية المسلمين، فإن ملكوا أبنية عالية احتمل أن يقرّوا عليها ويلزموا أن يستروا سطوحهم، ويأخذ أهل الذمّة بما شرط فى ذمّتهم: من لبس الغيار، والمخالفة فى الهيئة، وترك المجاهرة بقولهم فى عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

ومثل هذا الكلام فى حق أهل الذمّة من اليهود والنصارى إنّما هو من صنع

۱- انظر لنا كتاب دفاع عن الرسول ضدّ الفقهاء والمحدّثين، والحديث رواه مسلم وكتب السنن الأُخرى عن أبى‌هريرة

ص:۱۷۰

السياسة لا من صنع النصوص، فالحكّام هم الذين أوجبوا على أهل الذمّة مثل هذه الأُمور لأسباب أمنيّة، وبارك الفقهاء هذه الأُمور التى تتماشى مع مذهبهم.

الفرقان بين الحق والباطل

وقد صنّف هذا الكتاب ابن تيمية فى سجن دمشق.

وقال فى مقدّمته:

إنّ الله بيّن فى كتابه الفرقان بين الحق والباطل، وكذلك نبيّه، فمَن كان أعظم اتّباعاً لكتابه الذى أنزله ونبيّه الذى أرسله كان أعظم فرقاناً.

ومَن كان أبعد عن اتّباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان، والنبى الصادق بالمتبنى الكاذب، وآيات النبيين بشبهات الكذّابين حتّى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق.

وهذا الكلام الذى يدين به فقهاء الحنابلة إنّما اخترع لإرهاب المخالفين لنهج الرواية والرجال؛ وذلك بربط الرواية بالقرآن، وهدى الله بهدى الرسول (ص) . بمعنى أنّ الذين يرفضون الروايات ويشكّكون فيها يكونوا بهذا التصوّر يرفضون القرآن ويشكّكون فى نصوصه.

وهو ما تمّ توكيده فى الشعار الدائم الذى لا زال يُرفع حتّى اليوم وهو شعار: الكتاب والسنّة حيث أصبح الإسلام هو الكتاب والسنّة، بينما الحقيقة أنّ الإسلام هو الكتاب، فهو المصدر الوحيد المعصوم المنزل من قِبَل الله سبحانه ليكون حجّة على البشر، وهو الذى يجب أن يكون حكماً على الروايات، لا أن تشاركه الروايات وتتساوى به.

ولقد أصبحت الروايات، بمرور الزمن وبتوجيه الحكّام، هى الناطق بلسان الإسلام والمعبِّر عنه، ونتج عن هذا أن هيمنت الروايات على القرآن، ممّا أدّى إلى استفزاز أصحاب العقول وتصدّيهم للروايات والفقهاء الذين يدعمونها.

وابن تيمية هنا، إنّما يردّد تهديدات مَن سبقه من فقهاء السلف من الحنابلة وغيرهم لإرهاب الاتّجاهات الأُخرى وعزل المسلمين عنها.

ص:۱۷۱

ويؤكّد ابن تيمية أنّ اتّباع رجال السلف، ومعرفة أقوالهم فى العلم والدين وأعمالهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخّرين وأعمالهم: «أقوال السلف وأعمالهم فى جميع علوم الدين كالتفسير وأُصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك، فإنّهم أفضل ممّن بعدهم كما دلّ عليه الكتاب والسنّة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمَن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم؛ وذلك أنّ إجماعهم لا يكون إلّا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق فى بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتّى يعرف دلالة الكتاب والسنّة على خلافه» .

ويواصل ابن تيمية إطلاق مدافعه على المخالفين بقوله: وكلّ مَن خالف ما جاء به الرسول (ص) لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل، بل لا يكون عنده إلّا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس.

ثمّ يسلّط مدفعه على أصحاب الرأى بقوله: وكلّ الأُصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء باطلة فى العقل والشرع.

والمقصود بهذا الكلام الاتّجاهات الرافضة للروايات المتعلّقة بصفات الله المأوّلة لهذه الصفات، المتبنّية لنهج العقل والمنطق والفلسفة، أو ما سُمّى بعلم الكلام أو العقليات.

فجميع ذلك مرفوض عند ابن تيمية وسلفه من الحنابلة، الذين يعتقدون بأنّ الله سبحانه له يد وعين ورجل، ويرى ويهبط ويصعد، ومكانه فوق العرش، وأنّه أراد الشرّ واختاره كما نصّ على ذلك إمامهم ابن حنبل.

وهؤلاء الرافضين هم أهل الهوى والزيغ والضلال، الذين أعلن ابن تيمية الحرب عليهم، ولازال أتباعه من الوهّابيّين مستمرّين فى هذه الحرب حتّى اليوم.

حقيقة دعوة محمّد بن عبد الوهاب

وهى رسالة كتبها واحد من أحفاد محمّد بن عبدالوهاب للدفاع عن الوهّابيّة، وقد نسبها إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل مؤسّس الدولة السعودية الثانية.

ص:۱۷۲

وكان عبد العزيز قد أرسل هذا الحفيد إلى اليمن وما جاورها من القرى للتبشير بالوهّابيّة؛ فنسب هذه الرسالة إليه تبرّكاً بآل سعود حماة التوحيد الوهّابى.

قال مبشّراً منذراً: مَن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاث به فهو مش-رك كافر، وإن لم يقصد إلّا مجرّد التقرّب إلى الله وطلب الشفاعة عنده، وقد دخل الكثير من هذه الأُمّة فى الشرك بالله والتعلّق بسواه ويسمّون ذلك توسّلاً وتشفّعاً، وتغيير الأسماء لا اعتبار له، ولا تزول حقيقة الشىء، ولا حكمه بزوال اسمه وانتقاله فى عرف الناس باسم آخر.

وهذا الكلام الذى دعا إليه عبد العزيز وحفيد ابن عبد الوهاب إنّما يلخّص الدعوة الوهّابيّة ويحدّد أُطرها التى تقوم على أساس تكفير المسلمين واعتبارهم من أهل الشرك، وقد ارتدّوا إلى عبادة الأصنام.

ثمّ يقول فى رسالته: ولا نقول بقول الأشاعرة ولا غيرهم من أهل البِدَع.

ونرى أنّ كلّ محدثةٍ فى الدين بِدْعة.

ونرى هجر أهل البِدَع ومباينتهم.

أمّا مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنّة فى الفروع والأحكام، ولا ندّعى الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنّة صحيحة عن رسول الله (ص) عملنا بها ولا نقدّم عليها قول أحدٍ كائناً مَن كان، بل نتلقّاها بالقبول والتسليم.

وسيراً مع سنّة الحنابلة تبنّى الوهّابيّون الروايات، وأصبحوا من عبّادها، نابذين الاجتهاد والعقل، معلنين الحرب على أهل الرأى والفكر المبتدعة فى منظورهم.

وهكذا أصبحوا نسخة جديدة من الحنابلة القدامى، والفارق بينهم وبين حنابلة الماضى هو أنّهم حملوا سيوفاً سلّطوها على رقاب المسلمين، وملكوا سلطةً ونفوذاً ونفطاً لم يملك السابقون منه شىء.

وفى رسالة عنوانها: (فتيتان تتعلّقان بتكفير الجهمية) منسوبة إلى اثنين من سلالة محمّد بن عبد الوهاب وهما: إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعبد الله بن عبداللطيف آل الشيخ بالإضافة إلى وهّابى ثالث هو سليمان بن سحمان الخثعمى.

ص:۱۷۳

تقول الرسالة: إنّ رجلين تنازعا فى تكفير الجهمية والقبورية والإباضية، هل بلغتهم الدعوة، وقامت عليهم الحجّة؟

وكان الجواب هو: أمّا الجهمية فالمشهور من مذهب أحمد وعامّة أئمّة السنّة تكفيرهم؛ لأنّ قولهم صريح فى مناقضة ما جاءت به الرسل (ص) وأُنزلت به الكتب.

والإمام أحمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لا يختلفون فى تكفير الجهمية، وأنّهم ضلّال زنادقة مرتدّون، وقد ذكر مَن صنّف فى السنّة تكفيرهم من عامّة أهل الأثر كاللالكائى، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وابن أبى مليكة، والخلال، وابن خزيمة، وابن القيّم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك كونهم من عبّاد القبور وعلى طريقتهم، فلا إشكال والحالة هذه فى كفرهم وضلالهم.

أمّا إباضية أهل هذا الزمان، فحقيقة مذهبهم وطريقتهم إذا سبرت أحوالهم فهم جهمية قبوريون، وإنّما ينتسبون إلى القبورية انتساباً، فلا يشك فى كفرهم وضلالهم إلاّ مَن غلب عليه الهوى، وأعمى عين بصيرته، فمَن تولاّهم فهو عاصٍ ظالم يجب هجره ومباعدته والتحذير منه حتّى يعلن التوبة، كما أعلن بالظلم والمعصية.

وما ذكر فى السؤال عمّن لا يرى كفر الجهمية وإباضية أهل هذا الزمان، ويزعم جهاد أهل الإسلام لهم سابقاً غلواً، وهو لأجل المال كاللصوص، فهذا لم يعرف حقيقة الإسلام ولا شمّ رائحته، وإن انتسب إليه وزعم أنّه من أهله.

وأمّا ما ذكرته من استدلال المخالف بقوله (ص) : مَن صلّى صلاتنا. وأشباه هذه الأحاديث فهذا استدلال جاهل بنصوص الكتاب والسنّة، فإنّ هذا فرضه ومحلّه فى أهل الأهواء من هذه الأُمّة، ومَن لا تخرجه بدعته من الإسلام، كالخوارج ونحوهم، فهؤلاء لا يكفرون؛ لأنّ أصل الإيمان الثابت لا يحكم بزواله إلاّ بحصول منافٍ لحقيقته مناقض لأصله، لكنّهم يبدعون ويضللون، ويجب هجرهم وتضليلهم والتحذير من مجالستهم ومجامعتهم.

أمّا الجهمية وعبّاد القبور فلا يستدل بمثل هذه النصوص على عدم تكفيرهم إلاّ

ص:۱۷۴

مَن لم يعرف حقيقة الإسلام وما بعث الله به الرسل.

أمّا القول بأنّ القول كفر ولا نحكم بكفر القائل، فإطلاق هذا جهل صرف؛ لأنّ هذه العبارة لا تنطبق إلّا على المعيّن، ومسألة تكفير المعيّن مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال مَن قال هذا كافر.

وذكر ابن تيمية في كثير من كتبه تكفير أُناسٍ من أعيان المتكلّمين.

وأمّا قوله هؤلاء فهموا الحجّة فهذا ممّا يدلّ على جهله وأنّه لم يفرّق بين فهم الحجّة وبلوغ الحجّة، فقد تقوم الحجّة على مَن لا يفهمها.

والشيخ محمّد بن عبد الوهاب لم يكفّر الناس ابتداءً إلّا بعد قيام الحجّة والدعوة، فأمّا إذا قامت الحجّة فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها.

وهذا الكلام معناه أنّ الوهّابيّين جاؤوا بدين جديد مَن لم يمتثل له فهو كافر.

والسؤال هنا: ما هي حجّة الوهّابيّين؟

هل هي الإسلام أم مذهبهم الرديء؟

ولم يقتصر التبشير الوهّابي في حدود المساجد، والدعوة الفردية، والمنشورات، بل تعدّاه إلى المدارس؛ حيث فرض على الطلّاب دراسة التوحيد الوهّابي وتوطين فكرة الإرهاب في نفوسهم.

كتاب التوحيد

وفي كتاب (التوحيد) المقرّر على الصف الثالث الثانوي في دولة الوهّابيّين نجد ما يلي:

الفصل الخامس من الباب الأوّل في بيان حقيقة الجاهلية والفسق والضلال، ثمّ الردّة وأقسامها وأحكامها.

وفي محيط الردّة اعتبر مَن يداوم على الصلاة والنذور في مساجد الأولياء والصالحين ويذبح عند المقامات والأضرحة إنّما هو مرتدّ بفعله هذا.

ص:۱۷۵

وفی الباب الثانی حدّد الکتاب الأقوال والأفعال التی تتنافی مع التوحید وتنقضه وهی:

ادّعاء علم الغیب فی قراءة الکف والفنجان والتنجیم.

السحر والکهانة والعرافة.

تقدیم القرابین والنذور والهدایا للمزارات والقبور وتعظیمها.

تعظیم التماثیل والنصب التذکاریة.

الاستهزاء بالدین والاستهانة بحرماته.

الحکم بغیر ما أنزل الله.

ادّعاء حقّ التشریع والتحلیل والتحریم.

الانتماء إلی المذاهب الإلحادیة والأحزاب الجاهلیة.

النظرة المادیة للحیاة.

التمائم والرقی.

الحلف بغیر الله والتوسّل والاستعانة بالمخلوق دون الله.

والباب الثالث کان فی بیان ما یجب اعتقاده فی الرسول (ص) وأهل بیته وصحابته، والنهی عن سبّ الصحابة وأئمّة الهدی.

أمّا الباب الرابع فقد ترکّز فی البِدَع ومنهج أهل السنّة والجماعة فی الردّ علی أهل البِدَع، وقدّم للطالب نماذج من کتب السلف التی تردّ علی أهل البِدَع من وضع ابن حنبل والوهّابیّین المعاصرین.

ومن نماذج الکتب التی ذکرت فی هذا الباب:

الردّ علی الجهمیة والزنادقة.

الاعتصام.

اقتضاء الصراط المستقیم.

إنکار الحوادث والبِدَع.

ص:۱۷۶

الباعث على إنكار البِدَع والحوادث.

ومن الكتب المعاصرة:

الإبداع فى مضارّ الابتداع.

السنن والمبتدعات المتعلّقة بالأذكار والصلوات.

التحذير من البدع.

ثمّ ختم الكتاب ببيان نماذج من البِدَع المعاصرة وهى:

الاحتفال بالمولد النبوى.

التبرّك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.

البِدَع فى مجال العبادات والتقرّب إلى الله.

وقد حشد الكتاب الكثير من أقوال ابن تيمية، وختم بالقول: إنّ البِدَع بريد الكفر، وهى زيادة دين لم يشرّعه الله ولا رسوله، والبِدْعة شرّ من المعصية الكبيرة، وتحريم زيارة المبتدع ومجالسته إلّا على وجه النصيحة له والإنكار عليه، ويجب التحذير منهم ومن شرّهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البِدَع، ويجب على علماء المسلمين وولاة أُمورهم منع البِدَع والأخذ على أيدى المبتدعة، وردع شرّهم؛ لأنّ خطرهم على الإسلام شديد، ثمّ إنّه يجب أن يعلم أنّ دول الكفر تشجّع المبتدعة على نشر بدعتهم وتساعدهم على ذلك بشتّى الطرق؛ لأنّ فى ذلك القضاء على الاسلام وتشويه صورته.

وهذا الكلام الذى يدرّس على طلبة المدارس، الهدف منه تكوين جيل من الإرهابيين متلحّف بالدين، يرفع شعار الردّة والتكفير فى وجه المسلمين المخالفين، ويخيّرهم بين الإذعان لمذهبهم (التوحيد الوهّابى) أو السيف والاستباحة.

وقد نشر هذا الجيل الإرهاب فى ربوع المسلمين وربوع أوربا التى وفد إليها من أجل الدعوة والدراسة.

ص:۱۷۷

وهو الجيل الذى برزت منه فِرَق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المنتشرة فى دولة الوهّابيّين ترهب الناس فى كلّ مكان باسم الدين حتّى شكّلت قلقاً أمنياً للحكم السعودى.

وهو الجيل الذى برز منه ابن لادن والأفغان العرب وغيرهم من قادة الإرهاب فى العالم اليوم.

وسوف يستمر هذا الجيل فى تفريخ الفرق الإرهابية طالما استمرّ الطرح الوهّابى فى الشيوع والانتشار.

ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الاهتمام بالصبيان وتلقينهم التوحيد المزعوم.

تعليم الصبيان التوحيد

هناك منشور وهّابى تحت عنوان: (تعليم الصبيان التوحيد) وهو من وضع محمّد ابن عبدالوهاب.

وهو على طريقة السؤال والجواب، وقد حوى الأسئلة التالية:

من هو المؤلِّف؟ وما مذهبه؟ وما دعوته؟ وما هى مؤلّفاته؟ وهل عرفه الأمير محمّد بن سعود؟ وهل نكث الشيخ عهده مع ابن سعود؟ ومتى توفّى؟ ومَن أولاده؟

الحجاب

ومن المنشورات الوهّابيّة السائدة منشور باسم (الحجاب) ، وهويحوى ثلاث رسائل لثلاثة من رموز الوهّابيّة المعاصرة، وهم: عبد العزيز بن باز وتلميذه ابن عثيمين، والثالث عبد القادر السندى.

وابن باز هو الذى أفتى بعدم جواز قيادة المرأة السيارة، وأنّ الأرض لاتدور، وأنكر صعود أحدٍ إلى القمر.

وسيراً مع الروايات وأقوال الرجال من الحنابلة وغيرهم، مال ابن باز إلى الروايات

ص:۱۷۸

والأقوال التى لا تجيز كشف وجه المرأة أو يدها، فى الوقت الذى شكّك فيه فى الروايات التى تجيز كشف الوجه واليدين.

وكما تشدّد ابن باز فى زىّ المرأة، الذى يستر جميع أجزاء جسدها، تشدّد أيضاً فى خروجها وسفرها وحريتها بشكل عام.

يقول ابن باز: اتّقوا الله أيّها المسلمون وخذوا على أيدى سفهائكم وامنعوا نسائكم ممّا حرّم الله عليهن وألزموهن التحجّب والتستّر، واحذروا غضب الله وعظيم عقوبته.

وما دام ابن باز يحرّم على المرأة قيادة السيارة فمن الطبيعى أن يحرّم عليها الخروج من البيت والسفر وحدها والاختلاط بالرجال بأىّ صورةٍ من الصور، وهو ما صرّح به فى كثير من الفتاوى التى صدرت عنه.

وقد سار على نفس الدرب ابن عثيمين، والتزم طرح إمامه ومعلّمه حيث قال فى رسالته: اعلم أيّها المسلم أنّ احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب وتغطية وجهها أمر واجب.

أمّا الرسالة الثالثة فقد خُصصت للردّ على سيّد قطب، وأبى الأعلى المودودى، اللذين انحازا إلى جانب مَن يجيز كشف المرأة لوجهها وكفيها.

إلّا أنّ الطريف فى الأمر هو تلك الروايات التى يستندون إليها والمنسوبة إلى رجال السلف، والتى تجيز للمرأة أن تبرز عيناً واحدة، وبعض هذه الروايات حدّدت العين اليسرى!

إلّا أنّ السؤال الذى يفرض نفسه هنا: هل تلتزم المرأة السعودية بأقوال: ابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم من فقهاء الوهّابيّة؟

والسؤال الآخر هو هل يستطيع فقهاء الوهّابيّة أن يلزموا نساء العائلة السعودية بفتاويهم؟

عبادة الاوثان

وأصدر أحد الوهّابيين كتاباً تحت عنوان: (عبادة الأوثان) حدّد فيه الأوثان فيما يلى:

الأصنام ويقصد بها القبور أو الأضرحة والمقامات.

ص:۱۷۹

التماثيل والصور والسينما والتلفزيون.

وعن الأضرحة قال تحت عنوان: الشرك الأكبر، المحرّمات وأشدّها إفساداً للعقل: إنّ مشركى زماننا - أى: الشيعة، والصوفية، وعوام الناس - أغلظ شركاً من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يخلصون لله فى الشدّة ويشركون فى الرخاء، ومشركو زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدّة.

وعن الفرق بين زيارة الموحّدين - الوهّابيّين - للقبور وزيارة المش-ركين، أى: بقيّة المسلمين قال: وأمّا الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبادة الأصنام.

وتحت عنوان الأنصاب والأزلام قال: فهدم القباب والبناء فى المساجد التى بنيت عليها أولى وأحرى، كذلك يجب إزالة كلّ قنديل أو سراج على قبرٍ وطفيه، فإنّ فاعل ذلك ملعون، وأعظم الفتنة فتنة أنصاب القبور، وهى أصل فتنة عبادة الأصنام، فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنّة مبتدعٌ ضال شاء أم أبى.

ثمّ ختم باب الأصنام بكلمة لابن تيمية: وهذه الأُمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام.

أمّا عن الصور، فقد حشد عشرات الروايات والأقوال التى تحرّم الصور والتماثيل.

ونقل فتوى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة تتعلّق بإجابة الدعوة إلى الوليمة، هل تسقط الإجابة إذا علم المدعو أنّها مشتملة على صورة؟

ونقل عن أحد رموز الوهّابيّة وهو الألبانى أنّه لايجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية.

وختم الباب بقولٍ لآخر من رموز الوهّابيّة: إنّ العقل البشرى معرّض للانتكاس فى كلّ حين وزمان، ولا يستبعد أبداً أن يؤدّى نصب التماثيل فى الشوارع العامّة، وانتشار الصور فى المحلّات والبيوت إلى عبادتها وتعظيمها فى المستقبل.

وحول السينما والتلفزيون نقل كلام لصاحب كتاب (إعلان النكير على المفتونين

ص:۱۸۰

بالتصوير) هـذا نصّه: ومن الشـبه الباطلـة فتيا بعض العصـريين بإباحة حضور السـينما لرؤية ما يصوّر فيها من ساحات القتال، وحجّته أنّ ذلك ممّا يبعث على الشجاعة والإقدام على القتال، وهذه حجّة داحضة من وجوه:

الأوّل: إنّ السينما من أنواع السحر التخيّلى، بل هى أخبث منه؛ لأنّ كلّ ما يأتى به أصحاب السحر التخيّلى يمكن الإتيان به فيها وزيادة. والسـحر لا يجوز تعاطيه ولا الحضور عنـد مَن يعمله، وهكذا الأمر فى السـينما فلا يجوز عملها ولا الحضور عندها؛ لأنّ الحضور عندها بدون تغيير دليل على الرضا بالسحر، والرضا بالذنب كفاعله.

الثانى: إنّ الحضور عند السينما دليل على الرضا بما ركّب فيها من صور الآدميين والحيوانات، والراضى بالصور شريك المصوّرين.

الثالث: إنّ الإفتاء بجواز حضور السـينما يتضـمّن ردّ الأحاديث الدالة على تحريم الصور والمنع من اتّخاذ الصور ومش-روعية طمسـها، ومَن أفتى بخلاـف الأحـاديث الثابتـة عن النبى (ص) فهو إمّـا جاهـل ضـال، وإمّـا معانـد شاق للرسول، وعلى كلا التقـديرين فعليه إثم العاملين بفتياه.

الرابع: إنّ الحضور عند السينما لرؤية ما فيها من الصور، مخالف لهدى رسول الله، وموافق لهدى النصارى والمشركين.

ومن هـذا الباب فإنّ حضور السـينما حرام على كلّ حال، سواء كان باعثاً على الشـجاعة والإقـدام أولم يكن؛ لأنّ الحضور عنـدها دليل على الرضـا بمـا فيهـا من المضاهـاة بخلق الله، ودليـل على الرضـا بمـا فيهـا من السـحر، ودليـل على الرضـا بمـا يمثّل من أنواع الفسوق والعصيان.

ثمّ نقل فى الختام: حرمة النحت، والتحنيط، ونقل الأعضاء، كما أفتى بذلك فقهاء الحنابلة.

ص:۱۸۱

تطهير الاعتقاد

وجاء فی مقدّمة (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) : وبعد فهذا تطهير الاعتقاد من أدران الشرک والإلحاد وجب علیّ تأليفه، وتعيّن علیّ ترصيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتّخاذ العباد الأنداد فی الأمصار والقری وجميع البلاد، من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد فی القبور وفی الأحياء ممّن يدّعی العلم بالمغيّبات والمكاشفات.

ثمّ قال صاحب المنشور: وكذلک تسمية القبر مشهداً، ومَن يعتقدون فيه وليّاً لايخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم عاملون معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بها طواف الحجّاج بيت اللهالحرام، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، وهو بعينه فعل المشركين فی الأصنام.

ويتطرّف أكثر فيطرح التساؤلات التالية ويجيب عليها:

فإن قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون فی القبور والأولياء والفسقة والخل--فاء مشركين كالذين يعتقدون فی الأصنام؟

قلت: نعم، قد حصل منهم ما حصل من أُولئک وساووهم فی ذلک، بل زادوا فی الاعتقاد والانقياد، فلا فرق بينهم. فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرک بالله تعالی، ولا نجعل له نِدّاً، والالتجاء إلی الأولياء ليس شركاً؟

قلت: قد خرج الفقهاء فی كتب الفقه فی باب الردّة أنّ مَن تكلّم بكلمة الكفر يكفّر، وإن لم يقصد معناها، وهذا دالٌّ علی أنّهم لايعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهيّة التوحيد؛ فصاروا كفّاراً كفراً أصليّاً.

فإن قلت: فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوک فيهم مسلک رسولالله (ص) فی المشركين.

قلت: إلی هذا ذهب بعض أهل العلم فقالوا يجب أوّلاً دعاؤهم إلی التوحيد، وهذا

ص:۱۸۲

واجب العلماء، فإذا أبانت العلماء ذلك الش-رك للأئمّة والملوك، وجب على الأئمّة والملوك بعث دعاة إلى التوحيد، فمَن أقرّ ورجع حُقن عليه دمه وماله وذراريه، ومَن أصرّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله من المشركين.

عقيدة أهل السنّة والجماعة

لابن عثيمين وقد أشار فيها إلى معتقدات أهل السنّة مجتمعة، خاصّة ما يتعلّق بصفات الله تعالى، وتكفير مَن لا يق-ر بهذه الص--فات حسب معتقداتهم، وتكفير تارك الصلاة ومعاداة المخالفين من المسلمين.

وقال محدّداً صفات أهل السنّة (الوهّابيّون) :

يعادون أهل الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسلف الصالح من أئمّة الدين، ويتمسّكون بما كانوا به متمسّكين من الدين المتين، ويبغضون أهل البِدَع الذين أحدثوا فى الدين ما ليس منه، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم فى الدين، ويرون صمّ آذانهم عن سماع أباطيلهم.

وعلامات البِدَع على أهلها باديةٌ، وأظهرها: شدّة معاملتهم لحملة أخبار النبى (ص) ، واحتقارهم وتسميتهم إيّاهم (حشوية) وظاهرية ومشبّهة.

وهذا الكلام - كما هى - سنّة الوهّابيّين - منقول من كتب السابقين من سلفهم ورموزهم، فليس فى كتب الوهّابيّين جهد علمى يذكر، فهم ليسوا سوى مجرّد نَقَلَة ومردِّدين لأفكار شيخهم ابن عبد الوهاب، الذى ردّد بدوره بلا وعى أيضاً كلمات مرجعه الأوحد ابن تيمية.

وأقلّ ما يقال فيهم إنّهم حملة أسفار وهى الصفة التى لازمت الفِرَق التى تولّدت من خلالهم.

وهو كلام يعكس ردّ الفعل الغاضب تجاه الآخر الذى خاصمهم بسبب غلوّهم فى الروايات، وتجريمهم لأهل الرأى والعقل، ممّا أدّى إلى وصفهم بالحشوية، وغيرها من الصفات التى استفزّتهم.

ص:۱۸۳

ومن بين نصوص هذه العقيدة ما يلى:

ونؤمن أنّ الله علىٌّ على خلقه بذاته وصفاته، واستواؤه على العرش علوّه عليه بذاته.

ونؤمن بأنّ الله تعالى مع خلقه وهو على عرشه.

ونؤمن بأنّ لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين.

ونعلم علم اليقين أنّ ما جاء فى كتاب الله أو سنّة نبيّه (ص) فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً، ولأنّ التناقض فى الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً، وهذا محال فى خبر الله ورسوله.

ونؤمن بأنّ للنبى (ص) خلفاء راشدين خلفوه فى أُمّته علماً ودعوة وولاية على المؤمنين وبأنّ أفضلهم وأحقّهم بالخلافة: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ على، وهكذا كانوا فى الخلافة قدراً كما كانوا فى الفضيلة، وما كان الله تعالى - وله الحكمة البالغة - ليولّى على خير القرون رجلاً وفيهم مَن هو خير منه وأجدر بالخلافة.

ونعتقد أنّ ما جرى بين الصحابة من الفتن فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه، فمَن كان مصيباً فله أجران، ومَن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد، وخطؤه مغفور له.

وهذه العقائد وغيرها - ممّا تكتظ به كتب العقائد عند أهل السنّة - إنّما هى من صنع الحنابلة الذين أطلقوا عليهم اسم السلف؛ وذلك لكون الباحث فى تراث أهل السنّة ومذاهبهم يجد أنّ هناك خلافات واسعة بين الفقهاء حول هذه المفاهيم التى ألبسها الحنابلة ثوب العقائد، ووجّهوها نحو خصومهم حتّى من داخل أهل السنّة على مستوى الماضى.

ويوجّهها حنابلة العصر من الوهّابيّين وفرقهم نحو خصومهم من الشيعة والصوفية وأهل الرأى.

ويرفع الحنابلة على الدوام شعار الكتاب والسنّة، بل هم الذين ابتدعوا هذا الشعار

ص:۱۸۴

فی واقع المسلمین بهدف إضفاء المشروعیة علی عقائدهم النابعة من الروایات التی لم تکن محل تسلیم خصومهم.(۱)

وشعار الکتاب والسنّة الهدف منه إرهاب المسلمین، کی لا یتحرّشوا بالروایات ویتشکّکوا فیها، فربط الروایات بالقرآن یضفی القداسة علیها ویحول دون المساس بها، فکأنّ هذه الروایات فی حمایة القرآن والمساس بها یعنی المساس بالقرآن، وهو ما یریده الحنابلة من وراء تحصّنهم بهذا الشعار.

وهذا هو ما قصده صاحب هذه الرسالة حین شدّد علی أنّ ما جاء فی کتاب الله أو سنّة رسوله (ص) هو حق ولا یوجد تناقض بینهما، أی: أنّ الحق واحد فی القرآن والروایات.

وهذه مغالطة حنبلیة أشاعوها بین المسلمین ویحاول الوهّابیون تأکیدها وتثبیتها من أجل حمایة عقائدهم الباطلة وأفکارهم الهشّة.

إنّ القرآن لا یتیح لأمثال الحنابلة الذین لا یحترمون العقل والرأی فرصة استخدام نصوصه فی إرهاب الناس واحتکار الحق، فمن ثمّ اتّجهوا نحو الروایات وغالوا فیها.

الروایات هی التی أتاحت لهم الفرصة لتکفیر الآخر واستحلاله.

وهی التی أتاحت لهم تخدیر المسلمین وإیهامهم أنّهم أهل الحق والفرقة الوحیدة الناجیة من النار.

وفتحت لهم باب الشهادة علی المخالفین بدخول النار.

وفتحت لهم باب موالاة الحکّام والتحالف معهم ضدّ خصومهم والتغطیة علی انحرافاتهم، بل وإضفاء المشروعیة علی أشخاصهم ومواقفهم.

ومن خلال أربع رسائل وهّابیّة متشابهة- أیضاً - سوف نلقی الضوء علی لغة جدیدة من لغات الإرهاب والتطرّف،

۱- انظر نقد فکرة ربط الکتاب بالسنّة فی کتابنا تغییر الخطاب الإسلامی.

ص:۱۸۵

وهذه الرسائل هى:

إقامة البراهين على حكم مَن استغاث بغير الله، أو قصد الكهنة والعرّافين.

إرشاد الطالب إلى أهمّ المطالب.

الحسام الماحق لكلِّ مشركٍ منافق.

فصل البيان فى نواقض الإسلام والإيمان.

والرسالة الأُولى تحوى ثلاثة ردود:

الأوّل على قصيدة فى مدح الرسول (ص) نشرتها مجلّة المجتمع الكويتية تحت عنوان: (فى ذكرى المولد النبوى الشريف) وقد استفزّت هذه القصيدة صاحب الرسالة وهو ابن باز، الذى اعتبرها تحوى أُمور شركيّة تمثّلت فى الاستغاثة بالنبى والاستنصار به لإدراك الأُمّة وتخليصها ممّا وقع بها.

واعتبر ابن باز هذا الكلام إعراضاً عن ربِّ العالمين الذى بيده النصر والضر والنفع، وليس بيد غيره شىء من ذلك، وأنّ هذا ظلم عظيم وشرك وخيم ينافى معنى لا إله إلّا الله.

والردّ الثانى لابن باز كان حول سؤال ورد إليه عن دعاء غير الله والاستنجاد به فى المهمّات، كدعاء الجن، ودعاء الأموات من الأنبياء والصالحين، وحكم مناكحة مَن يفعل ذلك.

وتلخّص ردّه فى الحكم على هؤلاء بالشرك، وعدم جواز أكل طعامهم ومناكحتهم، باعتبارهم فى نظره أصحاب دين لا أصل له ولا شبهة فيه، بل هو باطل من أساسه على حدّ تعبيره.

أمّا الردّ الثالث له فكان على أوراد منسوبة للإمام على (ع) يتمسّك بها بعض المسلمين حيث قال: إنّ هذه الأوراد أو الأدعية كلّها من أنواع الشرك الأكبر؛ لأنّها عبادة لغير الله، وذلك أقبح من شرك الأوّلين.

وفيما يتعلّق برسالة إرشاد الطالب فقد حوت مجموعة أجوبة على مسائل:

ص:۱۸۶

الأُولى: عن الكفر المخرج من الملّة وما لا يخرج.

والثانية: عن التحاكم إلى الطاغوت الذى يكفر فاعله.

والثالثة: عن الإعراض الموجب للكفر.

والرابعة: عن الهجر المشروع.

والخامسة: فى الردّ على مَن التزم زيّاً مبتدعاً.

والسادسة: فى لباس العقال وإباحته.

والسابعة: فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وباقى المسائل تركّزت حول فضل العمامة ومقدار عمامة الرسول (ص) .

هذه هى أهمّ المطالب فى منظور الوهّابيين وتلامذتهم من عناصر الفِرَق الإرهابية.

وهذه هى القضايا التى شغلتهم واصطدموا بالواقع على أساسها.

وهى - على ما هو ظاهر - تدور فى محيط ثلاث قضايا:

الأُولى: تتعلّق بتكفير المجتمع والتحاكم إلى القانون الوضعى أو الطاغوت حسب تعبيرهم.

والثانية: تتعلّق بالمخالفين والخصوم وضرورة هجرهم والردّ عليهم.

والثالثة: حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ورسالة الحسام الماحق - كما هو واضح من عنوانها - موجّهة إلى كلِّ مشركٍ منافقٍ من المسلمين المتمرّدين على الحنابلة وعقائدهم البالية المتطرّفة.

وقد جرّد صاحب الرسالة حسامه هذا بسبب تجرّأ واحد من المفتونين المهوسين -حسب تعبيره - على الله تعالى وتسميته السنن الصحيحة الواردة فى البخارى منكراً.

هذا ما ذكره فى مقدّمة رسالته حيث اعتبر نقد الروايات أو رفضها تجرّأً على الله.

من هنا كان ردّه شديداً متطرّفاً على صاحب رسالة الهجوم على البخارى ومسلم، وهو على مايبدو من كلامه ينتمى إلى الشيعة.

وحمل الفصل الأوّل من الحسام الماحق هذا العنوان: فى بيان إشراك صاحب

ص:۱۸۷

الرسالة لإيمانه بعبادة غير الله.

أمّا الفصل الثانى فكان عنوانه: فى تحريم الإفتاء والقضاء بالتقليد وبيان أنّ التمذهب بِدْعة. ودعوى نبذ المذاهب ورفض التقليد دعوى حنبلية قديمة، يرفع شعارها الوهّابيّون اليوم، بهدف دفع المسلمين إلى الانتقال من تقليد الآخرين إلى تقليدهم فإنّ الانتقال من مذهب يجيز التقليد إلى مذهب لا يجيزه إنّما هو فى الحقيقة انتقال من تقليد إلى تقليد.

والوهّابيّون فى حقيقتهم متمذهبون متعصّبون لابن حنبل وابن تيمية، كما هم متعصّبون للرواية، ويعطّلون العقل، فكيف ينادون بنبذ التقليد؟

وإذا كانت المذاهب قد أدّت إلى التعصّب وتسبّبت فى فرقة المسلمين وتناحرهم، فليس معنى هذا أنّ الوهّابيّة هى البديل والمخرج من الأزمة المذهبية التى تسود واقع المسلمين من قديم، فإنّ الوهّابيّة صورة مقيتة لمذهبيةٍ أُخرى أشدّ وأنكى.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان: فى بيان أنّ كلّ بِدْعة فى الدين ضلالة.

ويقصد بالبِدْعة - كما ذكرنا سابقاً - كلّ ما يخالف نهج الحنابلة ورواياتهم.

ثمّ شنّ صاحب الحسام فى الفصل الرابع حرباً شعواء على خصمه المبتدع، فى نظره، لقوله بالإسدال فى الصلاة، أى: ترك اليدين أثناء الصلاة وعدم وضع اليد اليمنى على اليسرى كما يفعل أهل السنّة. وقوله: إنّ البسملة فى أوّل سورة الفاتحة ليست واجبة فى كلّ ركعة من ركعات الصلاة.

وقوله بقراءة القرآن وإهداء ثوابه للموتى.

وقوله ببطلان التأمين فى الصلاة باعتبارها ليست من القرآن.

وقوله بجواز التوسّل بالأموات.

وقوله بقراءة القرآن جماعة وبصوت واحد.

وقوله بوجوب اتّباع أهل البيت وتقديسهم.

وهذه الأُمور بمجموعها تُعدّ من البِدَع التى تخرج من الدين عند الحنابلة

ص:۱۸۸

الوهّابيّين، ثمّ يقول: وقد لفّق جماعة من المشركين المبتدعين عبّاد الأضرحة رسائل للرّد على الوهّابيّة، ولا توجد على وجه الأرض فرقة تسمّى نفسها وهّابيّة، ولكن المبتدعة المشركين اخترعوا هذه التسمية ليطلقوها على كلّ مَن يوحّد الله ويتّبع سنّة الرسول (ص) ويتجنّب البِدَع والمحدثات.

والقارئ لرسالة الحسام الماحق يتبيّن له أنّ الراد عليه على علم وليس على جهل، إذ يطرح مسائل مختلفة فى الدين ببراهينها وأدلّتها، إلّا أنّ الوهّابيّين لا يعترفون بوجود العلم خارج دائرتهم.

قال صاحب الحسام: ليس علينا أن نجيب عن المسائل الفرعية التى ذكرها المفتون؛ لأنّه لا يجوز له الإفتاء والانتقاد؛ لأنّه عامى جاهل مقلّد، ولكنّنا نتبرّع بالجواب عن تلك المسائل رغبة بإفادة مَن يقرأ هذا الكتاب.

والرسالة الرابعة نُشرت ضمن سلسلة تصحيح مفاهيم فى جوانب من العقيدة: رسالة إلى الشباب.

الفصل الأوّل منها حمل عنوان: ليس كلّ مَن قال لا إله إلّا الله يدخل الجنّة.

والفصل الثانى منها حمل عنوان: نواقض الشهادتين.

والفصل الثالث لخّص فيه نواقض الشهادتين والتى حدّدها فيما يلى:

الكفر والشرك والنفاق والردّة.

وهذه الأُمور الأربعة تمّ تطبيقها على المسلمين المخالفين تحت مسمّيات مختلفة، وقد اعتمد صاحب الرسالة على أقوال ابن تيمية، وابن القيّم، وابن عبد الوهاب فى بيانها وشرحها، فجميع المسلمين الذين لم يلتزموا بالتوحيد على طريقة الوهّابيّة هم كفّار مشركون منافقون مرتدّون.

ويقول صاحبها: إنّ عدم فهم الناس لنواقض الشهادتين وعدم إحاطتهم بنواقض الإسلام والإيمان كان سبباً فى نش-ر الش-رك والإلحاد، وظهور الكفر قولاً وفعلاً واعتقاداً وسلوكاً فى كلّ مجال فأصبح كثير من الناس، يقولون الكفر بألسنتهم

ص:۱۸۹

ويعتقـدون الشـرك بقلوبهم، وتأتى جوارحهم تصـدّق هذا وذاك، فلم يبق من المسـلم إلاّ اسـمه وهو معتقد أنّه طالما أقرّ بالشـهادتين بلسانه فهو من أهل الجنّـة غير مبالٍ لأقواله وأفعاله ومعتقـداته، وهـذا الفهم ذهبت إليه بعض الفِرَق، ولقد ضلّ هؤلاء وهؤلاء لمّا حادوا عن مذهب أهل السنّة والجماعة.

ومثل هذا الكلام إنّما يعكس المعتقد السائد لدى الفِرَق الإرهابية تجاه الناس والمجتمع الذى ورثته عن الوهّابيّة.

وهو المعتقَـد الـذى برزت على أسـاسه فِرَق الجهـاد والتكفير، التى نش-رت الإرهـاب فى واقع المسـلمين قبـل أن تنشـره فى واقع غير المسلمين.

حقيقة الدعوة

وفى مواجهـة التيّـارات السـنّيّة غير الوهّابيّـة التى وفـدت على جزيرة العرب صـدر منشور وهّـابى يُهـدى ولاـ يُباع تحت عنوان: (حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصّت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها)

وقدّم له ثلاثة من رموز الوهّابيّة.

يقول صـاحب المقدّمـة الأُولى: فقـد حاول أعـداء هـذه الـدعوة - الوهّابيّـة- أن يقضوا عليها بالقوّة فلم ينجحوا، وحاولوا أن يقاوموها بالتضـليل والتشـكيك والشـبهات، ووصفها بالأوصاف المنفّرة فما زادها إلاّ تألّقاً ووضوحاً وقبولاً وإقبالاً، ومَن يرى ما نعايشه من وفود أفكار غريبـة مشـبوهة إلى بلادنا باسم الـدعوة وعلى أيـدى جماعات تتسـمّى بأسـماء مختلفـة، مثل: جماعـة الإخوان، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا، وهدفها واحد وهو أن تزيح دعوة التوحيد وتحلّ محلّها.

ويقول صاحب المقدّمة الثانية: وجميل أن يركّز المؤلّف على جزيرة العرب؛ لأنّها آخر هدف يسـتهدف تحويلها ميداناً لمصارعة دعوة الرسول (ص) - الوهّابيّة- بدعوات دخيلة أجنبية عنها، وإن كانت تتظاهر بلباسها وتخفى خلافها الذى ستبديه حينما تؤاتى

ص:۱۹۰

لها الفرصة، كما هو شأن الغزو الفكرى من الماسونية والتنصير والاستعمار قديماً وحديثاً، وكذلك أهل البِدَع، فقد قال فيهم الإمام البربهارى فى شرح السنّة:

مثل أصحاب البِدَع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأيديهم فى التراب ويخرجون أذنابهم فإذا تمكّنوا لدغوا، وكذلك أهل البِدَع هم مختفون بين الناس فإذا تمكّنوا بلغوا ما أرادوا.

ويقول الثالث فى مقدّمته: هذه الدعوات المعاصرة التى تنطلق فى دعوتها من منطلق حزبى قد بعد بها ذلك كثيراً عن منهج السلف الصالح؛ إذ إنّ هذه الجماعات لم تؤسّس بناء دعوتها على توحيد البارى جلّ وعلا، وعلى العقيدة السلفية الصافية من الشوائب.

وما يستفزّ الوهّابيّين فى جماعة الإخوان وجماعة التبليغ هو أنّ هاتين الجماعتين تتعاطفان مع الصوفية، واذا كان الوهّابيّون يعتبرون هذه الجماعات التى تشاركهم معتقد أهل السنّة ضالّة ومشبوهة وفاسدة المعتقد، وأحد أدوات الغزو الفكرى، وبعيدة عن التوحيد، وغير ذلك من الصفات التى وصفوها بها، والتى تخرجهم من دائرة الإسلام بالمرّة، فلا شك أنّهم يعتبرون الاتّجاهات المخالفة من خارج دائرة أهل السنّة من المشركين، ولابدّ أن يكون الموقف تجاههم أكثر تطرّفاً وإرهاباً، وهو ما يبدو بوضوح من خلال النصوص الوهّابيّة، ومن خلال مواقف الوهّابيّين من خصومهم.

وبعد أن تحدّث المؤلّف عن تميّز الجزيرة العربية بالدين ومنهاج الدعوة الأصيل -دعوةالوهّابيّة- وتحدّث عن الجماعات الإسلامية فيها، بعد ذلك أعلن حكم الش-رع فى وجود هذه الجماعات.

وحكم الشرع يقصد به شرع الحنابلة والوهّابيّين، فهم الذين أصدروا الفتوى الخاصّة بهذه الجماعات، والتى عرضها المؤلّف فى كتابه.

يقول المؤلّف: فى فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء من هيئة كبار العلماء فى السعودية رقم۱۶۷۴ فى ۷/۱۰/۱۳۹۷ه- حكم صريح بعدم شرعيّة وجود

ص:۱۹۱

هذه الجماعات ما لم يستند وجودها إلى قرار من ولى الأمر لخير الأُمّة كافّة، أى: قرار من آل سعود.

نص الفتوى: لا يجوز أن يتفرّق المسلمون فى دينهم شِيَعاً وأحزاباً، يلعن بعضهم بعضاً، ويضرب بعضهم رقاب بعض، فإنّ هذا التفرّق ممّا نهى الله عنه، ونصّ على مَن أحدثه، أو تابع أهله وتوعّد فاعليه بالعذاب العظيم.

أمّا إذا كان وليّ أمر المسلمين هو الذى نظّمهم، ووزّع أعمال الحياة ومرافقها الدينية والدنيوية ليقوم كلٌّ بواجبه فى جانب من جوانب الدين والدنيا، فهذا مش-روع بل واجب على وليّ أمر المسلمين.

إنّ مجرّد قيام جماعة أو حزب أو طائفة أو فرقة، وتميّزها عن جماعة المسلمين باسم غير الاسم الذى سمّى الله به الأُمّة (هو سمّاكم المسلمين) ، أو تميّزها بعقيدة أو عبادة لم يأذن بها الله فى كتابه وسنّة نبيّه (ص) وسبيل المؤمنين من أصحابه، أو انعزالها بمركزٍ خاصٍّ أو أمير غير أُولى الأمر، أو بيعة دينية أو سياسية غير البيعة العامّة لوليّ الأمر، كلّ ذلك أو بعضه خروج عن جماعة المسلمين، وتشتيت لشملها، وتقطيع لأمرها زبراً، ينتهى بأهله إلى التعصّب والتنازع والفشل وذهاب الريح والموالاة فى الحزب والمعاداة فيه، والحب فيه والبغض فيه بدعوى أنّ ذلك كلّه فى الله.

ثمّ استعرض المؤلّف بعد ذلك، منهج جماعة التبليغ وجماعة الإخوان، واختتم كتابه بقوله: وما نشأ الضلال بين المسلمين ومعه التفرّق فى الدين إلّا بسبب الفكر الإسلامى منذ البداية عندما اتّجه بعض علماء المسلمين إلى الفكر اليونانى فكانت النتيجة: الحلّاج، وطيفور البسطامى، والغزالى، وابن عربى، وأحزابهم.

وكانت الفِرَق الباطنية ومنها الصوفية، حتّى وصل الأمر إلينا حيث فرّق الهوى والشيطان فى مجتمعاتنا المسلمة المنتمية إلى السنّة من تبليغ وإخوان وحزب تحرير وجهاد إلى آخر منظومة التفرّق. كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ. (المؤمنون: ۵۳)

وكلام المؤلّف هذا يوحى بأنّ الوهّابيّين كتلة وجماعة واحدة على نهج توحيدهم

ص:۱۹۲

المزعوم، وهو الكلام الـذى تردّده رموز الوهّابيّـة فى هـذا الكتاب، وغيره من المنشورات الوهّابيّة، وهو الهدف من تأليف هذا الكتاب: حمايـة الجماعـة الواحـدة – جماعـة الوهّابيّين – من التفرّق والنزاع، وحمايـة ولىّ الأمر – آل سـعود – أيضاً من أىّ تيّار جديد يشـكّل خطراً عليه.

إلّا أنّ الحقيقـة أنّ الوهّابيّين هم أساس الفرقـة والتنازع بين المسـلمين اليوم، كما كان الحنابلـة وابن تيميـة من أسـباب فرقـة المسـلمين بالأمس، فضلاً عن كونهم أساس الإرهاب الذى برز على ساحتهم.

والوهّابيّون حنابلة العصـر قد فشلوا فى بناء جماعة التوحيد الثابتة الأركان فى جزيرة العرب، على الرغم من دعم آل سعود لهم، وفشلوا أيضاً فى خارجها، وهم يدارون هذا الفشل بإلقاء التبعة على الجماعات الأُخرى التى سحبت البساط من تحت أقدامهم.

منهج التلقى

وفى سلسـلة كتاب المنتـدى، وهى سلسـلة تصـدر عن المنتـدى الإسـلامى بلنـدن أحـد المراكز الوهّابيّـة ببريطانيا، والـذى يصدر مجلة (البيان) ، صدر كتاب تحت عنوان:

(منهج التلقّى والاستدلال بين أهل السنّة والمبتدعة) .

قال الوهّابّى فى المقدّمة: لعلّ من أبرز أسباب التفرّق وظهور البِدَع والأهواء اضطراب الناس فى مسألة التلقّى والاستدلال، فكم جرّ هذا التخبّط من انحرافات ومفاسد.

وكم من مبتدعٍ زائغٍ وزنديقٍ جائرٍ استطاع إفساد أديان الناس وعقائدهم بسبب جهل الناس بأُصول الاستدلال ومصادر التلقّى.

وكم من البِدَع والشركيات التى توارثها الناس جيلاً بعد جيل بسبب إعراضهم عن الكتاب والسنّة تلقيّاً وفهماً وتطبيقاً.

ص:۱۹۳

ثمّ تحدّث عن ملامح التفكير والاستدلال الدينى بين الجاهلية والإسلام، وحدّد هذه الملامح فيما يلى:

تعطيل الحواس والاعتماد على الخرافة والأساطير، وعدم تجاوز عالم الماديات، والتقليد الأعمى، وتعظيم طاعة الآباء والأجداد، وتقليد العلماء والعباد، واتّباع الظن والهوى، والمجادلة بالباطل، والمعاندة والاستكبار، والجحد بالحق بعد ظهور علاماته، والإعراض عن الحق واللجوء إلى الاستهزاء والسخرية، واستخدام القوّة فى مواجهة الحق، والتشهير بالأنبياء والدعاة. . .

وهذا على مستوى الاستدلال الجاهلى، أمّا الاستدلال على المستوى الإسلامى فقد حدّده بمايلى:

تعظيم العلم والرفع من منزلته وذمّ الجهل والتحذير منه، و الإخلاص والتجرّد فى البحث عن الحق، تحريم القول على الله بلا علم، والاعتماد على الحجّة والبرهان، والأمر بالنظر والتفكّر فى آيات الله.

وفى الباب الثالث من الكتاب حدّد منهج أهل السنّة فى التلقّى والاستدلال فى حدود: كتاب الله، وسنّة رسوله، وإجماع السلف.

وحدّد أنّ هذه الأُمور الثلاثة تركّز على أُصول ثلاثة:

الأوّل: تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها، أى: نصوص السنّة.

الثانى: الاعتماد على الأحاديث الصحيحة حسب قواعد السلف.

الثالث: صحّة فهم النصوص على أساس فهم الصحابة والسلف.

ومقصده من هذا الكلام هو الإشارة إلى أنّ الوهّابيّين هم الذين يلتزمون بمنهج التلقّى والاستدلال الصحيح، فهم الذين يعظّمون العلم ويذمّون الجهل، ويتجرّدون فى البحث عن الحق، ولا يقولون على الله بلا علم، ويعتمدون على الحجّة والبرهان، ويتفكّرون فى آيات الله على أساس المصادر الثلاثة: الكتاب، والسنّة، والإجماع.

وهذا يعنى أنّ الآخرين لا نصيب لهم من هذا كلّه لكونهم يعطّلون حواسهم،

ص:۱۹۴

ويعتمدون على الخرافات والأساطير، ويتبنّون التقليد الأعمى، ويتبعون الظنّ والهوى، ويجادلوا بالباطل وسائر الصفات الأُخر التى ربطها الوهّابى بالجاهليين أو المخالفين للحنابلة والوهّابيّين من أهل السنّة وغيرهم.

والعجيب أنّه لا توجد فى كتب أهل السنّة والحنابلة خاصّة، بالإضافة إلى كتب الوهّابيّين المعاصرين ما يدعم الاستدلال الصحيح، والتجرّد فى البحث، واحترام العقل وحرّية الرأى والتفكير.

ولو كان الحنابلة والوهّابيّون الذين يدّعون تمثيل أهل السنّة اليوم - على ما صوّر هذا المؤلّف التائه - ما كان هذا حالهم، فقد انقسموا إلى فِرَق وشراذم متناحرة، تكفّر بعضها بعضاً فى موطن دعوتهم وعقر دارهم، الأمر الذى يبدو بوضوح من خلال ذلك الكم الكبير من المنشورات التى يصدروها ما بين الحين والآخر لمقاومة تيّار التكفير الذى استشرى بينهم.(۱)

وتحت عنوان: مسلك المبتدعة فى التعامل مع النصوص الشرعية.

وفى الباب الثانى من الكتاب قال: تميز المبتدعة على اختلاف فرقهم بالتقديم بين يدى الله ورسوله (ص) ، وعدم تعظيم ما جاء فى الكتاب والسنّة، وسأذكر فى هذا الباب أُصولاً عامّةً لمنهج المبتدعة فى الاستدلال تبيّن شيئاً من ضلالهم وانحرافاتهم، وهى:

الأصل الأوّل: ردّ النصوص الثابتة التى تخالف أهواءهم والجرأة فى الاعتراض عليها.

الأصل الثانى: العبث فى الأُصول الشرعية للاستدلال وتشويهها.

الأصل الثالث: ابتداع أُصول جديدة للاستدلال والتلقّى.

ويقصد بالنصوص هنا الروايات الثابتة عند أهل السنّة، خاصّة الحنابلة منهم، والتى هى غير ثابتة عند غيرهم، وقد استشهد المؤلّف بنصوص ابن تيمية لدعم

۱- من نماذج هذه المنشورات: التبصير بقواعد التكفير، وضوابط تكفير المعيّن، والتحذير من فتنة التكفير، وفتاوى فى الجماعات وجماعة واحدة لا جماعات، وغيرها.

ص:۱۹۵

وجهته كما هو حال الوهّابيّين.

ويقصد بالعبث فی الأُصول الشرعية التصديق بالقرآن دون السنّة.

ثمّ أضاف أُموراً أُخرى هی من باب الطعن والتشويه والتشكيك فی الخصوم.

منها ادّعاء أنّ المخالفين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

والكذب على رسول الله (ص) أو عدم الاعتناء بتنقيح السنّة.

وكتم النصوص وتحريفها والاستدلال بها من باب التعضيد لا من باب الاعتماد.

وردّ حديث الآحاد، والقدح فی الصحابة، واتّباع الشبهات، وجهلهم باللغة العربية.

أمّا ما يقصده بابتداع أُصول جديدة للاستدلال والتلقّی فيقصد به: تقليد الأئمّة والشيوخ، والكشف والإلهام، والغلو فی العقل.

وهذه الأُمور هی من باب المغالاة فی نقد الخصوم، فالتصديق بالكتاب دون السـنّة لا يمسّ إيمان المرء فی شیء فإنّ الرسل إنّما يأتون بكتب معصومة لاروايات محل تصديق وتكذيب.

ولم يعرف فی تاريخ الحركة العلمية فی الإسلام أن برزت فرقة من بين المسلمين تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض.

أمّا الكـذب على الرسول (ص) فهی تهمـة يجب توجيهها للحنابلة والوهّابيّين لا لخصومهم، فهم الذين ينسـبون للرسول أشـكالاً وألواناً من الروايـات التی تصـطدم بـالقرآن، وتمسّ شـخصه المعصوم، وتقرّ الظلم والفساد، وتقود إلى التشبيه والتجسـيم ممّا يُعـدّ كـذباً على رسول الله (ص) .(۱)

كذلك لم يعرف أمر كتم النصوص بين المسلمين، إنّما المعروف أنّ المخالفين لأهل السنّة يقارعونهم بكلّ الحجج والبراهين المتاحة وعلى رأسها النصوص التی يحتجّون بها.

۱- انظر نماذج من هذه الروايات فی كتابنا دفاع عن الرسول ضدّ الفقهاء والمحدّثين.

ص:۱۹۶

إنّ تهمة كتم النصوص الأولى بها الحنابلة والوهّابيّون الذين حرّفوا كتب التراث وعتّموا على بعضها، وعملوا على عزل الأُمّة عن الاتّجاهات الأُخرى وإلزامها بنهجهم وأفكارهم.

والباحث المنصف يتبيّن له على الدوام أنّ الحنابلة والوهّابيّين، هم القضاة وهم الجلّادون؛ إذ إنّهم يحكمون على الآخرين، ويتقوّلون عليهم، وينسبون لهم الزور والبهتان، من خلال مصادرهم خاصّةً مصادر ابن تيمية، دون إعطاء الفرصة للمسلمين للاطّلاع على المناهج والاتّجاهات الأُخرى، بل حذّروا المسلمين وأرهبوهم منها.

ولو أُتيحت الفرصة لأىّ مسلمٍ صاحب عقل وبصيرة للاطّلاع على كتب خصوم الحنابلة والوهّابيّين فسوف يكتشف على الفور هشاشة الطرح الحنبلى الوهّابى.

أمّا ردّ حديث الآحاد، فليس تهمة، فقد أبدى العديد من الفقهاء على مستوى الماضى والحاضر تشكيكهم فيه، إلاّ أنّ الحنابلة والوهّابيّين يدافعون عنها بقوّة؛ لكون المساس بها يمسّ عقائدهم التى تقوم على أساس هذه الأحاديث.

كذلك مسألة القدح فى الصحابة - إن صحّت - لا تمسّ جوهر الإيمان فى شىء إلّا أنّ أهل السنّة، خاصّةً الحنابلة، جعلوها من العقائد واعتبروا المساس بها يُعدّ مساساً بالعقيدة.

والحق أنّه لا يوجد ما يسمّى بالقدح أو السب إنّما هناك مواقف نقدية، وصور من الرفض لبعض الصحابة من قِبَل الشيعة وغيرهم، وأدّى تعصّب أهل السنّة للصحابة والقول بعدالتهم أجمعين، خاصّةً معاوية، إلى اعتبار المخالف لهذا المعتقد ضالاًّ مبتدعاً، وعدّوا نقد الصحابة سبّاً لهم، وهو ما سهّل تحريض العامّة عليهم.

واتّهام الخصوم باتّباع المتشابهات صورة من صور التجنّى، كذلك اتّهامهم بالجهل باللغة العربية فمصادر الاتّجاهات الأخرى تنفى هذا الادّعاء.

وفيما يتعلّق بتقليد الأئمّة والفقهاء، فهو نهج سائد فى جميع المذاهب، وأهل السنّة فى

ص:۱۹۷

مقدّمة المقلّدين، وحنابلة العصر من الوهّابيّين وفرقهم المختلفة غالوا فی تقليد سلفهم، وابن تيمية، وابن عبدالوهاب خاصّةً، وتشهد علی ذلک مصادرهم، واعتبار المؤلّف الكشف والإلهام والغلو فی العقل من أُصول المبتدعة إنّما يقصد به الشيعة والصوفية وأصحاب الرأی، وهو بهذا يردّد كلام الحنابلة القدامی وابن تيمية.

الاستهزاء بالدين وأهله

ويقصد بهذا المنشور إرهاب الخصوم وتخويفهم من المساس برموز الوهّابيّة أو أتباعها.

يقول صاحبه فی مقدّمة منشوره: انظر مثلاً إلی كلام ينش-ر ويقرأ لشعراء الحداثة اليوم حری بأن يُسمّی بالإسهال الفكری، تجد فيه كفراً بوّاحاً، ثمّ تأمّل أحوال كثير من الإعلاميين تجد صنوفاً من السخرية والاستهزاء والضحک علی ثوابتنا وقيمنا الشرعية، بل وصل الحال إلی أنّ بعض المحسوبين علی الدعوة والثقافة الإسلامية يهزأ أو يغمز ليلاً ونهاراً بالمتمسّكين بسنّة الرسول (ص) ، ويصفهم بأصحاب العقول المريضة والسفهاء، بل وسخر من معجزات رسول الله الثابتة فی البخاری ومسلم.

ويقدّم المؤلّف أمثلة علی الاستهزاء بالرسول فيقول: ومن السخرية بسنّة رسول الله ما هزأ به محمّد الغزالی حين أورد حديث: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، يسخر من هذا الحديث، ويذكر أنّ بلقيس وفكتوريا واند يرا غاندی وجولدا مائير قد أفلحن بأُممهنّ إلی آخر ما ذكر، مع أنّ هذا الحديث مخرج فی صحيح البخاری.

ومن السخرية برسول الله السخرية بالرجال الذين حملوا دينه.

وآخر يقول: حدّثنا الشيخ إمام، عن صالح بن عبد الحی، عن سيّد درويش، عن أبيه، عن جدّه، وهذا منتهی السخرية والجرأة علی حملة دين الله الذين هم رجال الإسناد.

كذلک السخرية والاستهزاء ببعض مسائل عقيدة أهل السنّة والجماعة.

وينقل فتوی لابن باز فی هذا الشأن تقول: الاستهزاء بالإسلام أو بشی-ءٍ منه كفر

ص:۱۹۸

أكبر، ومَن يستهزئ بأهل الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه، يعتبر مستهزءاً بالدين، فلا تجوز مجالسته ولاـ مصاحبته، بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه ومن صحبته، وهكذا مَن يخوض فى م-سائل ال-دين بالسخرية والاستهزاء يُعتبر كافراً.

ثمّ يستطرد فى بيان صور الاستهزاء والسخرية فيقول عن الساخرين من اللحية: أتهزأ باللحية أيّها الساخر وأنت تتجاهل أنّها خلق الله وتصويره.

أتهزأ باللحية أيّها المستهزئ وهى سنّة رسول الله (ص) الواجبة.

واستنجد بفتوى صادرة عن أحد رموز الوهّابيّة من أحفاد محمّد بن عبد الوهاب حين سُئل عن الذى يقول: إنّ اللحية وساخة هل يعتبر مرتدّاً؟

فأجاب بقوله: فيه تأمّل، إن كان يعلم أنّه ثابت عن الرسول فهذا استهزاء بما جاء به الرسول، فحرى أن يحكم عليه بذلك، أى: بالردّة.

ثمّ تحدّث عن السخرية بالمؤمنين فقال: إنّه الغمز واللمز والضحك الذى يمارسه كلّ مجرم ضدّ كلّ موحِّد.

وقال: وهذا الجرم لم يقتصر فعله على أعداء الدين، بل وقع حتّى من أُناس يحسبون على الدعوة والدعاة، فهذا محمّد الغزالى يسخر بعلماء الحنابلة وهو يعلّق على كلام الرسول (ص) : مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلّين العص-ر إلّا فى بنى قريظة، فيقول: لو كان هؤلاء الحنابلة المتشدّدون حاضرين لقالوا لِمَن استعجل الصلاة: يا عدوّ الله ورسوله تعصى النبى وترفض عزيمته علينا إنّ هذا نفاق، كيف تصلّى فى الطريق وقد أمرنا بالصلاة فى بنى قريظة؟

وعدّ هذا القول من باب السخرية بعلماء الأُمّة.

وتوعّد المستهزئين بالخزى والعار والنار والهلاك، وذلك بعد أن حشد كمّاً كبيراً من النصوص القرآنية التى تتحدّث عن مصير أقوام الرسل الذين عاندوهم وكفروا برسالاتهم، هلاك فى الدنيا وفى الآخرة عذاب عظيم.

ص:۱۹۹

وفى ختام الكتاب طالب المسلم بعدم موالاة الهازلين الساخرين المستهزئين، والإعراض عنهم، وعدم مجالستهم ضارباً المثل بابن عبد الوهاب الذى عانى من سخرية قومه ونفورهم منه فما زاده هذا الأذى إلّا شجاعةً فى الحق وصدعاً بالدعوة إلى التوحيد الخالص وإعلان البراءة من الشرك وأهله.

براءة أهل السنّة من الوقيعة فى علماء الأُمّة

وهو منشور موجّه لبعض خصوم الوهّابيّة من المعاصرين الذين نالوا من: ابن تيمية، وابن القيّم، والبخارى، وفقهاء الحنابلة، وفقهاء الحديث.

وقد افتتح المنشور برسالة ابن باز إلى كاتبه يقول فيها: أمّا بعد فقد اطّلعت على الرسالة التى كتبتم بعنوان: (براءة أهل السنّة) وفضحتم فيها المجرم الآثم محمّد زاهد الكوثرى بنقل ما فى كتبه من السبّ والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان، واستطالته فى أعراضهم، وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأفّاك الأثيم عليه من الله ما يستحق، كما أوضحتم أثابكم الله تعلّق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به، وولائه له وتبجّحه باستطالة شيخه المذكور فى أعراض أهل العلم والتقى.

ونقل الكاتب ما قاله فى ابن القيّم، وهو فى غاية الحس-رة والألم إذ قال: رميه ابن القيّم بألفاظ متعفّنة يأبى الطبع سماعها، حشرها فى رسالة واحدة هى (تبديد الظلام المخيّم من نونية ابن القيّم) الذى علّقه على كتاب السبكى: (السيف الصقيل فى الردّ على ابن زفيل) ونونيّته التى أنكر فيها المجاز؛ سيراً على نهج شيخه فى القول بالتجسيم والتى سمّاها: (الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية) ثمّ علّق الكاتب على مَن رمى ابن القيّم قائلاً: لا يزيد عنه فى الخروج على الإسلام والمسلمين، لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون فى الشريعة.

ونقل ما قاله أبو غدة فى ابن تيمية: بل هو وارث علم صابئة حرّان حقّاً والمستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبيس، ومَن اتّخذه إماماً إنّما اتّخذه إماماً فى الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيّب ذلك اليوم الذى يُدعى فيه كلّ أُناسٍ بإمامهم.

ص:۲۰۰

يقول الكاتب متابعاً: ثمّ اعتدى اعتداءً سافراً فسلق كلّ مَن كان سلفياً على اعتقاد أهل السنّة والجماعة من علماء الحديث فى قديم الدهر وحديثه؛ وذلك بنسبتهم إلى الممالك الكافرة التى محاها الإسلام.

وفى ختام منشوره قال: أيّها الراغب فى السنّة اعتبر اعتبار أُولى الأبصار وكن من كتب عصبة التعصّب على تقيّة فإنّها ليست بتقيّة وفيها دسائس خفيّة، وتبصّر-ر أىّ الفريقين أحقّ بالأمن من الهوى وغلبة العصبية، واحذر العزو إليها فإنّ فوتها غنيمة والظفر بها هزيمة.

ثمّ حدّد ما يدور حوله الخصوم الطاعنين فى السلفية الحنبلية من خلال كلام الكوثرى وتلميذه، وأنّهما اعتمدا على الأُمور التالية:

التزام التقليد الأصمّ والعصبية، والميل للأشاعرة، وتبنّى نهج القبور، وانساب قلمهما فى قذف وتكفير الأبرياء والتنقّص للأوفياء، أى: الحنابلة الوهّابيّين.

ونتج عن هذه الأُمور - حسبما قال - أُموراً أُخرى جرّتهما إلى ما يلى:

التنكّر لعلماء السلف، والمغالاة فى التقديس، واحتضان البِدْعة، والدنية بالدين.

تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين

ومؤلّف هذا الكتاب كان قاضى المحكمة الشرعية الأُولى فى قطر، وله مؤلّف آخر تحت عنوان:

(نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين)

يبدأ المؤلّف كتابه بالحديث عن نشأة البِدَع فى الإسلام ملقياً بتبعة نشأتها وظهورها على الفِرَق والاتّجاهات الأُخرى.

وحدّد أسباب انتشار البِدَع ورواجها فى الأُمور التالية:

سكوت كثير من العلماء، وتأييد الحكّام، والقول فى الدين بغير علم، والجهل بالسنّة.

ولنا مع هذا الكلام وقفات، فإنّ سكوت العلماء عمّا يدّعيه الحنابلة والوهّابيّين من انتشار البِدَع لا يعنى إلّا شيئاً واحداً وهو أنّ هؤلاء العلماء لا يعدّونها بِدَعاً، وإنّما هى

ص:۲۰۱

بِدَع من منظور الحنابلة وحدهم.

أمّا تأييد الحكّام فلا ينكر أنّ الحكّام دعموا المعتزلة والأشاعرة والصوفية فى فترات تاريخية متقطّعة، وهم خصوم الحنابلة، لكنّهم دعموا الحنابلة أيضاً، ولولا هذا الدعم ما كان للحنابلة وجود.

وهل غفل هذا القاضى عن دعم آل سعود لمحمّد بن عبد الوهاب وأنّه لولا هذا الدعم لما كان للوهّابيّة وجود؟

فهل يُعدّ دعم الحكّام للحنابلة والوهّابيّين نصرة للإسلام أم لأهل البِدَع؟

والجواب عند الحنابلة والوهّابيّين نصرة للإسلام بالطبع.

والقول فى الدين بغير علم دعوى حنبلية باطلة يرفعونها على الدوام فى مواجهة خصومهم، الذين يصمونهم بالجهل على الدوام، بينما هم يخوضون فى الدين بعلم وعقل، ولكى تكون على علم فى منظور الحنابلة لابدّ وأن يتّفق هواك مع هواهم، وتدين برواياتهم وتعتقد معتقداتهم، ثمّ بعد ذلك خض فى الدين كيف تشاء فيصبح قولك مأثوراً.

ثمّ يواصل المؤلّف هجومه على الخصوم فى فصل تحت عنوان: شبهات منكرى الاحتجاج بالسنّة والاكتفاء بالقرآن فقط، خاصّةً الذين ينكرون الاحتجاج بأحاديث الآحاد.

وقد حشد فى هذا الفصل بعض الأحاديث التى يبرهن بها على اتّباع النبى (ص) فى كلّ شىء، وغاب عنه أنّ الأمر ليس فى إنكار اتّباع النبى، الذى لم يقل به أحد، لكنّه يبرهن على ذلك بالروايات.

وهو بهذا يبرهن على دعواه بنصوص دعواه وهى سقطة منطقية من قبله يُعذر فيها لكونه ليس من المؤمنين بالمنطق والعقل، بل من المجرمين له سيراً مع سنّة الحنابلة.

والتطبيق الحقيقى لاتّباع الرسول (ص) فى كلّ شىء يتمثّل فى الالتزام بالقرآن الذى جاء به، لا الالتزام بالروايات المنسوبة إليه، وهى محلّ خلاف بين المسلمين.

ص:۲۰۲

ويواصل المؤلّف مشيراً إلى بِدْعة التعصّب المذهبى، وسؤال وجّه إلى ابن تيمية حول هذه المسألة، وجوابه الذى يتلخّص فى: أنّ الرواية أو الحديث النبوى هى المقدَّمة ولا يجوز تقديم المذاهب عليها. ورفض المؤلّف فكرة تقسيم البِدَع إلى بِدْعةٍ سيئة، وبِدْعةٍ حسنة، منكراً أدلّة البعض على تحسين البِدَع راداً على أدلّتهم مؤكّداً أنّ كلّ بِدْعة ضلالة.

ثمّ سلك المؤلّف بعد ذلك نهج الوهّابيّة فى رفض التوسّل وزيارة الأضرحة، معتبراً ذلك من صور الشرك، أو من البِدَع الاعتقادية، على حدّ تعبيره، آخذاً الصوفية فى طريقه، وقد عدّ الكثير من مبادئها من البِدَع الضالة.

واعتبر أيضاً أنّ التأويل من البِدَع التى ظهرت فى واقع المسلمين على يد المأمون العبّاسى.

كذلك الأعياد، مثل: عيد الميلاد، وعيد النيروز، وشمّ النسيم، وأنّ هذه البِدَع من باب مشابهة الكفّار.

وألحق المؤلّف بكتابه فصلاً يحوى بعض الأسئلة عن البِدَع الاعتقادية الواردة إليه من الهند وأجوبتها، منها: مسألة الصلاة على النبى (ص) جهراً وجماعةً بعد صلاة فجر الجمعة، ومسألة البناء على القبور، ومسألة الموالد.

أمّا القسم الثانى من الكتاب فقد خصّصه لما أسماه بِدَع العبادات والجنائز والشهور والمواسم والأعياد وبِدَع النساء.

وعدّ المؤلّف من أقبح البِدَع موافقة المسلمين للنصارى فى أعيادهم أو الإهداء إليهم فيها أو تهنئتهم.

ولم ينس المؤلّف أن يختم كتابه بذكر مناقب الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة، وعرض مفهوم أهل السنّة لأهل البيت.

والهدف من وراء هذه الخاتمة هو مواجهة المبتدعة الشيعة الذين يتبنّون رؤيةً مخالفةً فى الصحابة وأهل البيت وتحصين الأتباع تجاههم.

والشيعة هم التحدّى الأكبر الذى يواجه حنابلة العصر الوهّابيّين، وهم يمثّلون

ص:۲۰۳

الاتّجاه الوحيد الذى يشكّل خطراً عليهم ويرصد نصوصهم ورواياتهم، فمن ثمّ ركّزوا عليهم أكثر من الصوفية، وأصدروا فيهم أكبر كم من المنشورات التى تحرّض المسلمين عليهم.

بل وصل بهم الأمر إلى التحالف مع النظام البعثى الحاكم فى العراق، والذى يكفّرونه ضدّ إيران الشيعية، والتى كانت تخوض حرباً ضدّ العراق أضفوا عليها المشروعية، ثمّ حاق المكر السىء بهم وانقلب صدّام عليهم حين غزا الكويت فاضطرّوا للانقلاب عليه.

وقبل وداع القارئ قدّم المؤلّف النصائح والتوجيهات التالية:

- نشر السنّة بين المسلمين وتفهيمهم سنّة سيّد المرسلين، ولا سيّما فى باب العقائد والعبادات.
- رفض التعصّب لمذهب، أو لرأى، أو لاجتهاد من الاجتهادات.
- منع العامّة من القول فى الدين.
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

العواصم من القواصم

وهو من وضع أبى بكر ابن العربى القاضى المالكى (ت۵۴۳ه) ، والذى طرح من خلاله العديد من الرؤى، وقدّم من خلاله رؤية تحقيقية لمواقف الصحابة وممارساتهم بعد وفاة رسول الله (ص) ؛ ليكون وثيقة إرهابية تلجم العقول وتمنع الخوض فيما دار ووقع بينهم، فقام الوهّابيّون بحذف كلّ ما لا يخدم مذهبهم من الكتاب، واكتفوا بما ذكره حول الصحابة لكونه يخدم توجّههم، وقاموا بتحقيقه والثناء على صاحبه على الرغم من كونه من أهل المذاهب التى يبغضونها ويحاربون أهلها؛ وذلك لكونه يخدم أغراضهم ويسير فى الاتّجاه الداعم لأفكارهم.(۱)

۱- يقوم الوهّابيّون بتزوير العديد من كتب التراث، وحذف النصوص التى لا تخدم مذهبهم منها، وهو ما فعلوه فى كتاب العواصم من القواصم، انظر لنا كتاب أكاذيب الوهّابيّة.

ص:۲۰۴

واعتبر ابن العربی ما وقع من خلاف وصدام بین المهاجرین والأنصار فی سقیفة بنی ساعدة قاصمة.

أمّا العاصمة فهی تدارک الله الإسلام والأنام بأبی بکر وعمر.

وما نُسب إلی عثمان من مظالم ومناکیر هو من القواصم.

أمّا العاصمة فهی الإیمان ببطلان ما نُسب إلیه.

وما دار من خلاف حول بیعة الإمام علی، وکذلک ما وقع فی صِفّین من قتال هو قاصمة.

أمّا مجیء أصحاب الجمل وقتالهم لعلی فهو من العواصم.

ثمّ یبرهن الکتاب بعد ذلک علی صحّة مواقف معاویة ومش-روعیة الخطّ الأموی محاولاً تلمیع الأمویین وتبییض وجه یزید بن معاویة خاصّةً.

وهذا الکتاب کُتب خصّیصاً لمواجهة الشیعة الذین یتبنّون رؤیةً فی الصحابة تمثّل إزعاجاً کبیراً لأهل السنّة الذین لم یجدوا سبیلاً لمواجهتها إلّا بتحریم الخوض فیما جری ووقع بعد وفاة الرسول (ص) وجعل هذا التحریم من النصوص العقائدیة.

ولم ینس المؤلّف أن یحشد فی کتابه عشرات التبریرات والتأویلات التی تصطدم بالفطرة والعقل وتجعل منه أشبه بنشرة حکومیة تهدف إلی إلجام العقول وکتم الأفواه وتعمیة العیون؛ کی تظلّ الأُمّة فی الطریق الذی یخدم مصالح الحکّام.

ولم ینس المؤلّف - أیضاً - أن یرشد المسلمین إلی عاصمةٍ هامّةٍ فی نهایة کتابه، وهی تحذیرهم من کتب المفسِّرین والمؤرِّخین وأهل الآداب وجمیع هؤلاء من أهل السنّة.

قال: إنّما ذکرت لکم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصّةً من المفس-رین والمؤرّخین وأهل الآداب، فإنّهم أهل جهالة بحرمات الدین، أو علی بِدْعة مصرّین، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا روایة إلّا عن طریق أئمة الحدیث، ولا تسمعوا لمؤرِّخٍ کلاماً إلّا الطبری، وغیر ذلک هو الموت الأحمر والداء الأکبر، فإنّهم ینشئون أحادیث استحقارِ الصحابة والسلف والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال فی الأقوال والأفعال

ص:۲۰۵

عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى، فإذا قاطعتم أهل الباطل، واقتصرتم على رواية العدول؛ سلمتم من هذه الحبائل ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل.

ومن أشدّ الأشياء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال.

فأمّا الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً فى كتابه (الإمامة والسياسة) إن صحّ عنه جميع ما فيه.

وكالمبرّد فى كتابه الأدبى وابن عقلة من عقل الثعلب الإمام فى أماليه، فإنّه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأُمّة، وأمّا المبتدع المحتال فالمسعودى فإنّه بما يأتى به منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأمّا البِدْعة فلا شك فيه.

فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا فى خليفة ممّن ينسب إليه ما لا يليق، ويذكر عنه ما يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين وعن سبيل الباطل ناكبين.

وقد أطلق المؤلّف سهامه على المأمون العبّاسى والواثق من بعده لقوله بخلق القرآن ودعمه للشيعة والمعتزلة، وإشاعته لكتب المنطق والفلسفة وأهل الرأى والأدب مثل الجاحظ.

وعدّ القول بخلق القرآن بِدْعة أشدّ من بِدْعة شرب الخمر والزنا والغناء والفسق الذى ارتبط بالخلفاء.

والمقصود بهذا الكلام أنّ المأمون لو كان من الزناة والفسّاق ملازم للمنكرات ولم يكن من القائلين بخلق القرآن لكان مقبولاً عنده وعند الفقهاء كحال بقيّة الخلفاء، وعلى رأسهم يزيد الفاسق، والمتوكّل المجرم، الذين عدّوهم من الأئمّة الواجب طاعتهم والصلاة والحج والجهاد من ورائهم.

والمسألة عند هؤلاء على ما هو ظاهر ليست مسألة قيم وحقوق وواجبات وإنّما مسألة مذهب، فمَن وافقهم من الحكّام على مذهبهم فهو على الصراط المستقيم، ولو

ص:۲۰۶

كان فاجراً جبّاراً، ومَن خالف مذهبهم فهو على صراط الشيطان الرجيم ولو كان عادلاً رحيماً.

وهذه اللغة الانفعالية المتطرّفة لا تحمل أىّ صورةٍ من صور الاحترام والتقدير للآخر، وهى نفس لغة الحنابلة، من أجل ذلك رحّب الوهّابيّون بهذا الكتاب واحتفوا به واعتمدوه؛ ليصبح من الكتب المتداولة بين الفِرَق التى خرجت من تحت عباءتهم.

وجملة: يعتبر ابن العربى الخوض وإعمال العقل فيما دار وجرى بين الصحابة بعد رحيل الرسول (ص) من القواصم، أمّا تعطيل العقل فى مواجهتها والمرور عليها مرور الكرام وكأنّها حوادث وقعت فى المنام فهو فى منظوره من العواصم.

من هنا قامت بتحقيق هذا الكتاب ونشره بين المسلمين عدّة جهات وهّابيّة، تركت بصمتها الواضحة عليه وأضافت ما يمكن إضافته من روايات وأقوال لابن تيمية تزيده قوّةً وتأثيراً، وتدعم الموقف الانهزامى من الحكّام، وتبرّر جرائمهم فى حقّ الإسلام والمسلمين وفى مقدّمتهم: يزيد بن معاوية.

ولم يعجب الوهّابيّون موقف ابن العربى من الطبرى، خصم الحنابلة وخصمهم، فلم ينسوا الإشارة إلى ذلك فى تعليقاتهم؛ حتّى لا يضلّ القارئ وينساق وراء الطبرى الضال فى منظورهم.

وشنّ واحد من الوهّابيّين الذين حقّقوا هذا الكتاب حرباً شعواء على الفلسفة والفلاسفة، التى كانت من موضوعات الكتاب وتمّ حذفها، مؤكّداً أنّ فقهاء السلف قد حرّموا دراسة الفلسفة ونادوا بالاعتصام بالسنّة فى مواجهتها.

كشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبياء من الناس

قال المؤلّف فى مدخل الكتاب رأيت سؤالاً هذا نصّه: ما يقول الشيخ فى أُناس تنازعوا فقال بعضهم: الجهمية كفّار والذى ما يكفّرهم كافر، واستدلّوا على ذلك بقول بعض العلماء: مَن لم يكفّر المشركين أو شكّ فى كفرهم فهو كافر.

ص:۲۰۷

وقال الآخرون: أمّا قولكم الجهميـة كفّار فهـذا حق إن شاء الله ونحن نقول بـذلك، وهو قول جمهور العلماء من أهل السـنّة والجماعة، كما ذكر ذلك الشـيخ عبد الرحمن بن حسن فى كتابه: فتح المجيد شـرح كتاب التوحيد فى الكلام على أوّل باب، مَن جحد شيئاً من الأسـماء والصـفات، وكما ذكر أيضاً فى جوابه على شـبهة الجهمى ابن كمال المذكور فى مجموعة التوحيد، وكما ذكره ابن القيّم فى الكافية الشافية.

وأمّـا قولكم والـذى مـا يكفّرهم كـافر فهو باطـل مردود لما ذكره هؤلاء الأعلام من تكفير جمهور أهل السـنّة للجهميـة، وعـدم تكفير الباقين من أهل السنّة لهم، أفيجوز تكفير مَن لم يكفّرهم من العلماء المذكورين أو غيرهم مع ذلك؟

وهل رأيت أحداً من أهل العلم كفّر هؤلاء العلماء الذين لم يكفّروا الجهمية؟

وهذا الكلام لم يعجب الوهّابى المتطرّف صاحب هذه الرسالة فقام على الفور مشـهراً حرابه فى وجه الشـيخ صاحب الإجابة مع أنّه من الوهّابيّين الموحّـدين، وصـنّف هذه الرسالة فى الردّ على الشـيخ حيث قال: هذا الرجل لم يطلع على أقوال الطوائف ولا انتهى إلى غاية مرامهم ونهايـة أقـدامهم، ولا عرف ما فى كتب الناس، فلأجل عـدم معرفته بأحوال هـذه الطبقـة، وهم جهّال المقلّـدين للجهمية ولعبّاد القبور وقع فيما لا مخلص منه.

واسـتعرض العديـد من الأقوال لابن حنبل، والخلّال، واللالكائى، وابن خزيمة، وابن تيمية، وابن القيّم، وغيرهم، فى كفر الجهمية؛ وأنّ ذلـك قول عامّـة أهـل العلم، رافضاً بقوّةٍ فكرةَ اسـتثناء أحـدٍ منهم من التكفير، أو اسـتثناء أحـدٍ ممّن لم يكفّرهم على مسـتوى الجهمية القدامى، أو مَن يقول بقولهم على مستوى الحاضر.

وقال: قد ذكر أهل العلم إنّ مَن لم يكفّر المشـركين، أو شكّ فى كفرهم فهو كافر، كما قال الشـيخ محمّد بن عبد الوهاب فى نواقض الإسلام العشرة: مَن لم يكفّر المشركين، أو شكّ فى كفرهم، أو صحّح مذهبهم فهو كافر.

ص:۲۰۸

وقال: قد بيّن ابن القيّم فى الطبقات تنويع الجهّال المقلّدين لأهل الكفر من الجهمية، وعبّاد القبور، وغيرهم، وفصّل النزاع وأزال الإشكال، فقال فى الطبقة السابعة عشر: طبقة المقلّدين وجهّال الكفرة وأتباعهم، وحميرهم الذين هم معهم تبع يقولون: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ (الزخرف: ۲۳) ، ولنا أسوة بهم ومع هذا فهم مسالمون لأهل الإسلام غير محاربين لهم، وقد اتّفقت الأُمّة على أنّ هذه الطبقة كفّار، وإن كانوا جهّالاً مقلّدين لرؤسائهم وأئمّتهم إلّا ما يحكى عن بعض أهل البِدَع أنّه لم يحكم بهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة مَن لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهبهم لم يقل به أحد من أئمّة المسلمين لا الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم، وإنّما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث فى الإسلام، فغاية هذه الطبقة أنّهم كفّار جهّال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفّاراً.

وقال صاحب الرسالة معلّقاً: انظر أيّها المنصف كلام ابن القيّم وتكفيره لهؤلاء الجهّال المقلّدين للمعاندين، وهذا الرجل الذى أعمى الله قلبه يقول: إنّ بعض أهل السنّة لا يكفّرون الجهمية، أفيجوز تكفير مَن لم يكفّرهم العلماء المذكورين، وأمّا جمهور العلماء فهم يكفّرونهم، ومراده بذلك الردّ على مَن قال من العلماء بتكفير مَن لم يكفّر الكافر، والعلماء لم يختلفوا فى تكفير الجهمية النفاة المعطّلة للذات والأسماء والصفات، بل قد اتّفقت الأُمّة على تكفير الأتباع الجهّال المقلّدين لرؤسائهم وأئمّتهم الذين هم تبع لهم. ويؤكّد صاحب الرسالة أنّ جهمية العصر قد بلغتهم الدعوة وقامت عليهم الحجّة فلا حرج فى تكفيرهم فهم على علمٍ وبيّنة لا تقتضى الشك فى كفرهم.

وقال: وإذا كان هؤلاء أهل بِدْعة وضلالة فما المسوّغ للذبّ عنهم والمجادلة دونهم بالباطل ومعاداة مَن عاداهم، وإظهار الشناعة عليهم لولا متابعة الهوى وحميّة الجاهلية.

ونقل عن اجتماع الجيوش الإسلامية قول ابن القيّم عن ابن تيمية: المقصود أنّ هؤلاء الأتباع المقلّدين للجهمية إمّا أن يكونوا زنادقة مقلّدين لزنادقة مستبص-رين،

ص:۲۰۹

وإمّا أن يكونوا من النوع الذين يردّون كثيراً من نصوص الوحى إذا وردت إليهم مخالفة لما تلقّوه أسلافهم وذوى مذهبهم ومَن يحسنون به الظن، فإذا تبيّن لك أنّ هؤلاء الجهمية زنادقة مستبصرين، وأنّ أتباعهم المقلّدين لهم إمّا أن يكونوا زنادقة مقلّدين لهؤلاء الزنادقة المستبصرين، وإمّا أن يكونوا من النوع الثانى، إذا عرفت هذا يتبيّن لك خطأ مَن زعم أنّ لأهل العلم فيهم قولين.

ويبدو من خلال هذه الرسالة أنّ كاتبها يصرّ على تكفير جميع المسلمين، ويدعم موقفه بأقوال ابن تيمية وابن القيّم وابن عبد الوهاب وغيرهم ممّن وضعوا الأساس لثقافة الإرهاب فى تاريخ المسلمين.

ومن المعروف أنّ أكثرية المسلمين من قديم يتبنّون العقائد الأشعرية والماتريدية المتصادمة مع عقائد الحنابلة، ويتبنّون التأويل فى مواجهة النصوص المتعلّقة بالصفات، وإصرار الكاتب على موقفه يعنى تكفير جميع المسلمين، بالإضافة إلى عدم التسامح مع الذين يحاولون التهرّب من فكرة التكفير من الوهّابيّين وهو ما يعنى تكفيرهم أيضاً.

وهو يرفض رفضاً تامّاً فكرة العذر بالجهل التى تبنّاها العديد من الفقهاء فى الماضى، وتبنّتها أيضاً بعض الجماعات الوهّابيّة المعاصرة فى مواجهة مَن يجهلون أُصول الدين، ويأتون بأفعال تتناقض مع هذه الأصول.

وكانت فكرة العذر بالجهل من الأسباب الرئيسية التى أدّت إلى انشقاق الجماعة الإسلامية عن فرقة الجهاد فى مصر، بسبب إصرار فرقة الجهاد على عدم عذر رجال الأمن الذين يتربّصون بهم ويعتقلونهم ويعذّبونهم، واعتبارهم كفّاراً لكونهم يدافعون عن نظام كافر، وهى نفس الفكرة التى تبنتها فرقة التكفير حين برزت لأوّل مرّةٍ داخل معتقلات عبد الناصر فى منتصف الستينيات.

أمّا الجماعة الإسلامية فقد تمسّكت بأقوال فقهاء السلف، وقالت بعذر هؤلاء

ص:۲۱۰

لجهلهم، وهو ما يعنى: أنّ صاحب الرسالة الوهّابى يغالط ويدّعى الإجماع على تكفير الأتباع من قِبَل الفقهاء؛ وهو ما نقله عن شيوخه: ابن تيمية، وابن القيّم، وابن عبدالوهاب الذين يتحصّنون دائماً بفكرة الإجماع من باب تضليل المسلمين.(۱)

فتاوى مهمّة لعموم الأُمّة

وهذه الفتاوى لابن باز وابن عثيمين معاً، وفيها:

لو أنّ رجلاً يقرّ إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرّب إليه فإنّه مش-رك كافر خالد فى النار.

ومن الشرك الأكبر المخرج من المِلّة أنْ يدعو غير الله عزّ وجلّ، مثل أن يدعو صاحب قبر أو يدعو غائباً ليغيثه.

وقد تكون البِدْعة فى الدين عقيدة أو عبادة قولية أو فعلية كبدعة نفى القدر وبناء المساجد على القبور وقراءة القرآن عندها للأموات، والاحتفال بالموالد والاستغاثة بغير الله، والطواف حول المزارات، فهذه وأمثالها كلّها ضلال لكن منها ما هو شرك أكبر يخرج من الإسلام كالاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله إلى أمثال ذلك ممّا هو عبادة مختصّة بالله، ومنها ما هو ذريعة إلى الشرك كالتوسّل إلى الله بجاه الصالحين.

والاحتفال بالموالد هو من البِدَع المحدثة، ومن التشبّه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فى أعيادهم، والاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البِدَع المحدثات، وغالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بِدْعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أُخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغانى والمعازف، وشرب

۱- كان أوّل مَن قنّن لفكرة تكفير المسلمين هو سيّد قطب، الذى قامت على أساس أفكاره فرقة التكفير وفرقة الجهاد من بعد، انظر تفاصيل هذا الأمر وغيره فى كتابنا الحركة الإسلامية فى مص-ر، وكتابنا الجنّة والنار سيرة الجماعات الإسلامية.

ص:۲۱۱

المسكر والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر؛ وذلك بالغلو فى رسول الله (ص) ، أو غيره من الأولياء، ودعاء الاستغاثة وطلبه المدد، واعتقاد أنّه يعلم الغيب، وغير ذلك من الأُمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبى (ص) ، وغيره ممّن يُسمّون بالأولياء.

والاحتفال بليلة القدر، أو النصف من شعبان، أو ليلة الإسراء والمعراج، كلّ ذلك بِدْعة.

وقد ثبت عن أصحاب رسول الله والسلف التحذير من البِدَع والترهيب منها، وما ذاك إلّا لأنّها زيادة فى الدين وشرع لم يأذن به الله، وتشبّه بأعداء الله من اليهود والنصارى.

وجاء سؤال يقول: هل يعتبر الشيعة فى حكم الكافرين؟

وهل يدعو المسلم الله تعالى أن ينصر الكفّار عليهم؟

وكان الجواب هو: الصواب أن يقال الرافضة، كما وصفهم ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم، حيث قال: إنّهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً، فلا يوجد فى أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتّى أنّهم يخرّبون مساجد الله التى يُذكر فيها اسمه فيعطّلونها عن الجُمَع والجماعات، ويعمّرون المشاهد التى أُقيمت على القبور.

وقال: الرافضة أُمّة مخذولة ليس لها عقل صريح، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة.

وقال فى الفتاوى ج۳ / ۳۵۶: ومنهم ظهرت أُمّهات الزندقة والنفاق، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم.

وأمّا خطر الرافضة على الإسلام فكبير جدّاً، وخطرهم يأتى من حيث إنّهم يدينون بالتقيّة التى حقيقتها النفاق، وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطناً.

وأمّا كوننا ندعو الله أن ينصر الكافرين عليهم فلا حاجة إليه، وإنّما ندعو الله أن

ص:۲۱۲

ينصر المسلمين الصادقين.

وفى جواب عن سؤالٍ يقول: إذا كانت المرأة متزوّجة وزوجها لا يصلّى فهل لها أن تفارقه؟

وكان الجواب هو: إذا كانت امرأة متزوّجة وزوجها لايصلّى أبداً مع الجماعة ولا مع غير الجماعة، فإنّه ينفسخ نكاحها ولا تكون له زوجة، ويجب عليها أن تذهب إلى أهلها وأن تحاول بقدر ما تستطيع أن تتخلّص من هذا الرجل الذى كفر بعد إسلامه، أىّ امرأةٍ زوجها لا يصلّى لا يجوز لها أن تبقى طرفة عينٍ معه حتّى ولو كانت ذات أولاد منه، ولا حقّ لأبيهم فى حضانتهم؛ لأنّه لاحضانة لكافرٍ على مسلم.

الحكم الجديره

الحِكَم الجديرة بالإذاعة من قول النبى بعثت بالسيف بين يدى الساعة

وهذا المنشور لابن رجب الحنبلى، وكما هو واضح شديد الخطورة وشديد العشق للدماء، ولا مجال فيه للحوار والاعتدال، أمّا قذائفه فتتمثّل فيما يلى:

* أنّ الإسلام جاء بالسيف.

* أنّ السيف هو شعار الإسلام حتّى قيام الساعة.

* أنّ الإسلام جاء بستّة سيوف.

سيف على المشركين حتّى يسلموا أو يؤسروا.

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة.

وسيف على أهل الكتاب حتّى يعطوا الجِزْية.

وسيف على أهل البغى من المسلمين.

وسيف على أهل الردّة.

وسيف على أهل البِدَع.

* أهل التوحيد والطاعة لله – الحنابلة – أحق بالمال من أهل الكفر.

* أهل الأهواء والبِدَع كلّهم مفترون على الله.

ص:۲۱۳

* عقوبة المبتدع أغلظ من عقوبة العاصى.

* من تشبّه بقوم فهو منهم.

وهـذا المنشور من أوّله إلى آخره يقوم على أساس روايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) قامت على أساسـها أحكام وتصوّرات ومفاهيم شديدة التطرّف فى مواجهة المخالفين من المسلمين وأصحاب الديانات الأُخرى.

لقد أظهرت هذه الرواية أنّ الإسلام دين السيف والدماء، لا دين العقل والحوار، وهو بهذه الصورة بدا وكأنّ الله سبحانه بعثه وبالاً على البش-ر ونقمةً عليهم لا رحمةً مهداة لهم.

والحق أنّ هذه الصورة المتطرّفة عن الإسـلام تتنافى مع نصوص القرآن، وأقل ما يُقال فيها إنّها من اختراع الرواة والفقهاء الذين باركوا هذه الروايات، وعلى رأسهم فقهاء الحنابلة.

ومثل هـذه الصورة المنفّرة عن الإسـلام إنّما تزيـد من ثبات أصـحاب الـديانات الأُخرى على موقفهم، كما تزيد من إرهاب المسـلمين وتخويفهم من أحكـام الـدين وعزلهم عنه، وهـذه النتيجـة الخطيرة لاـ تعنى هؤلاـء الفقهـاء فى شـىء فأصـحاب الـديانات الأُـخرى فى منظورهم هم مشركون يجب أن يعمل السيف فيهم.

والمسـلمون المخالفون هم زنادقـة؛ لأنّهم لا يتبعون هـذه الروايات، ولا يسـيرون على نهـج السـلف ويلتزموا بعقل الماضـى، ويجب أن يعمل السيف فيهم أيضاً.

إنّ الخروج عن دائرة روايات السـلف يعنى فى منظور الفقهاء التشـبّه بالمش-ركين؛ لأنّهم هم المسـلمين ومَن لم يتشـبّه بهم فقد خرج من الإسلام.

فتاوى أزْهَرِيّة

تمكّن التيّار الحنبلى من اختراق المؤسّسة الأزهريـة واسـتثمار رموزهـا، ويظهر لنا هـذا بوضوح من كمّ الفتاوى التى صـدرت عن دار الإفتاء المصرية وتلقّفتها الفِرَق الوهّابيّة

ص:۲۱۴

المتطرّفة وتحصّنت بها.

وقد قامت جماعة أنصار السنّة المحمّدية ذات النهج الوهّابى السعودى فى مص-ر بنشر هذه الفتاوى الأزهرية المتطرّفة مؤخّراً كهدية مجّانية على مجلّة التوحيد الناطقة بلسان الجماعة.

وليست هذه الفتاوى سوى مدافع شديدة الطلقات مصوّبة نحو المسلمين، وقد ألحقت أضراراً فادحة بعقولهم و واقعهم.

وعلى رأس هذه الفتاوى فتوى تتعلّق بالأضرحة والدفن فى المساجد و الموالد والنذور، وهى فتوى موجّهة ضدّ التيّار الصوفى الذى يتبنّى هذه القضايا، تقول بتحريم مثل هذه الأُمور واعتبارها صورة من صور الشرك والضلال.

وثانى هذه الفتاوى فتوى تتعلّق بتحريم التعامل مع البنوك، ووجوب إجبار الزوجة على ارتداء الحجاب، وتحريم الصور والتصوير، وتحريم الموسيقى، وتحريم التأمين على الحياة والتأمين ضدّ الحريق، وتحريم ذهاب المرأة إلى مصفّف الشعر، وعدم جواز خوضها ميدان العمل السياسى ودخول الانتخابات.

ومثل هذه الفتاوى التى تقوم على أساس الروايات وعقل الماضى إنّما تسهم فى تخلّف الأُمّة وتجميد مسيرتها؛ وقد رفعت رايتها الفِرَق الوهّابيّة اليوم وبنت على أساسها مواقفها وتصوّراتها المتطرّفة تجاه الواقع والمخالفين.

وكيف للأزهر وهو مؤسّسة حكومية أن يتبنّى مثل هذه القضايا المتطرّفة التى تهدّد أمن المجتمع، وفى الوقت نفسه يعلن الحرب على التطرّف والمتطرّفين؟

أحكام العصاة

وهذه رسالة مشتقّة من كتاب بِدَع الفوائد لابن القيّم الجوزية وُزّع كهدية مجّانية على مجلة الأزهر؛

تقول الرسالة:

ص:۲۱۵

* القول قد يكون كفراً.

* إنّ مبانى الإسلام الخمسة المأمور بها – الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج – وإن كان ضرر تركها لا يتعدّى صاحبها، فإنّه يُقتل بتركها فى الجملة عند جماهير الفقهاء، ويكفّر أيضاً عند كثير منهم أو أكثر السلف، وأمّا فعل المنهى عنه الذى لا يتعدّى ضرره صاحبه، فإنّه لا يُقتل به عند أحد الأئمّة ولا يكفّر به إلّا إذا ناقض الإيمان؛ لفوات الإيمان وكونه مرتدّاً أو زنديقاً؛ وذلك أنّ من الأئمّة مَن يقتله ويكفّره بترك كلّ واحدة من الخمس؛ لأنّ الإسلام بُنى عليها، وهو قول طائفة من السلف، ورواية عن أحمد بن حنبل اختارها بعض أصحابه، ومنهم مَن لا يقتله ولا يكفّره إلّا بترك الصلاة والزكاة، وهى رواية أُخرى عن ابن حنبل، ومنهم مَن يقتله بهما ويكفّره بالصلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها، كرواية عن ابن حنبل، ومنهم مَن يقتله بهما ولا يكفّره إلّا بالصلاة، ومنهم مَن يقتله بهما ولا يكفّره، ومنهم مَن لا يقتله إلّا بالصلاة ولا يكفّره، وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف.

* مَن خالف السنّة فيما أتت به أو شرّعته فهو مبتدع خارج عن السنّة.

* أصل البِدْعة تكذيب الأحاديث الواردة فى كتب السنن.

* عامّة البِدَع من التأويل والقياس والرأى.

التطرّف وتبريره وإضفاء المشروعية عليه.

وكأنّ الأزهر بتبنّيه مثل هذا الطرح قد خلع ثوب العقل والاعتدال واحترام الرأى الآخر، ونتيجة هذه القذائف التى تبنّاها الأزهر وأسهم فى إطلاقها على الجماهير هى تقنين وارتداء ثوب الجمود والتطرّف والاستبداد أو ثوب النفط.

ص:۲۱۶

ص:۲۱۷

فهرس المصادر

۱. أحكام أهل الذمة، أبو عبدالله شمس‌الدين محمّدبن أبی بكر بن أيوب‌بن سعد الزرعی الدمشقی، تحقيق: يوسف أحمد البكری - شاكر توفيق العاروری، الطبعة: الأولی، بيروت، رمادی للنشر - دار ابن حزم - الدمام، ۱۴۱۸ه.

۲. السياسة الشرعية فی إصلاح الراعی والرعية، أحمدبن عبدالحليم بن تيمية الحرّانی، دار المعرفة.

۳. الطرق الحكمية فی السياسة الشرعية، أبوعبدالله شمس‌الدين محمّدبن أبی‌بكربن أيوب‌بن سعد الزرعی الدمشقی، تحقيق: د. محمّد جميل غازی، القاهرة، مطبعة المدنی.

۴. الردّ علی الزنادقة والجهمية، أبو عبدالله أحمدبن حنبل الشيبانی، تحقيق: محمّد حسن راشد، القاهرة، المطبعة السلفية، ۱۳۹۳ه.

۵. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبوعبدالله عبيدالله‌بن محمّدبن بطة العكبری الحنبلی، تحقيق: عثمان عبدالله آدم، الطبعة: الثانية، السعودية، دار الراية للنشر، ۱۴۱۸ه.

۶. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أبوالعباس أحمدبن عبدالحليم‌بن تيمية الحرّانی، تحقيق: محمّد حامد الفقی، الطبعة: الثانية، القاهرة، مطبعة السنة المحمّدية، ۱۳۶۹ه.

۷. الفصل فی الملل والأهواء والنحل، أبومحمّد علی‌بن أحمدبن سعيدبن حزم الطاهری، القاهرة، مكتبة الخانجی.

۸. العواصم من القواصم فی تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبی صلّی الله عليه وسلّم،

ص:۲۱۸

۹. احمّد بن عبدالله أبوبکربن العربی، تحقیق: محب الدین الخطیب ومحمود مهدی الاستانبولی، الطبعة: الثانیة، بیروت، دار الجیل، ۱۴۰۷ه.

۱۰. السنّة، عبدالله‌بن أحمدبن حنبل الشیبانی، تحقیق: د. محمّد سعید سالم القحطانی، الطبعة: الأولی، الدمام، دار ابن القیم، ۱۴۰۶ه.

۱۱. الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة، الحافظ شهاب‌الدین أبی الفضل أحمدبن علی‌بن محمّد العسقلانی، تحقیق: مراقبة /محمّد عبدالمعید ضان، الطبعة: الثانیة، حیدرآباد، مجلس دائرة المعارف العثمّانیة ۱۳۹۲ه.

۱۲. السنّة، عمروبن أبی عاصم الضحاک الشیبانی، تحقیق: محمّد ناصرالدین الألبانی، الطبعة: الأولی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۰ه.

۱۳. الجامع الصحیح، محمّدبن إسماعیل أبوعبدالله البخاری الجعفی، تحقیق: د. مصطفی دیب البغا، الطبعة: الثالثة، بیروت، دار ابن کثیر، ۱۴۰۷ه.

۱۴. السنّة، أبوبکر أحمدبن محمّدبن هارون‌بن یزید الخلال، تحقیق: د. عطیة الزهرانی، الطبعة: الأولی، الریاض، دار الرایة، ۱۴۱۰ه.

۱۵. العقیدة الواسطیة، أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، تحقیق: محمّدبن عبدالعزیزبن مانع، الطبعة: الثانیة، الریاض، الرئاسة العامّة لإدارات البحوث والإفتاء، ۱۴۱۲ه.

۱۶. السحب الوابلة علی ضرائح الحنابلة، محمّدبن حمید النجدی، بدون ناشر.

۱۷. الدرر السنیة فی الردّ علی الوهّابیّة، أحمد زینی دحلان الشافعی، دار الجمل المانیا.

۱۸. التحفة المدنیة فی العقیدة السلفیة، حمدبن ناصربن عثمان آل معمر، تحقیق: عبدالسلام‌بن برجس‌بن ناصر آل عبد الکریم، الطبعة: الأولی، الریاض، دار العاصمة للنش-ر والتوزیع، ۱۴۱۳ه.

۱۹. إثبات صفة العلو، أبومحمّد عبدالله‌بن أحمدبن قدامة المقدسی، تحقیق: بدر عبدالله البدر، الطبعة: الأولی، الکویت، الدار السلفیة، ۱۴۰۶ه.

۲۰. اعتقاد الإمام المبجل أحمدبن حنبل ذیل طبقات الحنابلة، أبو الحسین محمّدبن أبی یعلی، تحقیق: محمّد حامد الفقی، بیروت، دار المعرفة.

ص:۲۱۹

۲۱. البدایة والنهایة، أبو الفداء إسماعیل‌بن عمربن کثیر القرشی، بیروت، مکتبة المعارف.

۲۲. الکامل فی التاریخ، أبوالحسن علی‌بن أبی الکرم محمّدبن عبدالکریم الشیبانی، تحقیق: عبدالله القاضی، بیروت، دار صادر، ۱۳۹۹ه.

۲۳. الکافی فی فقه الإمام المبجل أحمدبن حنبل، أبومحمّد عبدالله‌بن قدامة المقدسی، بیروت، المکتب الإسلامی.

۲۴. السیف الصقیل فی الردّ علی ابن زفیل، سبکی، تحقیق: محمّد زاهد الکوثری، طبع القاهرة.

۲۵. الردّ علی المنطقیین، أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، تحقیق: د. محمّد رشاد سالم، الطبعة: الأولی، ۱۴۰۶ه.

۲۶. الأحکام السلطانیة، قاضی أبی یعلی، طبع الریاض.

۲۷. تطهیر الاعتقاد من أدران الإلحاد، محمّدبن إسماعیل الأمیر الکحلانی الصنعانی، تحقیق: إسماعیل الأنصاری، الطبعة الاولی، الریاض، دار البشیر.

۲۸. تاریخ الخلفاء، عبدالرحمن‌بن أبی‌بکر السیوطی، تحقیق: محی‌الدین عبدالحمید، القاهرة، مطبعة السعادة، ۱۳۷۱ه.

۲۹. تاریخ الإسلام ووفیات المشاهیر والأعلام، شمس‌الدین محمّدبن أحمدبن عثمان الذهبی، تحقیق: د. عمر عبدالسلام تدمری، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۷ه.

۳۰. تاریخ الجزیرة العربیة فی عهد محمّدبن عبدالوهاب، حسین خزعل، طبع بیروت.

۳۱. خلق أفعال العباد، محمّدبن إبراهیم‌بن إسماعیل أبوعبدالله البخاری الجعفی، تحقیق: د. عبدالرحمن عمیرة، الریاض، دار المعارف السعودیة، ۱۳۹۸ه.

۳۲. خلاصة الکلام فی تاریخ أمراء البلد الحرام، أحمد زینی دحلان، طبع إستانبول.

۳۳. درء تعارض العقل والنقل، تقی‌الدین أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحلیم بن عبدالسلام‌بن تیمیة، تحقیق: عبداللطیف عبدالرحمن، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۷ه-.

۳۴. دفع شبه من شبّه وتمرّد، تقی الدین أبی‌بکر الحصنی الدمشقی، مصر، المکتبة الأزهریة للتراث.

۳۵. رسائل ابن عبدالوهاب أو مؤلّفات محمّدبن عبدالوهاب فی العقیدة، محمّدبن عبدالوهاب،

ص:۲۲۰

۳۶. تحقیق: عبد العزیز زید الرومی، د. محمّد بلتاجی، د. سید حجاب، الریاض، جامعة الإمام محمّد بن‌سعود.

۳۷. شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الکتاب والسنّة وإجماع الصحابة، أبوالقاسم هبةالله‌بن الحسن‌بن منصور اللالکائی، تحقیق: د. أحمد سعد حمدان، الریاض، دار طیبة، ۱۴۰۲ه.

۳۸. صحیح مسلم، مسلم‌بن الحجاج أبوالحسین القشیری النیسابوری، تحقیق: محمّد فؤاد عبدالباقی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۳۹. فتاوی مهمّة لعموم الأمّة، عبدالعزیزبن باز محمّدبن صالح العثیمین، تحقیق: إبراهیم الفارس، الطبعة: الأولی، الریاض، دار العاصمة، ۱۴۱۳ه.

۴۰. فتیتان تتعلّقان بتکفیر الجهمیة وأنّ الصلاة لا تصح خلف من لا یکفّر الجهمیة ومسائل أخری، إبراهیم‌بن عبداللطیف آل الشیخ و عبدالله‌بن عبداللطیف آل الشیخ و سلیمان‌بن سحمان الخثعمی، تحقیق: عبدالعزیزبن عبدالله الزیر آل حمد، الطبعة: الأولی، السعودیة، دار العاصمة، ۱۴۱۵ه.

۴۱. مسائل أحمدبن حنبل روایة ابنه عبدالله، عبدالله‌بن أحمدبن حنبل، تحقیق: زهیر الشاویش، الطبعة: الأولی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۱ه.

۴۲. مسائل الجاهلیة التی خالف فیها رسول الله أهل الجاهلیة، محمّدبن عبدالوهاب، تحقیق: محمود شکری الألوسی، المدینة المنوّرة، الجامعة الإسلامیة، ۱۳۹۶ه.

۴۳. منهاج السنّة النبویة، أبوالعباس أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، مؤسسة قرطبة.

۴۴. لمعة الاعتقاد الهادی إلی سبیل الرشاد، أبومحمّد عبدالله‌بن أحمدبن قدامة المقدسی، تحقیق: بدربن عبدالله البدر، الطبعة: الأولی، الکویت، الدار السلفیة، ۱۴۰۶ه.

۴۵. منهج أهل السنّة والجماعة فی نقد الرجال والکتب والطوائف، ربیع‌بن هادی المدخلی، القاهرة، دار المنهاج، ۱۴۲۸ه.

۴۶. مجموع کتب ورسائل وفتاوی ابن تیمیة، أبوالعباس أحمد عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرانی، تحقیق: عبدالرحمن‌بن محمّدبن قاسم العاصمی النجدی، الطبعة: الثانیة، مکتبة ابن تیمیة.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹